الإعلام الأفريقى

فى عصر المعلومات

أ. د. عواطف عبد الرحمن   أ. د. حسنى نصر

أ. د. ليلى حسين









المكتبة الأكاديمية
شركة مساهمة مصرية
الحاصلة على شهادة الجودة
ISO 9002
Certificate No.: 82210
03/05/2001

الإعلام الأفريقى
فى عصر المعلومات



الإعلام الأفريقى
فى عصر المعلومات

أ.د. عواطف عبد الرحمن
أ.د. حسنى نصر
أ.د. ليلى حسين
كلية الإعلام - جامعة القاهرة



الناشر
المكتبة الاكاديمية
شركة مساهمة مصرية

٢٠١١

بطاقة فهرسة الكتاب:

عبد الرحمن، عواطف
الإعلام الأفريقى فى عصر المعلومات/ عواطف عبدالرحمن .- ط١ .-
الجيزة: المكتبة الأكاديمية ٢٠١١
٢٠٨ ص؛ ٢٤سم.
تدمك: ١ - ٤٤٣ - ٢٨١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - الإعلام - أفريقيا
أ - العنوان
١,٥-

رقم الإيداع: ٩٣٠٦/ ٢٠١٠

حقوق النشر

الطبعة العربية الأولى ٢٠١١م - ١٤٣١هـ

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المصدر والمدفوع ١٨,٢٨٥,٠٠٠ جنيه مصرى

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون : ٣٧٤٨٥٢٨٢-٣٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

فهـــرس



مقدمة

تتفاوت البحوث والدراسات التى يضمها هذا الكتاب من حيث الباحثين الأكاديميين والفترات التاريخية التى أجريت خلالها والموضوعات التى تناولتها والتى تتمحور جميعها حول الصحافة والإعلام الأفريقى خلال المراحل التاريخية المختلفة التى مر بها منذ بداياته الأولى قبل الفترة الاستعمارية مروراً بحقبة الاستعمار الأوربى (البريطانى والفرنسى) خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وصحافة حركات التحرر الوطنى التى تزامنت مع الإعلام الاستعمارى (إعلام المستعمر الأوروبى) وصولاً إلى صحافة حقبة الاستقلال الأفريقى التى بدأت فى ستينيات القرن العشرين والتى شهدت العديد من الأزمات الناتجة عن القمع الحكومى فضلاً عن تركة الموروثات التقليدية (الفقر والأمية والتعددية اللغوية) والتبعية للإعلام الغربى مضافاً إلى كل ذلك الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصال وتداعياتها الإيجابية والسلبية على مسيرة الإعلام الأفريقى.

وفى هذا الإطار يضم الكتاب سبع بحوث ومقالات علمية نستهلها بمدخل عام بعنوان (أفريقيا فى فخ العولمة) يتناول آثار العولمة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى القارة الأفريقية تلك الآثار التى أدت إلى مزيد من التهميش للشعوب الأفريقية وازدياد ضعف الدولة فى أفريقيا وقد تحقق ذلك من خلال أطر قانونية محكمة فرضها مجلس إدارة اقتصاد العالم الذى يضم الثمانية الكبار وصندوق النقد الدولى + البنك الدولى + منظمة التجارة العالمية.

وإذا كانت قوى العولمة قد نجحت فى تخلى الدول الأفريقية عن كثير من وظائفها الاقتصادية والخدمية فإن الإعلام الأفريقى ظل فى أغلبه حكومياً إذ أن معظم الدول الأفريقية لا تزال تعتبر الإعلام أحد مسئولياتها الرئيسية ولا تزال خصخصة وسائل الإعلام ظاهرة ناشئة فى أفريقيا فى ظل عدم تشجيع الحكومات التى تعتبرها تهديداً لنفوذها ومكانتها. وقد جاء ذلك تفصيلاً فى الدراسة الثانية تحت عنوان (الإعلام الأفريقى فى عصر المعلومات) حيث تم استعراض ملامح الخريطة الإعلامية

والمعلوماتية فى أفريقيا والتحديات التكنولوجية والمهنية والثقافية التى تواجه الإعـــلام الإفريقى فى حقبة العولمة.

هذا وقد اقتضت الضرورة أن نعود إلى الوراء قليلاً كـــى نـــستعرض بـــصورة موجزة آثار الظاهرة الاستعمارية الأوربية علـــى الواقـــع الاجتمـــاعى والاقتـــصادى والسياسى وعلاقتها بالبدايات الإعلامية فى هذه المجتمعات ثـــم نتـــابع ردود الفعـــل الأفريقية التى تمثلت فى حركات التحرر الوطنى الأفريقية وكانت قد بـــدأت تفـــرض وجودها بعد الحرب العالمية الأولى وكان لها تعبيراتها الإعلامية التـــى تمثلـــت فـــى الصحافة الأفريقية فى مرحلة النضال الوطنى وظلت تواصل عطائها النضالى حتـــى توج بالاستقلال فى بداية ستينيات القرن العشرين.

ثم استمرت هذه الصحف فى مرحلة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية مع حـــدوث تغييرات شبه جذرية على أدوارها وممارساتها فى ظل تبعية ثلاثية الأبعـــاد شـــملت تبعيتها للسلطة الحاكمة والتبعية التاريخية للتراث الفرانكوفونى والأنجلـــو فـــونى ثـــم التبعية لرؤوس الأموال المحلية والدولية. وقد تناولت الدراسة الثالثة هـــذه التفاصـــيل تحت عنوان (الصحافة الأفريقية بين التبعية والاستقلال). وإذا كانت حرية الـــصحافة تمثل أبرز التحديات التى واجهت الصحافة الأفريقية فى مرحلة الاستقلال الوطنى لذلك ركزت الدراسة الرابعة على علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية فى أفريقيا بالتطبيق على غانا وأثبتت هذه الدراسة عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة إيجابيـــة بـــين نيـــل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة فى غانا إذ أكدت أن جميع الحكومات (مدنيـــة وعسكرية) التى تولت السلطة فى غانا قامت بفرض قيود على حرية الصحافة.

ثم جاءت الدراسة الخامسة كى تلقى الضوء على الصحافة الأفريقيـــة المـــستقلة (الخاصة) باعتبارها متطلباً أساسياً من متطلبات التطور الديمقراطى والاقتصادى فـــى القارة الأفريقية فى عصر المعلومات. وكان مؤتمر اليونسكو الذى انعقد فى ناميبيا عام ١٩٩١ قد أكد فى إعلان (وندهوك) على ضرورة تشجيع المبادرات الفردية المحليـــة والأجنبية لتأسيس صحف أفريقية مستقلة عن الحكومات. وتمثـــل ظـــاهرة الـــصحافة

المستقلة التى تشهدها القارة الأفريقية منذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين الموجه الثانية حيث ظهرت الموجه الأولى خلال الحقبة الاستعمارية وتمثلت فى صحافة التحرر الوطنى فى إطار النضال ضد المستعمر الأوروبى. وقد ركزت هذه الدراسة على السمات العامة للموجه الثانية للصحافة المستقلة فى مسيرة بعض الدول الافريقية وتناولت تفصيلاً الضغوط القانونية التى فرضتها الحكومات الأفريقية على الصحف المستقلة الناشئة علاوة على الضغوط الاقتصادية والمهنية التى تواجه هذه الصحف. وإزاء فشل المجتمع الدولى وعدم استجابته للنداء الذى اطلقه (إعلان وند هوك) بتقديم الدعم للصحافة المستقلة فى أفريقيا مضافاً إليه إصرار الحكومات الأفريقية على فرض العديد من العوائق القانونية والعملية على الصحف المستقلة. الأمر الذى أدى إلى تعثر التجربة. وأكدت الدراسة أن استمرار ظاهرة الصحافة المستقلة فى أفريقيا يتطلب ظروفاً مواتية محلية ودولية تدعم التحول الديموقراطى فى القارة الأفريقية وهذه الشروط لم تتحقق حتى الآن.

هذا وقد تم الاتفاق بين الباحثين على تخصيص القسم الثانى من الكتاب للاقتراب من العلاقات المصرية الأفريقية فى مجال الإعلام خلال الالفية الثالثة وقد اشتمل هذا القسم على دراستين ركزت الدراسة الأولى على صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى اشكاليات وتساؤلات وذلك تواصلاً مع الدراسات التى أجريت عن اتجاهات الإعلام المصرى إزاء القضايا الأفريقية ورصدت مدى نوعية استجابته وتفاعله مع القارة الافريقية والتحديات االتى تواجه شعوبها. وقد كشفت هذه الدراسات عن حقيقة جوهرية تشير إلى أن اهتمام الإعلام المصرى بالقارة الأفريقية يتواكب صعوداً وهبوطاً مع اهتمامَ ومواقف القيادة السياسية الحاكمة إذ يتحدد موقع أفريقيا على أجندة صناع القرار السياسى فى مصر فى ضوء الرؤية الاستراتيجية والتحالفات السياسية والمصالح الاقتصادية الاقليمية والدولية. وإذا كانت الدراسة الحالية قد أكدت هذه الحقيقة فإنها كشفت أيضاً عن الصورة السلبية السائدة لدى الرأى العام المصرى عن أفريقيا والتى نتجت عن أن معظم قطاعات الرأى العام المصرى يستقون آرائهم وانطباعاتهم عن أفريقيا من خلال وسائل الإعلام التى تعتمد على المصادر الغربية المعروفة بتحيزها

ضد القارة الأفريقية وشعوبها. كذلك لا تهتم النخب المصرية المثقفه إلا بالإطار العام للأوضاع السياسية فى الدول الأفريقية ويتجاهلون الجوانب الأخرى التى لا تخلو من إيجابيات كثيرة فى الثقافة والفن والشعر والأدب ومنظومة القيم الاجتماعية والبحث العلمى فى مختلف الدول الأفريقية. واتساقاً مع ما سبق دارت الدراسة الأخيرة حول الصورة الذهنية لدى الشباب المصرى عن افريقيا وحاولت إبراز مصادر وأسباب التشوه والتحيز التى تركز على المظاهر السلبية فى المجتمعات الأفريقية وتحاصر صورة أفريقيا فى الذهن الجمعى للشباب المصرى. وتلقى الدراسة المسئولية على وسائل الإعلام العربية والأفريقية كما تدعوها إلى ضرورة التحرك لتصحيح صورة أفريقيا والسعى بجدية لإزالة كافة صورة التزييف والتشويه التى تحاصر الصور السلبية المتبادلة بين العرب والأفارقة.

ويمثل هذا الكتاب بما يحويه من جهد علمى جماعى خطوة جديدة فى مسيرة الاهتمام الأكاديمى بالإعلام الافريقى من جانب الباحثين المصريين وإذا كانت هذه الخطوة تتواصل مع البداية الأولى التى جسدها كتابى عن (مقدمة فى الصحافة الأفريقية) الصادر عام ١٩٧٩ إلا أننى اعترف بالتقصير لأننى اكتفيت بفتح بوابة البحث العلمى عن الصحافة والإعلام الأفريقى وكنت أطمح أن يدلف منها بعض الباحثين الجادين لإثرائها بالمزيد من البحوث الامبيريقية والنقدية ولكن للأسف لم يتحقق طموحى إذ أنشغل أغلب الباحثين الإعلاميين بمشكلات الإعلام القادم من الشمال ولم تنل قارتنا الأفريقية العظيمة وإعلامها وصحافتها ما تستحقه من الاهتمام والسعى العلمى الجاد من جانب المدرسة المصرية.

وقد شاركنى فى إنجاز هذا الكتاب باحث أكاديمى يتميز بالجدية والأصالة أ.د. حسنى نصر أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة وباحثة أكاديمية لا تقل عنه مثابرة والتزاما أ.د. ليلى حسين أستاذة الإعلام المرئى بجامعة حلوان.

ولازلت أحمل طموحاً يتجدد وأملاً لا يخبو فى ظهور باحثين واعدين من الأجيال الجديدة قادرين وراغبين فى إيلاء مزيد من الاهتمام العلمى لقارتنا الأفريقية وفى قلبها هموم الإعلام والصحافة الأفريقية.

أ.د. عواطف عبد الرحمن

البحر الأعظم – فبراير ٢٠١٠



القسم الأول

المبحث الأول

أفريقيا فى فخ العولمة(*)

---

* أ.د. عواطف عبد الرحمن – أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

أفريقيا فى فخ العولمة:

لا شك إن الهيمنة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية قد أدت إلى استقطاب العالم مرة أخرى ولكن بصورة أكثر حدة بين الشمال والجنوب وبدون المرونة التي كانت قائمة خلال الحرب الباردة والآن لا توجد تقسيمات فى الجنوب أو الشمال بل توجد السوق المعولمة تحت سيطرة الاحتكارات عابرة القارات والقوميات. ومن المؤكد أن هذه الاحتكارات قد تحدت سيادة الدول فى الشمال مثلما فعلت نفس الشئ فى الجنوب ولكن هناك فرق فلا يزال الشمال مسيطراً على موارد العالم والتى يقع الكثير منها فى دول الجنوب ولا تزال الاحتكارات تتمثل فى شركات تنتمى إلى الشمال وتستمد قوتها من حكوماتها فى الشمال وبالنسبة للقارة الافريقية لا توجد شركات افريقية عملاقة كما أن أغلب القطاعات الإنتاجية فى افريقيا لا تزال تخضع بصورة كاملة لسيطرة الشركات عابرة القوميات من الزراعة إلى التصنيع حتى الصناعات الغذائية إلى التعدين إلى النشاط المصرفى والتأمين والشحن والاستيراد والتصدير وأسعار تبادل العملات ثم جاءت منظمة التجارة العالمية لتلعب دورها المركزى فى التحكم فى الاقتصاد العالمى ومعها مخاطر الاتفاقية متعددة الأطراف بشأن الاستثمارات واتفاقية حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة بما يحول دون نقل التكنولوجيا إلى أفريقيا وبما يؤدى إلى مزيد من التهميش للقارة الأفريقية وشعوبها وتبرز بوضوح آثار العولمة على القارة الأفريقية من خلال الأطر القانونية المحكمة التى يسيطر من خلالها أعضاء مجلس إدارة اقتصاد العالم الذى يضم الثمانية الكبار وصندوق النقد الدولى + البنك الدولى + منظمة التجارة العالمية على ثروات ومصائر شعوب الجنوب وفى قلبها أفريقيا.

ويبرز دور منظمة التجارة العالمية التى تعد أحد الأدوات الرئيسية للعولمة فى الحقبة الراهنة وقد انشئت فى مراكش ١٩٩٤ عقب توقيع اتفاقيات التجارة فى دورة أورجواى التى تعد الدورة الثامنة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيما يتعلق بمفاوضات التعريفة الجمركية. ويضاف إلى ذلك الأدوات الخاصة باتفاقية بريتون وودز (صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ومجموعة الدول الثمانية الكبار). وقد وضعت اتفاقية اورجواى فى نطاق اختصاصها قضايا مثل الملكية الفكرية (وكانت

حتى ذلك الوقت ضمن اختصاص المنظمة العالمية للملكية الفكرية) والاستثمارات (وكان ينظر إليها كجزء من حركة رأس المال وليس التجارة) هذه القضايا أصبحت جزء من النظام التجارى العالمى الجديد. وقد وافق عليها ممثلوا الدول الأفريقية كما لو كانوا مشتركين فى حوار ودى مع نفس الدول التى اقتسمت أفريقيا عام ١٨٨٤. ويسيطر التكتل الرباعى (أمريكا - كندا - اليابان - الاتحاد الأوربى) على هيئات منظمة التجارة العالمية بصورة شبه مطلقة وتتخذ القرارات فى المنظمة على أساس ما يسمى الاجماع السلبى ويحرص ممثلوا التكتل الرباعى على حضور جميع الاجتماعات فى الوقت الذى تعانى فيه أفريقيا من نقص الكوادر المتواجدة فى جنيف (مقر المنظمة).

ولذلك فإن الكثير من القرارات ذات الطابع الملزم يتم دون مشاركة الدول الأفريقية والفضل فى ذلك يرجع لقاعدة الاجماع السلبى. وفى هذا الإطار يمكن رصد الملاحظات التالية:-

أولاً: يلاحظ أن تسوية المنازعات فى إطار منظمة التجارة العالمية يستلزم وجود محامين وفنيين تم إعدادهم جيداً وهؤلاء يوجدون أساساً فى أوربا وأمريكا كما يتقاضون اتعاباً باهظة لا يمكن أن تتحملها إلا حفنة قليلة من الدول الأفريقية. وهكذا يخسر الأفريقيون قضاياهم فى حالة اختلافهم مع الدول الكبرى وحتى فى حالة صدور قرار لصالح أى دولة أفريقية ضد دولة كبيرة فليس لدى منظمة التجارة أية آلية لفرض عقوبة جماعية على الدول المدانة. وهكذا فى ظل هذه الخلفية لآليات اتخاذ القرار وفض المنازعات فى منظمة التجارة العالمية يمكننا تقدير الآثار الحقيقية لاتفاقيات دورة أورجواى على الدول الأفريقية.

ثانياً: ارتفاع السلع: من الآثار المتوقعة للنظام الجديد فى ظل العولمة أن ترتفع أسعار السلع الغذائية عالمياً ولذلك فإن أفريقيا المستوردة لغذائها من المنتظر أن تفقد جزءاً كبيراً من حصيلتها من العملات الأجنبية الضرورية لغذاء سكانها.

ثالثاً: الأراضى الأفريقية: ويضاف إلى ذلك أن الأراضى فى أفريقيا مرشحة للمزيد من عمليات تحويلها من إنتاج الغذاء إلى استخدامات أخرى وطالما أن الأرباح ستظل هى القوى الموجهة للاقتصاد العالمى فإن رأس المال سيظل متاحاً لتنمية

الموارد الطبيعية فى أفريقيا بهدف اشباع الحاجات الاستهلاكية للاغنياء وعلى سبيل المثال فإن صناعة السياحة فى أفريقيا يجرى تطويرها أساساً لاشباع الاحتياجات الاستهلاكية للأثرياء فى الغرب وليس لصالح الطبقة المتوسطة أو الطبقة العاملة الأفريقية. حيث يتم يومياً انشاء المزيد من ملاعب الجولف التى تحتل مساحات واسعة من الأراضى وحيث يتم ترحيل السكان وإزالة المجتمعات المحلية كما تزداد حدة نقص المياه الضرورية للمناطق التى تعانى من العجز فى الغذاء.

والشئ الجوهرى هنا هو أن النظام الجديد للتجارة قد أدخل الأراضى الزراعية الأفريقية فى السوق العالمية فى سياق شروط مختلفة كلية عن تلك التى كانت قائمة غداة الاستقلال وهى فى الواقع تماثل الشروط التى كانت سائدة خلال الحقبة الاستعمارية حينما كان بمقدور أى شركة استعمارية وضع أياديها على أى أرض أفريقيا وقع عليها اختيار الشركة لاستثمارها ومعنى ذلك أن العولمة تسلب أفريقيا بعض المكاسب التى استطاعت تحقيقها بعد الاستقلال إبان فترة الحرب الباردة.

ولا شك أن خطر انتقال ملكية الأرض قد تضاعف فى أفريقيا فى ظل العولمة بسبب عاملين اضافيين أولهما الضعف الشديد الذى لحق بالدولة فى أفريقيا خلال العقدين الآخرين والعامل الثانى يتمثل فى تزايد الخوف داخل افريقيا من عدم حصول دولها على الاستثمارات الأجنبية مما يعنى استمرار تهميش القارة.

رابعاً: **الملكية الفكرية والتنوع البيولوجى فى أفريقيا:** تعتبر مسألة حقوق الملكية الفكرية من القضايا التى لم تكن قط محل اختصاص منظمة التجارة العالمية فقد كان يتم تنظيمها بواسطة منظمة أخرى مقرها جنيف هى المنظمة العالمية للملكية الفكرية ولكن اكتسبت الملكية الفكرية أهمية غير مسبوقة فى التجارة العالمية انطلاقاً من التغير الجذرى فى نظام الإنتاج الذى أصبح مبنياً بصورة متزايدة على المعرفة أو تكنولوجيا المعلومات ولم يتم الاكتفاء بادخال الملكية الفكرية فى إطار منظمة التجارة العالمية بل أن منظمة التجارة العالمية وضعت قواعد جديدة لاحتكار هذا النظام لصالح الشركات عابرة القوميات وتتجلى

مخاطر هذا الوضع بالنسبة لأفريقيا فى مجال الموارد الطبيعية حيث تتمتع أفريقيا بميزة نسبية على الغرب بسبب الهبة الطبيعية. وقد استنزف الغرب على مدى القرون الكثير من هذه الموارد وحولها إلى منتجات غذائية وكيماوية وحقق منها أرباحاً بالمليارات. وقد تم الاعتراف فى مؤتمر ريو ١٩٩٢ بثروات الجنوب الطبيعية من خلال اتفاقية التنوع البيولوجى التى اعترفت ضمن أشياء أخرى بحقوق السكان المحليين فى إدارة مواردهم الحيوية ولكن ما أقرته منظمة التجارة العالمية بصدد حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة قد تكفل بتقويض اتفاقية التنوع الحيوى من خلال المادة ٢٧ التى تعترف بأنظمة الحماية النباتية إلا أنها تسارع فتشترط أن يقترن ذلك بفاعلية هذه الأنظمة تجارياً فإذا كانت هذه الأنظمة غير فعالة أى غير تجارية فإن بامكان الاحتكارات العابرة القومية رفع شكاوى أمام منظمة التجارة العالمية للحصول على هذه المواد المتولدة حيوياً وهكذا لم يعد أمام أفريقيا أى مجال للتفاوض فى هذا الشأن ولا يمكن أن تكون هناك أنظمة عادلة فى هذا الشأن ما لم يحصل مالكو الموارد المتولده حيوياً (ومنها المجتمعات المحلية فى أفريقيا) على سعر عادل مقابل مواردهم وما لم يحصلوا على نصيبهم فى المنتجات النهائية حينما تطرح فى الأسواق ولكن هذا ما حالت دونه منذ البداية الهيكلة التى أسستها دورة أورجواى حيث تضغط الشركات الاحتكارية العاملة فى مجال الصناعات الزراعية والكيماوية من أجل تعظيم امتيازاتها بالاصرار على تطبيق اتفاقية حقوق الملكية الفكرية المرتبطة بالتجارة. وقد أعطيت الدول النامية مهلة أربع سنوات أوشكت على الانتهاء.

خامساً: فى ظل اتفاقيات تحرير التجارة يتم حالياً تفكيك الصناعات المملوكة للدولة فى سائر أنحاء أفريقيا حيث تم بالفعل اغلاق بعضها بينما يباع البعض الآخر للشركات الأجنبية ومن ناحية أخرى يفتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الأرخص المجلوبة من الخارج مثال: كانت الصناعات التحويلية تشكل ٢٣% من إجمالى الناتج المحلى فى زيمبابوى عام ١٩٨٩ حينما شرعت فى تطبيق برامج التكيف الهيكلى. وقد انخفضت هذه النسبة عام ١٩٩٧ إلى ١٦,٨% أصبحت تشكل الآن ١٣% من إجمالى الناتج المحلى.

سادساً: أدت سياسة تحرير التجارة والخصخصة إلى سقوط النظام التفصيلى الذى كانت تنص عليه اتفاقية لومى بين الاتحاد الأوروبى والدول الأفريقية مما عرض أفريقيا لخسارة جزء كبير من حصتها فى الأسواق الأوروبية خاصة ما يتعلق بمنتجات مثل الشاى والبن والموز والكاكاو فى مواجهة المنافسة من آسيا وأمريكا اللاتينية. ومن المشكلات الهامة التى تواجه التصنيع فى أفريقيا المغالاة فى التعريفة الجمركية فى دول الشمال مما أسفر عن المزيد من الخسارة للمنتجات الأفريقية.

سابعاً: اخترقت منظمة التجارة العالمية قطاع الخدمات حيث أصبحت جزءاً من التجارة العالمية التى تسيطر عليها الشركات العملاقة والتى لا تتيح لدول الجنوب الفرصة لتطوير قدراتها فى قطاع الخدمات ولذلك من المرجح أن تظل أفريقيا تستضيف إلى الأبد الشركات الغربية فى هذا المجال.

ثامناً: مازال هناك فى أفريقيا من ينظر إلى الاستثمارات الأجنبية المباشرة بوصفها العلاج لكل مشكلات التنمية ومما يؤكد ذلك النقص المتزايد فى المعونات الغربية لمشروعات التنمية فى أفريقيا وذلك لأسباب تتعلق بفساد الحكام الأفارقة وسوء استخدامهم للمعونات ولذلك تحول الاهتمام إلى الاستثمارات الأجنبية المباشرة بزعم أنها هى الوسيلة الوحيدة القادرة على انقاذ أفريقيا من الأزمة التنموية والواقع أن الكثير من موارد أفريقيا المعدنية والطبيعية مثل الغابات والمصايد وحقول النفط واقعة اصلاً فى أيدى رأس المال الأجنبى فالاستثمارات الأجنبية المباشرة فى أفريقيا هى فى الأساس وسيلة لاستخلاص الموارد الخام من القارة بأسعار زهيدة مثال أمريكا والنفط الأفريقى الرخيص الذى لن يوظف لتنمية الدول الأفريقية.

تاسعاً: تضغط الدول الكبرى فى اتجاه توقيع اتفاقية متعددة الأطراف بشأن الاستثمارات بما يزيد من سيطرة رأس المال الأجنبى على الحكومات المحلية التى تعنى بالنسبة لافريقيا بوجه خاص ألا يكون للحكومات الأفريقية سيطرة من أى نوع على كيفية قدوم رأس المال الأجنبى إلى بلادها ولا كيفية عملها ولن يكن رأس المال الأجنبى ملزماً بنقل التكنولوجيا أو استخدام عمالة وطنية

ولا بالشراء من الموارد المحلية وسيحصل رأس المال الأجنبى على معاملة أفضل من رأس المال الوطنى فيما يتعلق بتحويل الأرباح إلى الخارج وحماية أفضل فى مواجهة أى تهديد محتمل بالمصادرة من جانب الدولة. وباختصار فإن الافارقة إذا أرادوا أن يقيموا صناعات فى بلادهم فإن هذا لن يتسنى تحقيقه إلا من خلال استقبال رؤوس الأموال الأجنبية.

عاشراً: الخصخصة لصالح الأجانب: إن الأصول الأقتصادية حينما يتم خصخصتها فى أوروبا فإنها تظل فى أيدى أوروبية لأن القطاع الخاص هناك يستطيع شراء الأصول المملوكة للدولة مثال خصخصة شركة تليكوم البريطانية. ولكن فى أفريقيا تم اجبار الدولة الأفريقية من خلال ضغوط المانحين على تخصيص أصولها الوطنية للأجانب وكانت النتيجة هى وقوع هذه الأصول فى أيدى أجنبية.

أخيراً: ازدياد ضعف الدولة فى أفريقيا: تتصف الدولة فى أفريقيا بالقوة والشراسة أحياناً فى تعاملها مع الشعوب الأفريقية ولكنها فى مواجهة الدول الأجنبية يبدو ضعفها وتهافتها بصورة مشينة فى كثير من الأحيان خصوصاً أمام الدول المانحة التى استمرت طوال العقد الماضى فى ضغوطها على الحكومات الأفريقية حتى أدت إلى التصفية الفعلية لكل وظائف الدول الاقتصادية.

المبحث الثانى

الإعلام الإفريقى فى عصر المعلومات(*)

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن – أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة



من خلال شعارات الليبرالية الجديدة والسوق الحرة ومن خلال أطر قانونية محكمة (اتفاقيات الجات) استطاعت القوى العالمية المتحكمة فى السوق أن تعيد إنتاج الهيمنة الغربية على دول الجنوب فى ثوب جديد يسمى العولمة. وفى ظل العولمة تم تهميش مجمل دول الجنوب وفى مقدمتها القارة الأفريقية التى تم حرمانها من التمتع بحقوقها فى مواردها الطبيعية التى أقرتها اتفاقية التنوع الحيوى فى قمة ريو دى جانيرو ١٩٩٢. كما تم تصفية وتفكيك الصناعات المملوكة للدولة فى مختلف أنحاء أفريقيا وفُتح الباب على مصراعيه أمام الواردات الأرخص المجلوبة من الخارج كما تم اسقاط النظام التفصيلى للمنتجات الافريقية الأساسة مثل البن والكاكاو والشاى والموز مما عرض الدول الأفريقية لخسائر فادحة فى الأسواق الأوربية. هذا علاوة على حرمان أفريقيا من امكانية التصنيع إلا برؤوس أموال أجنبية من خلال اتفاقية الاستثمار المتعددة الأطراف. ونتيجة للضغوط المتواصلة من جانب جماعة المانحين انتهجت الدول الأفريقية طوال العقد الماضى سياسات أسفرت عن التصفية الفعلية لكل وظائف الدولة الاقتصادية حيث تم إجبار الدول الأفريقية على خصخصة أصولها الوطنية. وإذا كانت قوى العولمة قد نجحت فى تخلى الدول الافريقية عن كثير من وظائفها ومسئولياتها فإن الإعلام الأفريقى له وضع آخر فهو لا يزال فى أغلبه حكومياً. إذ أن أغلب الحكومات الأفريقية لا تزال تعتبر الإعلام أحد مسئولياتها الرئيسية. ولذلك فإن خصخصة وسائل الإعلام لا تزال ظاهرة ناشئة فى أفريقيا فى ظل عدم تشجيع الحكومات التى تعتبرها تهديداً لنفوذها ومكانتها. هذا ويشير المشهد الإعلامى فى أفريقيا إلى مجموعة من الحقائق والتحديات وبعض مظاهر التحسن النسبى نوجزها على النحو التالى:

أولاً: ملامح الخريطة الإعلامية والمعلوماتية فى أفريقيا:

١- يسكن القارة الأفريقية ٦٣٦ مليون نسمة يعيش ٣٢% منهم فى المدن فيما يعيش فى الريف الأفريقى ٦٨% من سكان القارة. وهناك تعددية أثنية ولغوية (حوالى ١٣٠٠ لغة شفوية) وتبلغ نسبة الأمية فى أفريقيا ٨٠%. وتشير احصاءات اليونسكو ١٩٩٦ إلى أن ١٨% من السكان يمتلكون الراديو ويعتمد الغالبية العظمى من شعوب القارة على الراديو كوسيلة أولى للأخبار. ولا تتعدى نسبة

استهلاك الصحف ٤ فى الألف إذ يوجد فقط ١٧٥ صحيفة يومية و٣٠٠ دورية أسبوعية وشهرية فى جميع أنحاء القارة الأفريقية وهناك ٣ ١/٢% من سكان القارة يمتلكون التليفزيون و٠,٠٣% يمتلكون الكمبيوتر. وتتفرد أفريقيا بعادات القراءة الجماعية للصحف والاستماع والمشاهدة الجماعية للإعلام المسموع والمرئى خصوصاً فى الريف الافريقى.

٢- يسيطر نمط الملكية الحكومى على مختلف وسائل الإعلام المقروء والمرئى والمسموع فى أفريقيا ما عدا عدد قليل من الدول تتصدرها مصر وجنوب أفريقيا وكينيا وزامبيا وناميبيا والسنغال وتونس والمغرب والجزائر.

٣- يتركز الإعلام الأفريقى فى العواصم والمدن الكبرى مما يعنى اقتصار الخدمات الإعلامية على سكان المدن وحرمان الريف الأفريقى. كما أن السياسات الإعلامية فى معظم الدول الأفريقية تركز على الجوانب السياسية والدعائية للحكام.

٤- يتركز سوق الإعلام الفضائى فى منطقتى الانجلوفون والفرانكوفون. أما المناطق الناطقة بالبرتغالية فهى لا تزال تعيد إذاعة برامجها فى انجولا وموزمبيق. ويتميز كل من شمال القارة ممثلة فى مصر وجنوب القارة ممثلة فى جنوب أفريقيا فى مجال الفضائيات. إذ توزع شركة جنوب أفريقيا Multi Choice قنواتها على ٣٩ دولة افريقية وتعتبر القناة رقم ٥ المخصصة للموسيقى أشهر هذه القنوات. كما انشأت هيئة الإذاعة بجنوب أفريقيا قناة أفريقيا الفضائية للأخبار وتقتصر هذه الخدمة على النخب القادرة على اقتناء الهوائيات. ومنذ عام ١٩٩٨ بدأت بعض الدول الأفريقية فى استقبال قنوات النايلسات أول قمر أفريقى يديره اتحاد الإذاعة والتليفزيون المصرى.

٥- تتوفر الخدمات المعلوماتية فى ٢٧ دولة افريقية أغلبهم فى منطقة الفرانكوفون حيث بدأ استخدام المينتيل قبل أن تصبح خدمات الانترنت متاحة فى القارة والتى بدأت تنتشر فى السنوات الأخيرة حيث أصبحت معظم الدول الأفريقية متصلة بشبكة الانترنت وهناك عدد قليل من الدول الافريقية التى تمتلك خطوط اتصال دولية على الانترنت ومعظمها يتم عن طريق الأقمار الصناعية. أما البريد الالكترونى فهناك تزايد فى عدد المشتركين خصوصاً الهيئات العامة مثل

المستشفيات والشرطة. ويبلغ عدد مستخدمى الانترنت ٢٢ مليون و٨٧٠ ألف منهم ١٣ مليون مستخدم فى جنوب أفريقيا والـ٩ مليون الباقية لسكان القارة إلى ٦٣٦ مليون نسمة.

٦- تشير الاحصاءات إلى أن نسبة استخدام الأفراد للتليفونات فى افريقيا تبلغ ١,٤% علماً بأن أغلب التليفونات تتعرض للعطل أثناء مواسم المطر. ومما يجدر ذكره أن ٥٠% من خطوط التليفون تتركز فى العواصم الكبرى حيث يعيش ١٠% من سكان القارة. ومما يثير الدهشة أن معدل توفر الخطوط الرقمية فى القارة تقترب من النسبة العالمية إذ تبلغ ٦٩% فيما لا تزيد النسبة العالمية عن ٧٩%. هذا ويتدنى معدل الخدمة التليفونية فى دول الساحل التى تضم النيجر ومالى والكونغو إذ لا يزيد عن جهازين لكل ألف نسمة فيما تزداد الكثافة التليفونية فى كل من الشمال والجنوب الأفريقى حيث تبلغ ٣٥ جهازاً لكل ألف نسمة أما غرب وشرق القارة فالنسبة تتراوح بين ٢,٥، ١٠ أجهزة لكل ألف نسمة. وقد أدى ذلك إلى مضاعفة سعر الخدمات والخطوط التليفونية فهى تستهلك ٢٠% من الدخل القومى للدول الأفريقية فيما لا يزيد المعدل العالمى عن ٩%. وقد ترتب على ذلك سرعة انتشار المحمول فى الدول الأفريقية كبديل عن قلة الخطوط التليفونية. وقد أصبحت هذه الخدمة متاحة فى ٤٥ دولة أفريقية. ورغم ضآلة الخطوط التليفونية إلا أن نسبة استخدام المكالمات الدولية يتجاوز المعدل العالمى ويعزى ذلك إلى زيادة اعداد الافارقة الموجودين خارج القارة والذين يحرصون على مداومة الاتصال بأهاليهم داخل القارة.

٧- هذا وقد قامت ٢٥ دولة أفريقية بخصخصة هيئات الاتصالات السلكية الوطنية من بينها ساحل العاج وغانا وغينيا والسنغال وجنوب أفريقيا وأوغندا. كما أقامت ٢٠ دولة أفريقية نظماً مستقلة أو شبه مستقلة فى الاتصالات. وهناك ١٥ دولة أفريقية منها الكاميرون ومدغشقر وتانزانيا ومالاوى بدأت فى إجراءات الخصخصة لقطاع الاتصالات.

الإعلام الأفريقى المشترك:

يعانى الإعلام الافريقى المشترك من عدة قصورات تحول دون قيامه بدور فعال فى خدمة قضايا القارة اقليمياً وعالمياً علاوة على عجــزه عــن تلبيـــة الاحتياجــات الإعلامية والاتصالية لسكان القارة وتتمثل هذه القصورات فى:

١- ضعف الأداء الإعلامى لوكالة بانا الاقليمية التى تضم ما يزيد عن ٢٢ وكالة أنباء أفريقية ومقرها السنغال. وقد أتجهت فى الفترة الأخيرة إلى الخصخصة بعد معاناة طويلة بسبب عدم التزام الدول الأعضاء بدفع الاشتراكات وضعف التمويل الدولى وعدم كفاية الكوادر المؤهلة المدربة فضلاً عن غياب الاســتراتيجية الإعلاميـــة الأفريقية الموحدة.

٢- ضعف الأداء الإعلامى لاتحاد الإذاعات الأفريقية الذى يضم ٢٤ دولـــة أفريقيـــة ويتولى بث وتوزيع البرامج المحلية والأجنبية فى ضوء الاتفاقيات المعقودة بـــين الدول الأعضاء وبعض المنظمات الدولية.

وقد اسفرت هذه القصورات عن ترك الساحة الأفريقيـــة خاليـــة أمـــام شـــبكات الاتصال الدولية مثل CNN، BBC، يورونيوز والشبكة الفرنسية التى يتركز نـــشاطها فى كل من داكار وجوهانسبرج ونيروبى ولاجوس وهزارنى ولوزاكا.

التحديات التى تواجه الإعلام الأفريقى:

لا شك أن غياب البنية التحتية للاتصالات والمعلومات فى معظم أنحاء القارة ما عدا المدن والعواصم الكبرى قد حال دون الاستفادة من الثورة التكنولوجية فى مجالى الاتصال والمعلومات مما أدى إلى إتساع الفجوة بين أفريقيا وسائر القارات من ناحية وفى داخل القارة من ناحية أخرى. ومما فاقم هذا الوضع استمرار وتزايـــد معـــدلات الأمية والفقر خصوصاً فى المنطاق الريفية النائية فى أفريقيا. ورغم وجـــود بعـــض مظاهر التحسن النسبى إلا أنه لم يبلغ المعدل المطلوب الذى يسمح بتحقيق الحد الأدنى العادل من الخدمة الإعلامية والاتصالية والمعلوماتية لسكان القارة.

وتتمحور الصعوبات فى هذا المجال حول:

١- ضعف الاستثمارات فى مجالى الاتصالات والمعلومات ومما يجدر ذكره أن القطاع الخاص فى الدول الأفريقية يحجم عن انشاء صحف أو إذاعات تتوجه إلى المناطق الريفية المهمشة ويؤكد ذلك أن التراخيص لا تمنح إلا للمحطات التى تقام فى مناطق حضرية ذات كثافة سكانية عالية مما يضمن للمعلنين دخلاً وإقبالاً جماهيرياً.

- هبوط مستوى الخدمات الاتصالية والإعلامية الحكومية.
- نقص الكوادر المؤهلة والمدربة فى مجال الإعلام والمعلومات.
- استنزاف القروض الدولية فى تغطية نفقات الاتصالات التليفونية واستخدام الانترنت. وتشير التقديرات الدولية إلى ضرورة توفير اعتمادات تتراوح ما بين ٤-٦ مليار دولار لتحسين الخدمات الاتصالية والمعلوماتية سواء من حيث الكثافة أو النوعية وإلا ستظل افريقيا فى ذيل دول العالم فى مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات.
- هذا وتشير الشواهد إلى وجود ثلاثة أنواع من التحديات تواجه الإعلام الأفريقى تتراوح ما بين تحديات تكنولوجية وتحديات مهنية وتحديات ثقافية. وتفصيلاً لذلك:

التحديات التكنولوجية تتمثل فى:

١- سيطرة الشركات المتعدية الجنسية على إنتاج وتسويق التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية فى أفريقيا.

٢- معظم الدول الأفريقية لا تملك بنية تحتية ولا كوادر بشرية مؤهلة ولا قدرات تمويلية تمكنها من توطين التكنولوجيا الاتصالية والمعلوماتية باستثناء جنوب أفريقيا ونيجيريا. وقد ترتب على ذلك اعتماد الدول الأفريقية على القروض الأجنبية بما لها من تداعيات سلبية على مسيرة الإعلام الأفريقى وتوجهاته مع الاكتفاء بنقل التكنولوجيا دون العمل على توطينها.

التحديات المهنية:

لقد أدت السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام الأفريقية إلى حرمان الإعلاميين الأفارقة والجماهير من حقوقهم فى حرية التعبير والمشاركة كما أدى ذلك إلى زيادة عجز النقابات الصحفية فى أفريقيا عن القيام بمسئولياتها تجاه المهنة وحماية حقوق الصحفيين.

هذا ويعانى الإعلام الأفريقى من ضعف التدفق البينى فى المعلومات والأخبار بين الدول الأفريقية إذ لا يزيد عن ٢% بسبب اعتماد الإعلام الأفريقى على المصادر الغربية التى تشمل الفضائيات وشبكات المعلومات مثل الانترنت والمينيتيل. كما أدت القفزة المفاجئة فى استخدام شبكات المعلومات واقتناء الهوائيات إلى حدوث خلل وعدم توازن فى الممارسات الإعلامية فى أفريقيا. ويعزى ذلك فى الأساس إلى عدم إجراء التعديلات اللازمة فى السياسات الإعلامية والثقافية بما يتلائم مع طبيعة المرحلة الراهنة ومتطلباتها. وإذا كانت الصحافة الأفريقية قد أستفادت جزئياً من الثورة التكنولوجية فى الاتصال والمعلومات خصوصاً فى مجال النشر والتوثيق والطباعة واستخدام الأقمار الصناعية فى إصدار طبعات اقليمية ودولية مثال مصر - الجزائر - جنوب أفريقيا - نيجيريا - كينيا - زامبيا - إلا أن الصحافة الأفريقية لا تزال تعانى من تدنى الامكانيات فى تكنولوجيا الطباعة (صناعة الورق - الأحبار.. إلخ) وإهمال التدريب للصحفيين الأفارقة وتخلف برامج التأهيل الأكاديمى علاوة على تراث السيطرة الحكومية.

التحديات الثقافية:

تتعرض السماوات الأفريقية للبث المباشر المنتظم من جانب ٣١٠ قناة فضائية تنتمى إلى ٥ شبكات رئيسية عالمية للأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية. وتشكل الولايات المتحدة القاعدة الأهم والأكثر تأثيراً للمشروع الثقافى العولمى بوجهه الاحتكارى وقدراته التكنولوجيا الهائلة وأدواته الإعلامية والمعلوماتية المتقدمة والتى تلعب الدور الحاسم فى نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجارى والتى تسعى بدأب لإعادة بناء المنظومة الثقافية والقيمية لدى شعوب العالم بما يخدم مصالح السوق وأيديولوجيتها وذلك من خلال تهميش الثقافات الأخرى وفى مقدمتها الثقافة

الأفريقية. وفى ظل اكتساح الثقافة الأمريكيــة للعــالم بــسبب هيمنتهــا الاتــصالية والمعلوماتية يبرز أمامنا بوضوح التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الأنجلوأمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم. وتعد أفريقيا ساحة رئيسية لهذا التنافس حيــث تبرز الفرانكوفونية كأداة لمقاومة نزعة الهيمنة التى تكرسها الانجلوفونية بأعتبارهــا أداة التواصل الأكثر ذيوعاً وانتشاراً سواء على النطاق العالمى أو فى القارة الأفريقية بوجه خاص من خلال ما تبثه من برامج ومسلسلات مرئيــة ومــسموعة وتــستهدف الترويج لنمط الحياة الأمريكية. وتتعرض أفريقيا حالياً للاختراق الثقافى الأمريكى من خلال شبكات المعلومات والفضائيات والطريق السريع للاتصال والمعلومــات حيــث تستكمل الدور الذى تقوم به الشركات المتعدية الجنسية والثلاثى والاقتصادى (البنــك الدولى + صندوق النقد الدولى + منظمة التجارة العالمية) والثمانية الكبــار للــسيطرة على الأسواق الأفريقية ويتم الاختراق الثقافى للدول الأفريقية لصالح السوق العالميــة وعلى حساب أى محاولات وطنية للنهــوض أو الاســتقلال أو التمــايز الاقتــصادى والثقافى.

مؤشرات التحسن النسبى فى الإعلام الأفريقى:

فى ضوء الادراك العالمى المتزايد بــضرورة تطــوير تكنولوجيــا الاتــصال والمعلومات لدفع عجلة التنمية فى أفريقيا برزت كثير من المبادرات الدولية لتيــسير وصول شعوب القارة إلى مصادر وشبكات المعلومات والاتصال الدولية قدمتها كل من اليونسكو والاتحاد الدولى للاتصالات والهيئة الكندية للتنمية الدولية ويضاف إلى ذلــك البرامج العديدة لتطوير البنية الإتصالية والمعلوماتية فى القارة والتى طرحها السكرتير العام للأمم المتحدة. وهناك عدة مؤشرات للتحسن تتمثل فى القرارات التى صــدرت عن مؤتمر أديس ابابا الذى عقده اليونسكو عام ١٩٩٥ وقد نجح فــى إعــداد إطــار تنظيمى لتطوير استخدام الكومبيوتر فى مشروعات التنمية تجسد فى الوثيقة التى تبناها وزراء الإعلام الأفارقة عام ١٩٩٦ وعرفت باسم (المبــادرة الأفريقيــة فــى مجــال المعلومات). وتركز هذه الوثيقة على خطط تطوير البنية التحتية فى مجال الاتــصال والمعلومات فى إطار الأولويات التنموية للدول الأفريقية من خلال تعزيز التعاون بين الدول الأفريقية. وقد بدأت بعض الدول الأفريقية فى تنفيذ ما نصت عليه هذه الوثيقــة

مثل بوركينافاسو والكاميرون وجزر القمر وأثيوبيا وجنوب أفريقيا ورواندا وموزمبيق وناميبيا وليسوتو وأوغندا. كذلك اتخذ مؤتمر ابيدجان للاتصالات المشتركة بين الدول الأفريقية الذى عقد عام ١٩٩٨ عدة قرارات هامة تنص على الزام وزارات الإعلام بوضع سياسات جديدة فى مجال إعادة تسعير الخدمات الاتصالية. وقد أثمرت هذه الجهود فى إعداد وثيقة عرفت بعنوان (علاقات التعاون الاتصالى بين الدول الأفريقية) شارك فى إعدادها ٤٠ وزير إعلام أفريقيى وتهدف إلى انشاء ١٥ مليون خط تليفونى خلال السنوات الخمس القادمة. وقد تضمنت الوثيقة الإشارة إلى ضرورة تأسيس مراكز للاتصال والمعلومات فى المناطق الريفية وقد ساند الاتحاد الدولى للاتصالات وبعض الهيئات الدولية الأخرى هذا المشروع مما أسفر عن تاسيس ٢٠ مركزاً تجريبياً فى أنحاء مختلفة من القارة.

هذا وتتصدر اليونسكو جميع المنظمات الدولية فى منح أولوية قصوى لتطوير قطاع المعلومات والاتصالات فى أفريقيا من خلال تعزيز برامج التعاون الاقليمى والاهتمام بالإعلام الريفى فى القارة. وقد برز ذلك فى عدة مشروعات أبرزها شبكات تدريب المعلمين على تكنولوجيا الاتصال واستخداماتها فى مجال التعليم وقد بدأ هذا المشروع فى كل من السنغال وزيمبابوى وسوف يمتد ليشمل ٢٢ دولة أفريقية. كما وافق البرنامج الانهائى للأمم المتحدة على تخصيص ٦ مليون دولار لتحسين استخدامات الانترنت فى أفريقيا فيما عرف بمشروع أو مبادرة الانترنت فى أفريقيا. وقد شاركت فى هذا المشروع كل من أنجولا وبوركينافاسو والرأس الأخضر وتشاد والكونغو وجامبيا وموريتانيا وناميبيا وساوتومى وبرنسيب وسوازيلاند وتوجو. أما برنامج الأمم المتحدة للبيئة فقد أسس شبكة الاتصالات البيئية فى أفريقيا. وتقدم منظمة الدول الناطقة بالفرنسية مساعدات أساسية لبرامج ومشروعات التكنولوجيا الاتصالية فى أفريقيا الفرانكوفونية. وقد بدأت ثمارها تظهر فى كل من بوركينا فاسو والكاميرون وساحل العاج ومدغشقر ومالى وموريشيوس وموريتانيا والسنغال.

وخلاصة ما يمكن قوله بالنسبة لهذه المساعدات الدولية أنها تسعى بالفعل إلى تضييق الفجوة بين أفريقيا وسائر قارات العالم من ناحية وداخل أفريقيا ذاتها بين الريف والحضر والأغنياء والفقراء من ناحية أخرى. خصوصاً وأن المخاوف تتزايد

عندما نلاحظ أن معدلات اختفاء الأمية وتحسين نوعية الحياة والحالة الصحية وسـائر مؤشرات التنمية البشرية لا تزال منخفضة فى القارة الأفريقية لذلك فإن المـساعدات الدولية ما لم يصاحبها جهود وطنية مخلصة من أبنـاء القـارة وطلائعهـا الـشعبية المستنيرة لمساعدة القارة على النهوض باستخدام التكنولوجيا الملائمة وتحقيق معدلات التنمية اللائقة المصحوبة بعدالة توزيع عائد الثروات على جميع هؤلاء الذين ينتمـون للقارة فى الريف والحضر ما لم يحدث ذلك فإن تحقيق هذا الأمل سيظل حلماً جميلاً.

المبحث الثالث

الصحافة الأفريقية بين الاستقلال والتبعية(*)

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن – أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة

تقدم لنا الدول الافريقية فى مجملها وجهين متضادين فهى تمثل من جهة ظاهرة اقتصادية واجتماعية وسياسية وسكانية متشابهة عند مقارنتها بالدول المتقدمة ولكن ما أن ينظر إلى هذه الدول بمعزل عن بقية العالم حتى تبدو شديدة التنوع. وهذا التنوع لا يقتصر على الدول ذاتها بل إن فى كل دولة منها تنوعاً مذهلاً يرجع إلى مجموعة من العناصر المركبة. فهى تتكون أولاً من سكان ذوى أصول قبلية متنوعة وفى داخل كل وحدة من هذه المجموعات تتمتع الجماعات التى تكونها بأصالة قوية. كما أن تنظيم هؤلاء السكان كان يقوم عند احتكاكهم بالغرب على أسس اجتماعية مختلفة. وقد توصلت الدول الافريقية فى تطورها إلى نظم اقتصادية واجتماعية شديدة التباين يمكن وصف خطوطها العريضة بأنها تتراوح بين التنظيم القبلى الذى يقوم على الشيوع وبين النظم شبه الاقطاعية التى يتفاوت تنظيمها من بلد إلى آخر بدرجات مختلفة. وفى معظم هذه البلاد تتعايش أشد أشكال التنظيم تطوراً مع أكثرها بدائية. وخلافاً للدول المتقدمة التى تطورت بصورة ذاتية فإن الدول الأفريقية لا يمكن تقييم أوضاعها الراهنة إذا أغفلنا النفوذ الاجنبى. فلقد تباينت النظم الاستعمارية كثيراً بتباين الأمم واختلاف العصور وكذلك اختلفت وسائلها وأهدافها إذ تختلف بصورة واضحة نماذج كل من الاستعمار الاسبانى والبرتغالى فى القرنين ١٦، ١٧ عن تلك التى تقابل العهود الأولى من الثورة الصناعية[١].

وقد يبدو من الضرورى أن نستعرض بشكل موجز آثار الظاهرة الاستعمارية الأوربية على الواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمعات الأفريقية ثم نتابع ردود الفعل الأفريقية التى تمثلت فى حركة التحرر الوطنى الأفريقى التى بدأت تفرض نتائج وجودها منذ نهاية الخمسينات فى القرن العشرين. وعندما نتأمل قليلاً الظاهرة الاستعمارية الأوربية نلاحظ أنها تمخضت عن ثلاثة أشكال كان لكل منها أسلوبه المميز سواء فى الحكم أو فى الاستغلال الاقتصادى أو فى إدارة الصراع مع القوى المحلية. فنلاحظ أن الرأسمالية التجارية الأوربية قد أفرزت أقدم الأشكال الاستعمارية وأكثرها تخلفاً وتتمثل فى كل من الاستعمار الاسبانى والبرتغالى فى القرنين ١٦، ١٧

---

(١) جون هاتش: تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ترجمة عبد العليم منسى - دار الكاتب العربى - القاهرة ١٩٦٩ ص٤٣٧-٤٥٦.

تليها فى الترتيب الزمنى الرأسمالية الصناعية الأوربية التى أدى تطورها فى القرنين ١٨، ١٩ إلى ظهور كل من الاستعمار البريطانى والفرنسى والألمانى والبلجيكى. أما الشكل الثالث والأخير فهو يتجسد فى ظاهرة الاستعمار الاسيتطانى الأبيض فى بداية القرن العشرين وكان الجزء الجنوبى من القارة الأفريقية هو مجالها الحيوى ولقد ساهمت طبيعة المستعمر ودرجة تطوره فى سلم الرأسمالية الأوربية فى تحديد شكل ومضمون الصراع مع شعوب المستعمرات. فنلاحظ أن كلا من الاستعمار الفرنسى والبريطانى قد خلق مناخاً للصراع مختلفاً عن ذلك المناخ الذى فرضه كل من الاستعمار البرتغالى والاسيتطانى فقد اتسمت السلطة الاستعمارية الفرنسية بالطابع الأوتوقراطى أكثر من الاستعمار البريطانى الذى كان يعتمد على أساليب للحكم اتسمت بالمرونة والليبرالية من حيث السماح بقيام أحزاب وطنية وبالتالى صدور صحف وطنية تعبر عن هذه الأحزاب. وقد ساعد هذا المناخ على نشوء حركات وطنية اتبعت الأسلوب السلمى فى كفاحها ضد الاستعمار البريطانى. وقد حققت هذه الحركات السلمية أهدافها فى الحصول على الاستقلال الكامل أو المشروط أو مجرد وعد بالاستقلال ووصلت إلى ذروة نجاحها فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات فى القرن العشرين.. هذا بينما تجد أن المستعمرات الأفريقية التى لجأت إلى الكفاح المسلح هى التى خضعت للاستعمار الأكثر تخلفاً والذى يتميز بروح القهر الصليبية حيث قام بتحويل الشعوب الأفريقية التى خضعت له إلى مجموعة من الكادحين المعدمين وبالتالى فقد جاءت ثوراتها الوطنية متأخرة عن سواها ولكنها تتميز بالعنف المسلح وتشتمل على مطالب كل من الثورتين الوطنية والاجتماعية معاً.

هذا وقد تبلورت على أرض القارة الأفريقية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وحتى أوائل الستينيات ثلاثة اتجاهات رئيسية لتحقيق التحرر الوطنى والحصول على الاستقلال يمكن انجازها على النحو التالى:-

أولاً: الاتجاه السلمى المعتدل الذى تمثل فى اقتناع بعض الزعامات الأفريقية بفكرة العمل داخل النظام الاستعمارى للحصول منه على الاستقلال من خلال العمل الدستورى وقد عبر عن هذا الاتجاه كل من نيجيريا والسنغال وساحل العاج.

ثانياً: الاتجاه السلمى الراديكالى وقد تبنته التنظيمات الشعبية التى تصدت للقوى الاستعمارية ووضعتها أمام الاختيار بين منح الاستقلال السياسى لهذه التنظيمات الوطنية أو المواجهة الشعبية الحادة التى كانت تملك هذه التنظيمات القدرة على تفجيرها وقد عبر عن هذا الاتجاه كل من غينيا وغانا وتنجانيفا.

ثالثاً: الكفاح المسلح وقد لجأت إليه الجماهير الأفريقية لمواجهة حكم المستوطنين الأوربيين مباشرة إذ أنها لم تجد مفراً من اللجوء إلى الكفاح المسلح الذى واجه عدة انتكاسات فى روديسيا وصفى فى كينيا ونجح فى إطار الثورة الوطنية الشاملة فى كل من الجزائر وانجولا وموزمبيق وغينيا وزيمبابوى[١].

وقد انقسم المجتمع الافريقى أثناء الفترة الاستعمارية إلى ثلاثة قطاعات، القطاع التقليدى وقطاع المهنيين وعمال المدن وفيما بينهما قطاع الحرفيين الذى كان ينتمى بعض أفراده إلى عائلات وقبائل لها وزنها فى المجتمع إذ كانت تتمتع برسوخ مكانتها وثرائها النسبى. وقد كان للاستعمار الأوربى أثر على التركيب الاجتماعى للمجتمعات الأفريقية يتكون من عدة أبعاد أولها أنه أضعف الحكم القبلى بأن قلل من شأن وطبيعة المجتمع المستقرة وثانيها أنه خلق طبقة بورجوازية جديد من المحامين والأطباء والمدرسين والتجار وثالثها أنه خلق طبقة بورجوازية صغيرة متمدينة ومتداخلة مع العمال وتتكون من العمال المهرة والكتبة وصغار المدرسين والتجار والصحفيين وهذه الطبقة تمثل غالبية سكان المدن كما كانت تعيش قريبة من القطاعات الواسعة من العمال الريفيين[٢].

المثقفون الأفريقيون فى مرحلة التحرر الوطنى:

لقد لعب المثقفون الأفريقيون دوراً قيادياً فى مرحلة التحرير الوطنى سواء الرعيل الأول منهم والذى كانوا ينتمون فى غالبيتهم إلى الأوساط البورجوازية الاصلاحية وكانوا يهدفون فى أفضل الأحوال إلى تحقيق التسويات مع السلطات

---

(١) جاك وودز: جذور الثورة الافريقية – ترجمة فؤاد بلبع – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – القاهرة ١٩٧١ – ص٤٠٢-٤٠٧.

(٢) عدد من العلماء السوفيت: التركيب الطبقى للبلدان النامية – ترجمة داود حيدر ومصطفى الدباس – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٤ – ص٣٥٧-٣٦٧.

الاستعمارية. أما الرعيل الثانى من المثقفين الأفريقين فقد تميز بالأسلوب الراديكـــالى فى مواجهة السلطات الاستعمارية مما ساعدهم على تحقيق الاستقلال الوطنى وقد كان الحصول على الاستقلال نذيراً بحمل كثير من التغيرات الجوهرية التى طرأت علـــى موقع المثقفين الافريقيين وأدوارهم فى الدول الأفريقية المستقلة. إذ تبنى بعضهم فكــر ومصالح الجماهير الافريقية بينما انصرف البعض الآخر عن مواقع الريادة يأساً مــن الأوضاع التى نشأت بعد جلاء المستعمرين هذا فى الوقت الذى تعلق فيه الفريق الثالث بأذيال الحكومات الافريقية الجديدة كناطقين باسمها ومبررين لسياستها. هذا هو التغير الذى طرأ على مواقع المثقفين الافريقيين بعد الاستقلال. أما أدوارهم فقد تعرضـــت لتغيرات أساسية وذلك بسبب المهام والمسئوليات التى أصبحت تواجههـــا الحكومـــات الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال من ناحية وبسبب التغير الذى طرأ على علاقة المثقفين الأفريقيين بالسلطة السياسية من ناحية أخرى. فقد أصبحت المهمة الأولى أمام الحكومات الأفريقية هى إعادة بناء الدولة بصورة جذريـــة ســـواء علـــى المـــستوى الاقتصادى أو السياسى أو الثقافى. وإذا كانت هذه المرحلة لا تحتاج بالدرجة الأولـــى إلى دعاة سياسيين وخطباء بقدر حاجتها إلى مهندسين وأطباء وخبراء فنيين فى شـــتى المجالات فإن ذلك لا يعنى انتهاء دور المثقفين بقدر ما يعنى التغير فى نوعيـــة هـــذا الدور إذ يبدأ دورهم فى التراجع كطليعة سياسية ويفتح أمامهم امكانيات وآفاقاً جديدة لم تكن موجودة فى المرحلة الاستعمارية وتبدأ أمام المثقفين مهمة اعـــادة بنـــاء الثقافـــة الوطنية وبعث الجوانب الايجابية فى التراث الافريقى. والواقـــع أن الـــدور القيـــادى للمثقفين الأفريقيين فى مرحلة التحرر الوطنى ذو طابع مؤقت ومحدود تاريخياً. ويظل هذا الدور ممكناً طالما أن هناك ضرورة موضوعية تفرضها أوضاع الدول الأفريقية للتحرر من السيطرة الأجنبية. ولكن فى سياق تحول المجتمعات الأفريقية التى كانـــت خاضعة للسيطرة الاستعمارية إلى مجتمعات مستقلة تتطلع إلى التصنيع واعادة البنـــاء من خلال برامج طموحة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هنا يتغيـــر موقـــع ودور المثقفين الافريقيين وتفرض عليهم المرحلة الجديدة مسئوليات ومهام جديدة(١).

---

(١) عواطف عبد الرحمن: مقدمة فى الصحافة الأفريقية - منشورات الجمعية الأفريقيـــة - القـــاهرة ١٩٨٠ - ص٤٠-٤٢.

الصحافة الأفريقية في مرحلة التحرر الوطني:

لم تشهد الدول الأفريقية نشوء صحف وطنية طوال المرحلة الأولى من وجود الاستعمار الأوروبي والتي امتدت حتى بداية القرن العشرين فيما عدا بعض الدول مثل غانا ونيجيريا اللتين شهدنا ظهور صحافة وطنية مزدهرة وقادرة على توجيه النقد للسلطات الاستعمارية وذلك منذ وقت مبكر يرجع إلى نهاية القرن التاسع عشر. وتتميز منطقة غرب أفريقيا الناطقة بالانجليزية بأنها كانت مهداً لأول صحيفة أفريقية تصدر بالقارة ويمتلكها ويصدرها صحفي أفريقي هو شارل بانومان الذي أصدر صحيفة (أكرا هيرالد) منسوخة على اليد ١٨٥٧. وقد تحولت فيما بعد إلى صحيفة مطبوعة وتغير اسمها إلى وست أفريكان هيرالد. ولا شك أن الاختلاف الأساسي بين السيطرة الفكرية والثقافية لكل من الاستعمار البريطاني والفرنسي علاوة على اختلاف نوعية ومعدل تطور الحضارات التقليدية في الدول الافريقية التي خضعت لهذين النوعين من الاستعمار كان له تأثيره الواضح في ازدهار الكلمة المطبوعة في المناطق الناطقة بالانجليزية (الانجلوفون) عنها في المناطق الناطقة بالفرنسية (الفرانكوفون).

وقد ارتبط نشوء الصحافة الوطنية في أفريقيا بنمو النخبة الوطنية التي تصدت لقيادة الحركة الوطنية في الدول الأفريقية وقد تبلور نشاطها في شكل تجمعات أو تنظيمات شبه حزبية. وكانت معظم الحركات الوطنية تتمحور حول النشرة السياسية ثم يأتي بعد ذلك التجسيد المادي للحركة في شكل أعضاء أو كيان تنظيمي. وتبرز مصر كمثال واضح في هذا الصدد فمن الظواهر الجديرة بالذكر في تاريخ الحياة السياسية المصرية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو أن أغلب الأحزاب قد بدأت خطواتها الأولى بتجمعات حول الصحف بمعنى آخر أنه بدلاً من أن تنشئ الأحزاب صحفاً ناطقة باسمها انشأت الصحف أحزاباً كتجسيد مادي لأرائها فالحزب الوطني كونه مصطفى كامل مؤسس صحيفة اللواء وحزب الاصلاح على المبادئ الدستورية ترأسه الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد كما أن حزب الأمة خرج أساساً من صحيفة الجريدة وكان لطفي السيد مدير تحريرها سكرتير الحزب والمعبر الحقيقي عن آرائه. هذا وقد لعبت الصحافة الوطنية في أفريقيا عدة أدوار اختلفت وتنوعت باختلاف وتنوع مهام كل مرحلة من مراحل الكفاح الوطني من أجل

الاستقلال. فإذا كانت الصحافة قد استندت فى مرحلة الكفاح السلمى إلـى تنظيمـات سياسية وأحزاب تمثل الشرائح المتوسطة أو الصغيرة من البورجوازية الوطنية. فـإن الصحافة الأفريقية فى مرحلة الكفاح المسلح قد عبرت عن ثـورات وطنيـة يـشكل الفلاحون الفقراء هيكلها النضالى وقد اقتصرت الصحافة الوطنية فى مرحلـة الكفـاح السلمى على رفع شعار الاستقلال السياسى وانحصر دورها فى طرح المطالب الوطنية فقط دون التعرض للأبعاد الاجتماعية. أما صحافة الكفاح المسلح فقد كانـت تطالـب بالاستقلال السياسى الشامل وتطرح رؤية كاملة للتغييـر الاجتمـاعى. ولـذلك فـإن مضمون هذه الصحافة كان أكثر شمولاً وراديكالية فى طرحهـا لمختلـف القـضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من صحافة المرحلة الأولى وأبرز مثال لذلك صحيفة المجاهد لسان حال الثورة الجزائرية (١٩٥٤ – ١٩٦٢) التى لم تكن امتداداً للصحافة الوطنية السابقة عليها سواء من حيث الشكل أو المضمون أو كوادر المحررين. وقـد عانت صحافة الكفاح المسلح من نقص الامكانيات وعدم وجود كوادر مدربة واعتمدت على المعونات التى كانت تتلقاها من الدول الافريقية المـستقلة والـدول الاشـتراكية وبعض الهيئات الأوربية المتعاطفة مع النضال الأفريقى. هذا بينما لم تعـان صـحافة الكفاح السلمى من نقص الامكانيات بقدر معاناتها مـن قيـود الـسلطة الاسـتعمارية (المصادرة – اعتقال المحررين – إلغاء تراخيص الصحف). وإذا كان التراث القبلـى والأمية وتعدد اللغات تمثل أبرز الصعوبات التى واجهتها الـصحافة الأفريقيـة فـى المرحلتين فإن صحافة الكفاح المسلح قد نجحت فى استخلاص أساليب جديدة للتغلـب على أمية الجماهير وذلك بالاستعانة بالمسئولين السياسيين الذين كانوا يقومون بقـراءة النشرات الثورية للجماهير وإبلاغهم بنتائج المعارك علاوة على دورهم فـى مجـال التعبئة السياسية والثورية. هذا بينما اقتصرت الصحافة الوطنية فى مرحلـة الكفـاح السياسى على التعامل مع شريحة صغيرة من الجماهير الملتفة حول النخبة الوطنية[1].

(١ أ) Rosalynde Ainslie: The press in Africa- communications past and present – New York. 1967.

(١ ب) Dennis Wilcox: Mass Media in Black Africa, Philosophy and control. Praeger Publisher - New York. 1976. Pp. 48-51.

(١ ج) عواطف عبد الرحمن: الدعاية الثورية فى إفريقيا – دراسة تحليلية لصحافة حركات التحرر الأفريقيـة – مذكرات غير منشورة – كلية الإعلام جامعة القاهرة ١٩٧٧.

الصحافة الأفريقية فى مرحلة الاستقلال:

لقد طرأ تغير شبه جذرى على دور الصحافة الأفريقية فى مرحلة بنـــاء الدولـــة الوطنية بعد الحصول على الاستقلال إذ فقد النشاط الصحفى والدعائى أهميته الـــسابقة وتغيرت طبيعة المهام التى كانت تقوم بها الصحافة أثناء مرحلة التحرر الوطنى. كما كان للميراث الاستعمارى تأثيره السلبى على مواقف الزعماء الأفريقيين من الصحافة بعد الاستقلال. فلعله من المثير حقاً أن نعلم أن معظم هؤلاء الزعماء قد بدأوا نضالهم السياسى فى الميدان الإعلامى كمحررين أو ناشرين لصحف أو نشرات وطنية وقـــد برز منهم كينياتا فى كينيا ونيريرى فى تانزانيا وتكروما فـــى غانــــا وازيكـــوى فـــى نيجيريا. وانطلاقا من هذه البداية فإن معظم الزعماء الأفـــريقيين أصـــبحوا يخـــشون الصحافة لأنهم يدركون قدراتها التأثيرية على الجماهير وبالتالى قدرتها علـــى تغييـــر النخبة الحاكمة. لذلك نجد أن كثيراً من الزعماء الأفريقيين قد توســـعوا فـــى الإطــــار القمعى ليس فقط من أجل المحافظة على نفوذهم وبقائهم فى السلطة فى الأساس ولكن أحياناً من أجل أهداف وطنية مثل ربط مسئوليات الإعلام بأهداف التنمية الوطنية.

ومن أبرز ما تتسم به الصحافة الأفريقية فى مرحلة الاســـتقلال ذلـــك الانقـــسام الثقافى بين الصحف التى تكتب بالفرنسية وتتوجه إلى العالم الناطق بالفرنسية وتلـــك التى تكتب بالانجليزية وتوجه أخبارها إلى المناطق الناطقـــة بالانجليزيـــة. إن هـــذا الانقسام حاجز معترف به فى أفريقيا المستقلة ويمثل عقبة فى طريق الوحدة الأفريقية. وتعمل كثير من الصحف الأفريقية الوطنية بوعى للتغلب على هذا الحاجز عن طريق محاولة إجراء تغطية اخبارية حقيقية تشمل القارة الافريقية بأكملها ومن أبـــرز هـــذه الصحف (هوريا) فى غينيا و(ليسور) فى مالى وصحف تانزانيا والجزائر كذلك تتميز الصحافة الأفريقية فى مرحلة ما بعد الاستقلال بعدم انتمائها للتراث الأوربى خصوصاً فى المضمون إذ أنها تعد امتداداً لصحافة النضال ضد الاستعمار ولذلك غلب عليهـــا الطابع الايديولوجى والتربوى أكثر منه الطابع الإخبارى والتثقيفى العام. كما استمرت كصحافة رأى تعتمد على المقال والريبورتاجات التى تتضمن خطب الزعماء والحكام. بينما تضاءل اهتمامها بالنشاطات الأخرى التى تزخر بها الحياة اليومية فى الميـــادين المختلفة مثل الاقتصاد والفن والخدمات والرياضة حتى كاد ينعدم فى بعض الأحيان.

وقد شهدت أفريقيا فى السنوات التى تلت الاستقلال (خلال عقد الستينيات) عـدة مؤتمرات تناولت تطوير وسائل الإتصال وإنشاء وكالات أنباء وطنية وتطوير استخدام الإذاعة والتليفزيون فى أغراض التنمية الاجتماعية والثقافة وتحقيق الوحدة بين شعوب القارة. وقد أسفر ذلك عن إنشاء ثلاثة تجمعات تتولى الإشراف على وسائل الاتـصال الإفريقية وهى اتحاد الصحفيين الافريقيين فى باماكو ١٩٦١ واتحاد الإذاعات الافريقية فى داكار ١٩٦٢ واتحاد وكالات الأنباء الافريقية فى تونس ١٩٦٢.

واستطاعت هذه التجمعات الإعلامية من خلال العديد من الدراسات التى قامـت بها للإعلام الأفريقى أن ترصد أهم السلبيات التى يعانى منها الإعلام الافريقـى فـى المرحلة الراهنة وتتلخص فيما يلى:

١- نقص الكوادر المتخصصة والمدربة ونقص الأجهزة الإعلامية الحديثة.

٢- سيطرة وكالات الأنباء الغربية على أجهزة الإعلام الافريقية.

٣- وقوع وكالات الإعلان الأفريقية فى أيدى الشركات الأجنبية.

٤- ارتفاع أسعار الورق والمواد الطباعية وارتفاع قيمة الاشتراكات فـى وكـالات الأنباء العالمية.

هذا علاوة على المشكلات التقليدية التى تعانى منها الصحافة الأفريقية مثل تعدد اللغات وانتشار الأمية بنسبة مرتفعة بين الجماهير الأفريقية[١]. ورغم مرور عقد كامل على نشوء هذه التجمعات وبدء ممارستها لنشاطها ولكن توقفت إنجازاتها عند حـدود التوصيات والقرارات العامة.

وإذا كانت قضية الإعلام الوطنى فى أفريقيا قد نالت هذا الاهتمام المكثف علـى مستوى القارة من خلال المؤتمرات السابق ذكرها فإنها لم تحسم داخل الدول الأفريقية إذ بدأت الضغوط تظهر وتتصاعد بعد الحصول على الاستقلال من أجل أفرقة وسائل الإعلام سواء من حيث الملكية أو مضمون المواد الإعلامية الذى كان ولا يزال يدين بالتبعية للفكر الغربى. وقد حملت الستينيات والسبعينيات إجابات حاسمة على بعـض

(١ أ) MOHSEN Tourni: la presse en Afrique, Rev ue Francaise d'etudes politiques Africaincs No 841- Paris, Decembre, 1972 – pp. 50-52.

(١ب) Ali MAZROUI: The press, intellectuals and the printed world in Masstonghts. Kampala Makere univ. press, 1962, pp. 18-22.

التحديات التى يواجهها الإعلام الأفريقى بعد الاستقلال ولكن لا يزال الانتماء الايديولوجى للإعلام الأفريقى لم يتحدد بعد وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل.

ولعل أبرز ما يميز الستينيات عن الخمسينيات فى مجال الإعلام الأفريقى هو نشوء وانتشار وكالات الأنباء الوطنية. وتتضح أهمية ذلك إذا تذكرنا أنه حتى منتصف الخمسينيات لم يكن يوجد بالقارة الأفريقية بأكملها سوى وكالة أنباء جنوب أفريقيا التى أنشئت ١٩٣٨ كى تقوم بتزويد النصف الجنوبى من القارة الأفريقية بالأخبار المحلية والأجنبية ولم تكن هيئة حكومية. وقد كانت وكالة أنباء الشرق الأوسط أول وكالة أفريقية أنشئت فى الخمسينيات (١٩٥٦) ثم تلتها وكالة أنباء غانا (١٩٥٧) وعند بداية السبعينيات كان يوجد حوالى سبع وعشرين وكالة أنباء وطنية فى أفريقيا بعضها رسمى والآخر شبه رسمى[١]. ولا شك أن نمو السيطرة الحكومية على وسائل الإعلام الأفريقية وتزايد عدد الوزارات الإعلامية الوطنية وتأميم وسائل الإذاعة والتليفزيون وإنشاء وكالات الأنباء الوطنية كل هذه الانجازات وغيرها كانت كفيلة بإحداث مرحلة التحول الرئيسية بالنسبة لوسائل الإعلام الأفريقية حيث أصبحت فى الغالب أدوات للدعاية فى أيدى السلطة السياسية سواء كانت ممثلة فى الحزب الواحد أو فى النظم العسكرية كما استخدمت لدى بعض الأنظمة كأدوات للتغيير الاجتماعى ولتحقيق التنمية الوطنية.

هل توجد نظرية إعلامية لأفريقيا؟!

تواجهنا مجموعة من الصعوبات النظرية والتطبيقية عندما نحاول أن نضع تصنيفاً يضم كل التعقيدات التى يتسم بها الواقع الاجتماعى والسياسى والثقافى والتى تسهم فى صياغة شكل الصحافة الأفريقية ومضمونها. ومهما اختلفت الآراء حول الصحافة ودورها فى الدول النامية فمن الضرورى مراعاة الانصاف عند إجراء مقارنة بينها وبين الصحافة الغربية. فالتقدم الذى حققته الصحافة الغربية سواء فى النواحى المهنية والتكنولوجية أو مجال حرية التعبير استغرق مئات السنين فضلاً عن أنه كان نتاجاً للتطور المادى والفكرى الشامل للمجتمعات الأوربية فضلا عن التقدم

(١) عواطف عبد الرحمن: وكالات الأنباء الافريقية -مذكرة غير منشورة - كلية الإعلام - جامعة القاهرة - ١٩٧٨-١٩٧٩ - ص١٥.

الذى تحقق من خلال استغلال الشعوب الأفريقية والآسيوية أثناء فترة السيطرة الاستعمارية.

ويرى الصحفى الاسترالى ليلود سومرلاد مؤلف كتاب (الصحافة فى الدول النامية)[١] بأنه من غير اللائق أن نحاول تقييم الحكومات والصحافة فى أفريقيا طبقاً لنفس المعايير التى نستخدمها فى تقييم المملكة المتحدة أو الولايات المتحدة الأمريكية فالدول الأفريقية تمر بمرحلة انتقال حيث لا تزال تقوم بتجربة كثير من الصيغ والتنظيمات الجديدة. ففى الغرب لا يوجد تناقض بين قيام الحكومات بإصدار الصحف وبين قيام المؤسسات المستقلة عن الحكومات بإنشاء صحف خاصة بها بينما فى الدول الأفريقية فإنه يعتبر من الطبيعى والمنطقى أن تقوم الحكومات بإصدار الصحف التى لا تختلف فى أساليب عملها عن أجهزة الإعلام الأخرى مثل الإذاعة والتليفزيون.

لكل هذه الأسباب وغيرها فإنه لا يمكن تناول الصحافة الأفريقية وتقييمها طبقاً للمقاييس والفلسفات المتعارف عليها فى الغرب وعند محاولة استخلاص الإطار النظرى العام الذى يحكم الصحافة الأفريقية ينبغى تجنب الاعتماد على نظريات سابقة نابعة من واقع مختلف وتستند إلى قيم وأفكار غربية فى معظمها. وسنحاول مناقشة التطبيقات المختلفة للنظريات الإعلامية أملاً فى التوصل إلى التصنيف النظرى الذى يفسر لنا الواقع الإعلامى الأفريقى بكل معطياته وتناقضاته.. وسنبدأ بالتصنيف الذى وضعه ولبورشرام وزملاؤه ١٩٥٦[٢] ويتضمن النظريات الإعلامية الأربعة وهى نظرية السلطة والنظرية السوفيتية والليبرالية ونظرية المسئولية الاجتماعية.

وترتبط نظرية السلطة بنشأة وتطور الصحافة الانجليزية منذ القرن السادس عشر وتقوم على وجوب إخضاع الصحافة ذات الملكية الخاصة لسيطرة الحكومة من خلال قوانين الرقابة ووسائل السيطرة الأخرى مثل التصريح الرسمى والرقابة السابقة على النشر وفرض رسوم باهظة على البريد. وتعكس هذه النظرية الأهمية المتزايدة لسلطة الدولة على حساب حريات الأفراد. والواقع أنها تهدف إلى قهر الرأى المخالف أكثر

(١) Sommerlad, E, L. The Press in developing Countries – Sydney univ. press – 1966.

(٢) Schram, Peterson and Sebert:
The Four theories of Mass Communication URBANA Univ. New York, 1956.

مما تهدف إلى استخدام الصحافة بشكل إيجابى لتطوير الحياة القومية وترقية مستوى المعيشة. والواقع أن الصحافة الأفريقية رغم وجود كثير من التشابه بين ظروفها العامة وبين بعض ملامح نظرية السلطة غير أنه لايمكن تصنيفها داخل هذا الإطار. فالنظرية تفترض ضرورة وجود صحافة ذات ملكية خاصة وتخضع فى ذات الوقت للقيود الحكومية بينما نلحظ أن النمط السائد فى أفريقيا هو ملكية الحكومة وإدارتها للصحف. كذلك النظرية السوفيتية التى قد تبدو فى ظاهرها أنها أقدر على تفسير الوضع الإعلامى فى أفريقيا إذ أن هناك بعض الدول الأفريقية التى تنتهج أسلوباً يماثل الأسلوب السوفيتى فى ملكية الحكومة والحزب للصحافة وخضوعها للسياسة التى يضعها الحزب الحاكم. كما أن معظم الدول الأفريقية تؤكد على ضرورة تعبئة وسائل الإعلام من أجل خدمة الأهداف القومية مثل قضايا التنمية والوحدة الوطنية. ورغم ذلك تظل النظرية السوفيتية قاصرة عن تفسير الأوضاع الإعلامية فى أفريقيا فهى تستمد أساسها النظرى من الفكر الماركسى اللينينى ولا يمكن تعميمها على الدول غير الاشتراكية التى تستخدم الصحافة كأداة للتنمية القومية فمن الواضح أن معظم الدول الأفريقية قد تحددت مواقفها من الصحافة طبقاً لاختيارات سياسية واقتصادية وليس طبقاً لاعتبارات أيديولوجية.

ومن الواضح أن النظرية الليبرالية لا تصلح للتطبيق على الواقع الأفريقى أو العالم الثالث ككل فهى مستمدة من التطور التاريخى للفكر الديمقراطى فى أوربا الغربية. ويكمن الجوهر الرئيسى لهذه النظرية فى وجود صحافة مستقلة من الناحية الاقتصادية وقادرة على القيام بدور الحارس لمصالح من تمثلهم فى مواجهة الحكومة. ولا تتلاءم هذه النظرية مطلقاً مع واقع الدول الأفريقية حيث تسود الأمية والفقر وحيث يستحيل قيام صحافة مستقلة مالياً.

أما فيما يتعلق بالنظرية الرابعة والتى تعرف بالمسئولية الاجتماعية فهى تجيز التدخل النسبى للحكومة كى تضمن أن جميع وجهات النظر سوف تأخذ طريقها للنشر. وتهتم هذه النظرية فى الأساس بالمجتمعات التى تجاوزت مرحلة التصنيع ولذلك تنعدم علاقتها بالمجتمعات النامية فى أفريقيا. وتؤكد هذه النظرية على أهمية المسئولية أكثر من تأكيدها على أهمية الحرية.

ومن الواضح أن النظريات الإعلامية الأربعة قد ركزت على متغير واحد هو علاقة الصحافة بالسلطة السياسية ولم تتعرض للبناء الاجتماعى والثقافى أو الواقع الاقتصادى الذى أفرز النظم الإعلامية القائمة فى العالم الثالث وخصوصاً أفريقيا. هذا فضلاً عن أن جميع المحاولات الأخرى التى قام بها الباحثون الغربيون لحل الأشكالية النظرية للصحافة الأفريقية كانت فى أغلبها محاولات ترقيعية حيث اعتمدت على اقتباس بعض جزئيات غير متسقة من النظريات الإعلامية السالفة الذكر مع إضفاء أسماء جديدة عليها. ومن أبرز هذه التصنيفات تصنيف رالف لوينشيتين(١) الذى ركز على متغيرين هما الملكية والسلطة السياسية وقد خرج بتصنيف مقارب لتصنيف شرام مع اختلاف الأسماء فالنظرية السوفيتية أطلق عليها اسم المركزية الاجتماعية ونظرية المسئولية الاجتماعية أصبح اسمها الليبرالية الاجتماعية. وكذلك دينيس ويلكوكس(٢) الذى أجرى تصنيفاً للصحافة الأفريقية طبقاً لأنماط الملكية الإعلامية السائدة وحاول استخلاص مواقف الحكومات الأفريقية من الصحافة فى ضوء هذا التصنيف. وقد خرج بمجموعة نتائج أولية لا يمكن اعتبارها نظرية عامة بقدر ما هى توضيح للملامح الرئيسية لصورة الصحافة الأفريقية بشكل عام من حيث ارتباط الالتزام السياسى بنمط الملكية وقد اتضح أن جميع الدول الأفريقية تعكس دون استثناء تداخلاً واضحاً بين مختلف الأنظمة والنظريات الإعلامية وخصوصاً كلا من نظرية السلطة والمركزية الاجتماعية. كذلك تبين أن هناك الكثير من الدول الأفريقية التى لم تمتلك أو تحدد بعد النظرية أو الفلسفة التى تحكم علاقتها بالصحافة. ويلاحظ أيضاً بالنسبة للدول الأفريقية التى أعلنت التزامها بنظرية إعلامية محددة بأن ذلك لم يتم بناء على تحديد نظرى أو فلسفى مسبق بقدر ما يعد ذلك بمثابة رد فعل لمشكلات ما بعد الاستقلال.

نظرية التبعية ومردودها فى المجال الإعلامى:

إزاء القصور الذى تتسم به النظريات الإعلامية الأربعة السالفة الذكر وفشل المحاولات التى قام بها بعض الباحثين الغربيين لاستخلاص النظرية الإعلامية التى

(١) Tohan C. Merril and Ralph Lowenstein: Media Messages and Men. New York, David Nackay 1971, p. 186.

(٢) Dennis Wilcox: Op.cit pp. 101-105.

تحكم الدول الأفريقية كجزء من العالم الثالث أو فى مقابل هذه الاتجاهات النظرية ظهر اتجاه آخر يركز على علاقة التبعية التى تربط دول العالم الثالث اقتصادياً وسياسياً وثقافياً بالعالم الرأسمالى المتقدم. والواقع أن هذا الاتجاه قد ظهر كرد فعل للأزمة التى عانت منها التفسيرات الليبرالية أو بالأحرى النظرية الوظيفية للواقع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والثقافى فى دول العالم الثالث. ولعل أهم ما يمكن أن يقال فى هذا المجال إن مفهوم التبعية قد ظهر من خلال الجدل الحاد الذى دار بين العلماء الاجتماعيين حول مفهومى التخلف والتنمية فمفهوما التنمية والتخلف بالمعنى الذى استخدمته النظريات التقليدية لا يتمتعان بقوة تفسيرية معبرة طالما أنهما لا يشيران بدقة إلى لب المشكلة التى تعانى منها الدول النامية وهى التبعية. لذا فمن الواضح أن مفهوم التبعية يستطيع أن يفسر لنا سبب تبنى دول العالم الثالث أسلوباً فى التنمية يختلف عن ذلك الذى اتبعته الدول الرأسمالية المتقدمة. فمن الطبيعى أن تختلف الظروف التى مرت بها الدول النامية عن تلك التى مرت بها الدول المتقدمة فالدول النامية كانت تمثل المورد الرئيسى للمواد الخام التى تحتاج إليها الدول المتقدمة. كما كانت تشكل سوقاً هائلاً ضخماً لمنتجات الدول الرأسمالية المتقدمة ومن شأن هذا الموقف أن يخلق تبعية مطلقة من جانب الدول النامية. وسيطرة كاملة من جانب الدول الاستعمارية فلا شك أن تخلف العالم الثالث أو تبعيته بمعنى أدق يرجع إلى خضوعه للسيطرة الاستعمارية(*) لعدة قرون والشئ الذى لايمكن تجاهله هو أن بقاء دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فى حالة التبعية هو من فعل التقسيم الدولى للعمل الذى يتسم بالطابع الأمبريالى والذى فرض على دول العالم تفاوتاً اجتماعياً واقتصادياً شديداً. وقد تشكلت الأنظمة السياسية والأوضاع الاجتماعية والثقافية فى دول العالم الثالث من خلال وضعها كمجتمعات تابعة داخل النسق الرأسمالى العالمى. وتتسم القوة السياسية فى المجتمعات التابعة بالتركيز فى أيدى فئة قليلة تتحكم فى مصادر القوة الاقتصادية والتعبير السياسى والثقافى. وتتميز الأجهزة السياسية والبناء الفوقى بصفة عامة فى

(*) لقد أوضح فرانك هذه القضية بقوله إن تاريخ العالم ما هو إلا تاريخ واحد ومن ثم فإن التنمية والتخلف وجهان لعملة واحدة من حيث إنهما نتاج التوسع الرأسمالى الذى تغلغل فى أعماق أكثر القطاعات انعزالا فى المجتمعات المتخلفة. ومن ثم فإن ما نراه من نظم اجتماعية وسياسية وثقافية فى هذه المجتمعات بدءاً من أصغر وحداتها الاجتماعية فى الريف وحتى أعقد هذه الوحدات فى المدن المتربوليتانيه ما هى إلا نتاج للتطور التاريخى للنظام الرأسمالى.

دول العالم الثالث (التوابع) بالتضخم والبيروقراطية بشكل تقدمت فيه بصفة عامة على الأبنية التحتية التى تمثل امتداداً لمركز العالم الرأسمالى المتقدم. وإذا كان الدور المنوط بأجهزة الدولة فى الفترة الاستعمارية هو إخضاع الطبقات المحلية لصالح علاقة الهيمنة الاستعمارية. فإن الوضع لم يختلف كثيراً فى مرحلة ما بعد الاستقلال وفى ظروف تبعية ما بعد الاستعمار. إذ أصبحت الدولة بمثابة وسيط بين الرأسمالية العالمية والبرجوازية المحلية وملاك الأرض. والدولة ليست أداة فى يد طبقة واحدة وإنما تمثل هيكلاً مستقلاً يقوم بالدفاع عن مصالح الطبقات المسيطرة سواء فى المركز أو فى المجتمع التابع(١). ولا يقتصر دور الدولة على إنجاز المهام السياسية المنوطة بها أو حماية المصالح الاقتصادية للرأسمالية العالمية والمحلية فحسب بل تخلق لنفسها إطاراً أيديولوجياً يساعد على تعزيز هيمنتها الفكرية وترويج قيمها الثقافية من خلال أجهزة الاتصال والإعلام التى تحرص على امتلاكها والسيطرة عليها. غير أن تفسير التبعية يجب ألا يقتصر على العوامل العالمية وحدها بل يجب تفسيرها فى ضوء العوامل المحلية الخاصة بدول العالم الثالث. مما تستلزم ضرورة التعرف على طبيعة البناء الاجتماعي والقوى الاجتماعية التى تستفيد من عائد التنمية وتلك التى تتحمل أعباءها فى دول العالم الثالث. ذلك أن الاحتكار العالمى وحده لا يستطيع أن يفسر لنا تبعية دول العالم الثالث إلا إذا حاولنا التعرف على آثاره على هذه الدول وردود أفعالها إزاءه. كذلك لا نستطيع أن نتجاهل التأثير الذى أحدثته ثورة الاتصال على النظام الدولى. فلقد خلقت هذه الثورة عالماً جديداً أشبه بوحدة واحدة.

ورغم وجود بعض الأختلافات بين أنصار اتجاه التبعية إلا أنهم يلتقون حول مجموعة من العناصر الأساسية التى يمكن تلخيصها على النحو التالى:-

١- وجود العلاقة الوثيقة بين البناء الاجتماعي - والاقتصادى والبناء السياسى والثقافى فى المجتمعات التابعة فى العالم الثالث وارتباط ذلك بالنسق الرأسمالى العالمى.

---

(١) انظر: (أ) السيد الحسينى: العالم الثالث تنمية أم تبعية - كتاب دراسات فى التنمية الاجتماعية - القاهرة - دار المعارف ١٩٧٧ - ص١٦٥-١٧٥.

(ب) أحمد زايد: التفاعل بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة فى الريف المصرى - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة - فبراير ١٩٨١ - ص١٦٠-١٦٦.

٢- الدور الذى تلعبه البورجوازيات المحلية فى دول العالم الثالث التابعة فى توجيه النظام السياسى والثقافى والإعلامى لخدمة مصالحها واستمرار علاقة التبعية.

ويترتب على ذلك غياب المناخ الديموقراطى الذى يسمح لجميع القوى الاجتماعية بحرية التعبير والمشاركة فى الممارسات السياسية والثقافية والإعلامية وفى هذه الظروف لا تستخدم الديموقراطية إلا بالقدر الذى يسمح باستمرار علاقات التبعية والتخلف[١].

ويتضح مما سبق أنه على الرغم من أن النصف الثانى من القرن العشرين قد شهد استقلال ٨٠ دولة فى العالم الثالث وحصول اثنين مليار من البشر على حريتهم وتخلصهم من السيطرة الاستعمارية إلا أن الظروف العالمية الراهنة السياسية والاقتصادية والثقافية والتقنية والعسكرية تتجه إلى تأكيد سيطرة الدول المتقدمة وتبعية غالبية الدول النامية. فمع تعزيز الاستقلال السياسى بحلول الستينيات أصبح واضحاً بصورة مطردة أن القضاء على الاستعمار السياسى لابد وأن يستكمل بالقضاء على الاستعمار الاقتصادى والثقافى ذلك إذا ما كانت هناك رغبة فى إحداث تغيير حقيقى فى علاقات التبعية فى دول العالم الثالث. وفضلاً عن ذلك فإنه نتيجة لخضوع دول العالم الثالث خلال المرحلة الاستعمارية للاستعمار الاجتماعى والثقافى علاوة على الاستعمار السياسى والاقتصادى فقد أدى ذلك إلى تحول القيم والأنماط السلوكية فى جزء كبير من العالم الثالث كى تعكس قيم وسلوكيات الدول الاستعمارية وبعد الاستقلال لم يحدث أدنى تغيير بل تم تدعيم الأنماط المنقولة من خلال مجموعة متنوعة من الميكانيزمات. ومن ثم فبقدر ما يكون هناك إدراك لعدم إمكانية تحقيق الاستقلال السياسى بدون الاستقلال الاقتصادى لابد أن يكون هناك أيضاً إدراك بأن الاستقلال الشامل لا يتحقق إلا بالتحرر الاجتماعى - الثقافى. ولذلك فإنه من المستحيل تصور استمرار السيطرة السياسية والاقتصادية على العالم الثالث بدون الدعم الهائل الذى يوفره نسق إعلامى فعال كأداة للسيطرة الثقافية والأيديولوجية. لذلك توجد درجة ملحوظة من عدم التكافؤ فى توزيع القوة على أساس أن وسائل الإعلام مصدر رئيسى من مصادر القوة والنفوذ إذ يوجد عدد قليل من الدول (الدول الرأسمالية المتقدمة على وجه التحديد) يتولى عملية الإرسال بشكل أساسى، أما غالبية الدول (من العالم الثالث)

---

(١) أحمد زايد: مصدر سابق - ص١٦٨.

فهى تستقبل ما يرسل إليها. وينتج عن ذلك عدم توازن ملحوظ فى تبادل المعلومات والأنباء بين العالم النامى والعالم المتقدم بالرغم من أهمية ذلك الدور على المستوى الدولى إذ يرتكز عليه ضرورة إبلاغ الرأى العام العالمى بالمشاكل التى تهدد الانسانية وخصوصاً تلك التى لن تتوفر حلولها إلا بالتعاون بين الدول مثل مشاكل سباق التسلح والبطالة والفقر والأمية والجوع ونقص الخدمات الصحية وتلوث البيئة والعنصرية والانفجار السكانى واضطهاد المرأة. ومن هنا يمكن استخلاص مفهوم التبعية الإعلامية بأنها العلاقة التى تجسد عدم التكافؤ فى الامكانيات المادية والمصادر الإعلامية بين الدول الغربية المتقدمة وبين الدول النامية كما تجسد عدم التوزان فى التغطية الاخبارية وتبادل المعلومات بين الشمال والجنوب. مما يترتب عليه تشويه الصورة الذهنية لشعوب العالم الثالث لدى الرأى العام العالمى فضلاً عن إلحاق الضرر الجسيم بالثقافة القومية والقيم والأنماط السلوكية لدى هذه الشعوب وتعميق الاغتراب الثقافي. وتحتل وسائل الاتصال موقعاً مزدوجاً عند أى مستوى من مستويات التحليل للتخلف والتبعية. لذا يجب عند تحليلنا لوسائل الاتصال أن نأخذ في الاعتبار مستويين للتحليل:

١- **المستوى الأول:** ويتعلق بالبعد الذاتى الذى يتمثل فى الامكانيات المادية والبشرية وتشمل الوسائل التكنولوجية والمراسلين.

٢- **المستوى الثانى:** ويمثل التوجهات الإعلامية التى يتم نقلها بواسطة وكالات الأنباء أى صيغة الأنباء ومضامينها.

وفيما يتعلق بالمستوى الأول الخاص بالامكانيات المادية والبشرية فالواقع أن وكالات الأنباء الخمسة العالمية تحتكر أكثر من ٨٠% من الأنباء فى العالم تخصص ما بين ٢٠، ٣٠% للدول النامية وهناك ٣٥ دولة فى العالم ليست فيها أية وكالات أنباء منها ١٨ دولة أفريقية. كذلك يتميز التدفق العالمى للأنباء بعدم التوازن فى توزيع المراسلين على النطاق العالمى ويتميز أيضاً بالتغطية المنتقاة لمناطق معينة على حساب مناطق أخرى. وتوضح إحصائيات (١٩٩٤) للتوزيع العالمى لمراسلى وكالات الأنباء العالمية أن أوربا وأمريكا الشمالية هما الموقعان الرئيسيان لمراسلى الوكالات وأن أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وأفريقيا هم أقل المناطق بالنسبة لعدد المراسلين العالميين.

ويشير المستوى الثانى الذى يؤكد تبعية دول العالم الثالث وفى مقدمتها الدول الأفريقية فى المجال الإعلامى إلى وجود التباين السافر فى نوع التغطية الاخبارية للأحداث الدولية فقد أجمعت الدراسات العديدة على أن الأحداث فى الدول الغربية المتقدمة هى المستهدف الأول فى التغطية الاخبارية باستثناء بعض الأحداث فى الدول التابعة. وتشير هذه الدراسات إلى أهمية الدور الذى يقوم به الإعلام الاخبارى الذى تنقله وكالات الأنباء العالمية فى تشكيل صورة الحقيقة العالمية وأن أهميته تتفوق على الصورة الذهنية المسبقة وذلك لانتظامه ومواظبته وانتشاره[١]. كذلك نوع التغطية الاخبارية التى يقوم بها مراسلو وكالات الأنباء العالمية فهناك أسس وتعليمات لا يمكن أن يحيد عنها المراسل فى تحديد الأولويات والأفضليات سواء فى اختيار الأحداث أو تحريرها أو نشرها. ويؤكد ميليبان (أن وسائل الإعلام الدولية وخصوصاً وكالات الأنباء الغربية تقدم خدماتها الإعلامية وفقاً لمخطط مدروس ولتحقيق أهداف محددة وبشكل لا يخلو من التسلط والسيطرة وذلك من خلال إمكانياتها الهائلة وقدراتها على تكوين الأخبار بما يتفق مع مصالحها ولقد أثبتت وكالات الأنباء الغربية بصورة قاطعة أنها عنصر فعال تعتمد عليها المجتمعات الرأسمالية فى نشر أفكارها ومعتقداتها ولا يمكن للوكالات أن تتخلى عن هذه الوظيفة[٢].

جدول (١) التوزيع العالمى لمراسلى وكالات الأنباء العالمية لعام ١٩٧٤

أمريكا	%٣٤	أوربا	%٢٨
آسيا واستراليا	%١٧	أمريكا اللاتينية	%١١
الشرق الأوسط	%٦	أفريقيا	%٤

ونلحظ من سياق هذا التصريح مدى أهمية وخطورة الدور الذى تلعبه وكالات الأنباء العالمية فى الصراع الدولى وتشويه الصورة الحقيقية للأحداث وفرضها على الرأى العام العالمى كحقيقة إعلامية.

(١) Phil Harris: International News Media Authority and dependence in Introduction to Mass Communication in Nigeria. Lagos 1976. p. 1110.

(٢) Milliband, R: The state in the Capitalist Socity. London Quarter books 1973. p. 211.

مظاهر التبعية الإعلامية (دور الشركات غير القومية):

لا يمكن التطرق إلى قضية التبعية الإعلامية دون الإشارة إلى الدور الذى تلعبه الشركات عبر القومية فى هذا المجال وهو لا يتلخص فقط فى إرسال التكنولوجيا ورؤوس الأموال بل يتسع ليشمل بيع العديد من المنتجات الاستهلاكية ذات الطابع الاجتماعى – الثقافى أو السوسيو–ثقافى التى تهدف فى الغالب إلى نشر أفكار ومعتقدات تؤدى إلى تعميق الاغتراب الثقافى والاجتماعى لدى شعوب العالم الثالث التى تمثل دولهم الساحة الرئيسية لأنشطة هذه الشركات. هذا وسنحاول أن نحدد أبعاد التأثير الذى تمارسه الشركات عبر القومية من خلال الدور الذى تقوم به كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج التفضيلات الاجتماعية – الثقافية (بل وأكثر من ذلك التفضيلات الاجتماعية – السياسية والاقتصادية) من البلدان الأصلية إلى البلدان الأخرى مما يؤدى إلى فقدان الخصائص القومية المميزة لثقافات الشعوب التى تتعرض لهذه التاثيرات. إننا سنحدد ملامح الدور الذى تقوم به الشركات عبر القومية بوصفها نظماً للاتصال الدولى مما يستلزم تفنيد المكونات الرئيسية للعمليات الاتصالية التى تتم عبر هذه الشركات وأنشطتها المتنوعة. وذلك سعياً للتعرف على مدى ما تسهم به هذه الشركات فى تكريس تبعية الدول النامية للدول الرأسمالية المتقدمة وخصوصاً فى مجالى الاتصال والإعلام. وتتحدد مكونات العمليات الاتصالية فى ضوء المحددات الخمس المعروفة وهى:

١- من (منتج المادة الاتصالية)؟
٢- قال ماذا (مضمون المادة الاتصالية)؟
٣- لمن (الجمهور المتلقى)؟
٤- كيف (الوسيلة الاتصالية)؟
٥- وما هو الأثر (الصدى)؟

ويشير المحدد الأول إلى مصدر المادة الاتصالية أو منتجها الأصلى فنلاحظ أن الشركات عبر القومية (حوالى ٣٧ ألف شركة عبر قومية تسيطر على نحو ٨٠ ألف شركة تابعة) توجد مقارها الرئيسية فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وجمهورية ألمانيا الاتحادية وسويسرا والمملكة المتحدة وفرنسا. وأن الأغلبية الساحقة

من الشركات الأجنبية التابعة لهذه الدول توجد فى دول العالم الثالث التى كانت تابعة لها بشكل رسمى أو غير رسمى وخصوصاً المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. والأهم من ذلك هو أن هذه الدول هى موطن وكالات الأنباء العالمية الأربعة (الوكالتان الأمريكيتان اسوشيتدبرس ويونيتدبرس وانترناشيونال ورويتر البريطانية وآجنس فرانس برس الفرنسية) وتعتمد عليها فى الواقع كافة اقتصاديات السوق (ما عدا اليابان) اعتماداً كبيراً لأخبارها الخارجية.. وبالمثل فإن نسبة عالية من البرامج التليفزيونية لمعظم دول العالم الثالث يتم استيرادها من الولايات المتحدة وفرنسا والمملكة المتحدة وأخيراً فمن بين أكبر الوكالات العالمية الخمسة والعشرين فى العالم فى الإعلان الدولى (وهو صناعة رئيسية فيما يتصل بالتأثير الاجتماعى الثقافى) هناك ٢٠ وكالة أمريكية ومعظمها تحصل على إعلاناتها من الخارج[١].

المحدد الثانى (ماذا؟) الخاص بمحتوى الرسائل المنقولة من الدول التى توجد بها المقار الرئيسية للشركات عبر القومية ولا سيما ما يتعلق بالثقافة التجارية لهذه الشركات والواقع أن الثقافة التجارية تتضمن مجموعة من العناصر يمكن تلخيصها فى بعدين أساسيين أولهما يتعلق بالاتجاهات والقيم وأنماط السلوك وثانيهما يتعلق بكل من أنماط التنظيم والإنتاج والاستهلاك. ويتسع البعد الأول كى يشمل نطاقاً أكبر من نطاق الثقافة التجارية فيتضمن على سبيل المثال التفضيلات الأيديولوجية العامة أو الاتجاهات وأساليب الحياة وأنماط السلوك العامة ويتضمن البعد الثانى للثقافة التجارية ميكانزمات تشجع أنماط وعمليات إنتاجية واستهلاكية لا تلبى احتياجات المجتمعات التابعة بل تؤدى إلى خلق الإحساس بالحاجة إلى التوسع الاستهلاكى. ويمكن أن يتم هذا بصفة خاصة من خلال العلاقات العامة والتسويق والإعلانات الباهظة التكاليف.

المحدد الثالث (لمن؟) ويتضمن الجمهور المتلقى للرسائل الإعلامية والسوسيوثقافية. ويلعب العاملون فى الشركات الأجنبية التابعة دوراً هاماً فى نقل القيم وأنماط السلوك باعتبارهم نماذج حية تجسد خبرة الشركات الأجنبية التابعة ويركز

---

(١) انظر: كارل سوفانت وبرنارد بيتس: الاستثمارات الاجتماعية الثقافية فى نطاق الاقتصاد السياسى الدولى لعلاقات الشمال والجنوب – دور الشركات عبر القومية – مركز دراسات الشركات عبر القومية بالأمم المتحدة – نيويورك – يونيو – ١٩٧٩.

هؤلاء على الطبقات والفئات العليا من الطبقة الوسطى فى مجتمعات العالم الثالث. أما الشرائح الدنيا والطبقات الفقيرة الأمية التى تتكون منها أغلبية دول العالم الثالث فإنهـــا بمعزل عن التأثيرات المباشرة ولكن هذا لا يمنع من تعرضها لتأثير الإعلانات عبـــر الإعلام المرئى والمسموع (الإذاعة والتليفزيون).

والمحدد الرابع (كيف؟) الخاص بالقنوات التى يتم عبرها بث الرسائل الإعلامية والتى تسهم فى تشكيل الأنماط الاستهلاكية. وهنا تلعـــب الإذاعـــة والتليفزيـــون دوراً رئيسياً ثم الصحف والمجلات والنشرات المهنية والكتب والاسطوانات وشرائط الفيديو ووكالات الأنباء. وثمة قنوات أخرى ذات صلة بالموضوع ألا وهى المعاهد التعليمية والمديرون والعاملون فى الشركات الأجنبية التابعة بل وحتى اللغة وأساليب تدريـــسها وفضلاً عن الإعلان وخصوصاً فى سياق الثقافة التجارية فـــإن شـــبكات الـــشركات الأجنبية التابعة للشركات عبر القومية تعد بطبيعة الحال القناة الرئيسية للاســـتثمارات الاجتماعية الثقافية. وهذه العوامل مجتمعة بالإضافة إلى التكنولوجيا الحديثة للاتصال تجعل من شبكات الشركات الأجنبية التابعة فى الواقع جهازاً عالمياً ديناميكياً للاتصال. أما المحدد الخامس والأخير فهو يتعلق بالتأثيرات التى تحدثها الرســـائل الاجتماعيـــة الثقافية لدى الجماهير المتلقية من شعوب العالم الثالث عبر الإعلانات وســـواها مـــن المواد الإعلامية والاتصالية سواء المنشورة فى الصحف أو المذاعة والمعروضة فـــى كل من الإذاعة والتليفزيون. ومن الممكن قياس حجم التأثير ومداه من خـــلال تـــوفر بعض الشروط الضرورية مثل مضمون الرسالة الإعلامية ومدى اختلافها عن البيئات الاجتماعية الثقاية للمتلقين أى اشتراط وجود فارق حضارى يعتد به. ومـــن المـــرجح على أساس هذا الشرط وحده أن يكون الأثر بالغ القوة فى مجتمعات العـــالم الثالـــث. وثمة شروط أخرى تتعلق بالمضمون ألا وهى وضوح الرسالة وتكرارها ومدى قدرتها على الاقناع. كذلك عدد القنوات الإعلامية ومدى تنوعها يلعب دوراً هاماً فى التأثير. وعندما يتعلق الأمر بالجمهور المتلقى فمن المعروف أنه كلما زاد تعرض أكبر عـــدد ممكن من الأفراد والمؤسسات للرسالة الإعلامية كانت الأثار أعظم وأعمـــق. ويبـــدو على وجه الإجمال أن مجموعة الشروط الرئيسية الواجب توافرها لحدوث التـــاثيرات تتحقق فى عموميتها فى معظم دول العالم الثالث وخصوصاً الدول الأفريقية التى تتنوع فيها التأثيرات السوسيوثقافية طبقاً للشركات عبر القومية التابعـــة لهـــا. فـــنلاحظ أن

المناطق الناطقة بالفرنسية (الفرانكوفون) تعتبر مناطق نفوذ ثقافى فرنسى وذلك على عكس باقى المناطق الأفريقية الناطقة بالانجليزية والتى تعتبر مجالات حيوية للنشاط الثقافى الذى تمارسه الشركات عبر القومية الأمريكية والبريطانية من خلال وسائل الاتصال العديدة.

وفى النهاية فإن التأثير الأساسى يتمثل فى مدى استيعاب شعوب العالم الثالث للاستثمارات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالدول الرأسمالية من خلال الشركات عبر القومية والتى تؤدى إلى حدوث تغيير فى الإتجاهات الاجتماعية والثقافية لمواطنى العالم الثالث إزاء الصورة الاجتماعية والثقافية للدول الرأسمالية المتقدمة.

التبعية الإعلامية وحرية الصحافة فى أفريقيا:

لقد رأينا كيف أدى التطور الاقتصادى العالمى وما ارتبط به من تقدم تكنولوجى إلى التطور فى وسائل الاتصال العالمية الأمر الذى جعل الحصول عليها واستيرادها وتصنيعها يحتاج إلى أموال طائلة وخبرات فنية متخصصة ووسائل تكنولوجية متطورة. مما أدى إلى سيطرة الدول الرأسمالية المتقدمة على وكالات الأنباء العالمية والإذاعات الدولية البارزة والصحف والمجلات الدولية وترتب على هذا الوضع ظهور ما يسمى بالاحتكار والتركيز فى الاتصال الدولى أى احتكار قلة من الدول الرأسمالية المتقدمة لمصادر الأنباء فى العالم فى الوقت الذى لا يتجاوز نصيب العالم الثالث الحدود الدنيا فى المصادر الإعلامية وتعتبر أفريقيا أفقر القارات فى المصادر الإعلامية من حيث الصحف والإذاعات ووكالات الأنباء.

وقد اتضح لنا أبعاد الدور الذى تقوم به الشركات عبر القومية فى تكريس تبعية الدول النامية للدول الرأسمالية المتقدمة ليس فى المجالين الاقتصادى والسياسى فحسب بل فى الميادين الاجتماعية والثقافية وذلك من خلال استخدامها لوسائل الإعلام الدولية السالفة الذكر (وكالات الأنباء العالمية – المجلات الدولية – الإذاعات – التليفزيون). وتعد الإعلانات الأداة الرئيسية التى تستخدمها هذه الشركات لنشر الثقافة التجارية وتهديد الخصائص القومية للثقافة الوطنية فى الدول الأفريقية. والواقع أن الإعلانات تلعب دوراً مزدوجاً فى خلق عدة مستويات للتبعية الإعلامية والثقافية فى الدول الأفريقية كما أنها تمثل خطراً مباشراً يهدد حرية الصحافة فى أفريقيا. والدور

الأساسى الذى تقوم به الإعلانات التجارية الخاصة بالشركات عبر القومية وتوابعها فى الدول الأفريقية هو الترويج للسلع الاستهلاكية المستوردة مما يؤدى إلى خلق أنماط للاستهلاك تتعارض مع خطط التنمية القومية ومستلزمات الاقتصاد الوطنى.

وهكذا يتم تكريس واستمرار تبعية الدول الأفريقية اقتصادياً وسياسياً للسوق الرأسمالية العالمية وممثليها حيث تسهم الإعلانات التجارية فى تقويض محاولات الاستقلال الاقتصادى بشكل غير مباشر من خلال ترويض العقول وتنمية رغبات استهلاكية جديدة لدى الجماهير الأفريقية.

ويتحقق ذلك فى الغالب من خلال وكالات الإعلان الأجنبية التى تقوم باختراق وسائل الإعلام الأفريقية وتفرض عليها شروطها وأولوياتها بكل ما يمثل ذلك من تهديد لحرية الصحافة وللاقتصاد الوطنى فى آن واحد. وهناك أمثلة عديدة على وكالات الإعلان الأجنبية فى أفريقيا منها الوكالة الفرنسية (وكالة هافاس للإعلانات) وهى تملك نفوذاً واسعاً فى المنطقة الناطقة بالفرنسية (فى غرب أفريقيا ومدغشقر) ولا تقل العقود التى توقعها مع الصحف الأفريقية عن خمسة أعوام تضمن خلالها نشر حد أدنى من الإعلانات وتحصل على ٤٠% عمولة على الإعلانات الأجنبية. ولها مساحات محجوزة بصفة دائمة فى هذه الصحف. ولا يخفى ما تمثله هذه العقود من تهديد سافر لحرية الصحافة إذ من خلالها تستطيع وكالات الإعلان التدخل فى مضامين المواد الإعلامية التى تنشرها تلك الصحف. وقد بدأت بعض الصحف الأفريقية تتحرر من سيطرة وكالة هافاس الإعلانية عندما بدأت تظهر للوجود وكالة غرب أفريقيا للإعلانات رغم أنها تقتطع ٥٠% عمولة على الإعلانات. وقد أنشأت كل من مصر وتونس والجزائر وكالات إعلان حكومية فى بلادهم ويتم من خلال هذه الوكالات تزويد الصحف بالإعلانات[١].

أما الدور الذى تقوم به الإعلانات فى تهديد حرية الصحافة فى أفريقيا فهو يأتى أصلاً من التمويل. إذ أن استخدام أو الاعتماد على الإعلانات كمصدر لتمويل الصحف يضع فى أيدى المعلنين سلطة كبيرة تجعلهم يتحكمون فى مضمون ما تنشره الصحف

(١) Ekani O nambele: L, exploitation de la Presse en Afrique Sud de Sahara Thesis Universite de Paris 1965. p. 45.

إلا إذا كانت هذه الصحف خاضعة لإشراف الحكومة، وهنا يمكن تحييد موقف المعلنين رغم أن هذا لا يلغى احتمال المواجهة بين بعض المعلنين الأقوياء والحكومة حينما يحاول هؤلاء فرض ضغوطهم غير المباشرة على الصحيفة والتى تهدف فى النهاية إلى تخريب خطة التنمية القومية داخل الدولة. ويزداد الصراع بين المعلنين والحكومة عندما يكون هؤلاء المعلنون ممثلين للشركات الأجنبية.

وأخيراً فإذا كان لنا أن نلخص أنواع التبعية الإعلامية التى تخضع لها الصحافة الأفريقية فيمكننا أن نشير إلى ثلاثة أنواع من التبعية أولها التبعية للسلطة الحاكمة وثانيها التبعية لرؤوس الأموال المحلية والدولية وثالثها التبعية التاريخية للتراث الفرانكوفونى والانجلوأمريكى ورغم تفاوت درجات خضوع الدول الأفريقية لأنواع التبعية المذكورة إلا أنه يبقى التحدى الرئيسى أمام الصحافة الوطنية فى أفريقيا وهو كيفية التخلص من كافة أشكال التبعية الإعلامية. وهذا الأمل لن يتحقق بالطبع إلا إذا تخلصت الشعوب الأفريقية من الصور الأخرى للتبعية الاقتصادية والسياسية التى يعنى استمرارها منح عمر أطول للتبعية الإعلامية والثقافية.

المبحث الرابع

الحرية المفقودة

علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية فى أفريقيا(*)

دراسة حالة "غانا" من الاستقلال حتى بداية التسعينات

* أجرى الدراسة: أ.د. حسنى نصر - كلية الإعلام جامعة القاهرة



مقدمة:

يبدو تاريخ وسائل الإعلام فى العالم الثالث مختلفاً تماماً عن مثيله فى الدول الغربية. فالدول النامية لم تشهد تطوراً فى وسائل الإعلام يصاحبه نمو اقتصادي أو صعود طبقة جديدة كما حدث مع الإعلام الغربى. فقد تركزت أولويات العمل الوطنى فى دول العالم الثالث فيما بعد الحرب العالمية الثانية فى تحقيق الاستقلال السياسي والبناء السياسي والاقتصادي للدولة. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت هناك عقبات كثيرة أمام تطور وسائل الإعلام فى هذه الدول، أهمها عدم كفاية الموارد المالية، والأمية وتنوع وتعدد اللغات المحلية و استمرار التبعية للقوى الاستعمارية السابقة. كما لازالت أفريقيا تمثل أعلى معدلات الأمية فى العالم وأقل مناطق العالم تعرضاً واستهلاكاً لوسائل الإعلام.

وخلال الفترة الاستعمارية، التي استمرت منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الستينات من القرن العشرين، كانت معظم الصحف إما مملوكة للمستعمرين الأوربيين فى المدن، أو لأعضاء البعثات التبشيرية فى المناطق الريفية، وكانت كلها – فى الغالب – تصدر بلغات أجنبية. وخلال مرحلة النضال الوطنى التى خاضتها دول القارة من أجل الاستقلال لعبت الصحافة التى قادها مثقفون وطنيون دوراً مهماً فى التعبئة الأيديولوجية ودعم الوحدة الوطنية والتنمية. وقد كان معظم قادة النضال الوطنى وحركات الاستقلال صحفيين فى الأصل، لذلك نظروا إلى وسائل الإعلام كمؤسسات مهمة جداً للتغيير السياسى والتنمية الوطنية. وقد صاحب هذا التطور اتجاه الباحثين الغربيين فى الإعلام إلى النظريات الإعلامية التى تؤكد على دور وسائل الإعلام كأدوات للتحديث ونشر الأفكار المستحدثة.

وقد كان من أهم وأبرز أهداف الدول المستقلة الجديدة فى أفريقيا خلق صحافة، تُحدد دورها فى ضوء ظروف المجتمعات الجديدة. لقد ناضل قادة الاستقلال الأفريقى من أجل إحلال مؤسسات وطنية محل المؤسسات السياسية الأوربية وإحلال أيديولوجية جديدة إلى جانب تغيير الصورة التى رسمها الغرب الاستعماري للمجتمع الأفريقى وذلك من خلال مؤسسات وطنية من أهمها الصحافة الأفريقية. وقد كان الأمل فى

الصحافة الوطنية أن تتولى تشجيع الوحدة الوطنية والتنمية والتحول الأيديولوجى ودعم خطط التعليم نحو تحقيق الغايات الاقتصادية والاجتماعية ولخدمة الأهداف الأفريقية بصفة أولية.

لقد تولى الزعماء الوطنيون بأنفسهم مهمة تحديد أهداف الصحافة الأفريقية النامية. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء كوامى نكروما فى غانا وجومو كنياتا فى كينيا. وقد أسند هؤلاء الزعماء إلى الصحافة مهام عديدة و اعتبروها أدوات ثورية فى النضال الأفريقى من أجل الاستقلال. وأدى النظر إلى الصحافة كقوة في البناء الوطنى إلى اعتبار الصحافة امتداد مكمل للحكومات في سعيها إلى تحقق التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان من المأمول أن تسهم أنظمة الإعلام الجديدة فى خلق هوية وطنية مستقلة وبناء الاقتصاد الوطنى ودعم الانتماء للوطن. ومن هنا اتجهت معظم الحكومات إلى استخدام وسائل الإعلام كأدوات مباشرة لدعم التنمية الوطنية والوحدة والاستقرار السياسى، وإجمالاً للعمل كمؤسسات للتعليم وللتغيير فى المناطق الأقل نمواً.

والواقع إن الأهداف والوظائف التى أسندت لوسائل الإعلام فى دول أفريقيا وفى غيرها من البلدان النامية قد وجدت تأييداً كبيراً من جانب العديد من الباحثين الغربيين في الإعلام ومن جانب المنظمات الدولية وعلى رأسها منظمة التربية العلوم والثقافة (اليونسكو) في إطار مشروعها الشهير لبناء نظام إعلامى عالمى جديد. هذه الأهداف الإيجابية التي أسند للصحافة تحقيقها تطلبت أن تعمل الصحافة كعنصر رئيسى فى التنمية بهدف تغيير طرق حياة وقيم القراء في اتجاه التحديث، ولم يكن هذا سهلاً على أية حال. ومن الواضح أن هذا المفهوم الأفريقى لدور الصحافة يختلف تماماً عن المفهوم الغربى الذي ينظر لحرية الصحافة كهدف فى حد ذاته ويعتبر أن أهم وظيفة للصحافة هو أن تعلم و تخبر بموضوعية فى مجالات التنمية السياسية وباستقلالية تامة عن الحكومة وأيديولوجيتها.

لقد ظلت الوظائف التنموية لوسائل الإعلام الأفريقية كثيراً ما تتردد فى تصريحات القادة السياسيين والباحثين بينما ظلت منطقة مجهولة ومبهمة وغامضة بالنسبة للصحفيين. والمشكلة الرئيسية التي تواجه قيام الصحافة بهذه المهمة التنموية

أن هذه المهمة تعارضت بمرور الوقت مع استقلال وموضوعية الصحافة وقدرتها على النقد، وذلك على الرغم من تأكيدات الزعماء على حرية الصحافة. ففى الحقيقة أن الصحافة في دول أفريقيا السوداء تخضع لضغوط رقابية شديدة من جانب الحكومات لفشلها فى الإعلام بموضوعية فى الشؤون العامة لهذه الدول، رغم أنه ليس بالضرورة أن تشجع الصحافة التنموية على الرقابة، كما أن أهدافها تخضع لجدل دولى كبير ومتزايد.

مشكلة البحث :

يدور موضوع البحث حول العوامل المؤثرة فى حرية الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء، بعد حصول جميع دولها على الاستقلال، أي فى الفترة الممتدة من الاستقلال حتى مطلع التسعينات، من خلال دراسة التطور العام لهذه الحرية فى إحدى الدول الممثلة للقارة، أو على وجه التحديد الممثلة لمناطق النفوذ الإنجليزي السابق، وهى غانا. وتتبلور مشكلة البحث فى تساؤل رئيسى مؤداه: هل نالت الصحافة الأفريقية حريتها بعد خروج المستعمر وانتصار الحركات الوطنية وقيام أنظمة الحكم الوطنى؟ أو ما الفروق الأساسية بين حرية الصحافة في العهد الاستعماري للقارة الأفريقية، وبين حرية الصحافة فى فترة ما بعد انتهاء هذا العهد؟ بمعنى آخر ما الجديد الذي قدمته الحكومات الوطنية – مدنية وعسكرية – لحرية الصحافة إيجابيا أو سلبيا؟ وهل اختلفت درجة الحرية التى تمتعت بها الصحافة الأفريقية باختلاف نوع الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية)؟.

الدراسات السابقة :

يكاد التراث العلمي العربى الخاص بالصحافة الأفريقية أن يكون منعدما، فباستثناء الكتاب الذي وضعته عواطف عبد الرحمن عن الصحافة الأفريقية لا نجد أي دراسات فى المدرسة الأكاديمية المصرية أو غيرها من مدارس الإعلام فى العالم العربى المتاح لنا التعرف على إنتاجها العلمى. لذلك لا يجد الباحث في الصحافة الأفريقية أمامه سوى التراث الغربى في هذا الموضوع، وبالتحديد الصادر منه باللغة الإنجليزية، نظراً لصعوبة الوصول إلى الصادر منه بلغات أوروبية أخرى لأسباب تتصل بعدم إتقان القراءة لهذه اللغات.

ونستعرض فيما يلي الدراسات السابقة المتعلقة بالصحافة الأفريقية عمومـــاً، ثـم المتصلة بموضوع البحث، أي الدراسات الخاصة بحرية الصحافة في أفريقيا.

أولاً: الدراسات العربية:

كما ذكرنا فإن المكتبة العربية لا تحوى سوى دراسة واحـدة حـول الـصحافة الأفريقية أعدتها د. عواطف عبد الرحمن وأصدرتها في عام ١٩٨٠ في كتاب بعنوان: "مقدمة في الصحافة الأفريقية"(١). ويتضمن الكتاب دراستين الأولى تاريخية وصـفية مقارنة لأوضاع الصحافة الأفريقية أثناء الفترة الاستعمارية، والثانية دراســة تحليليــة للقضايا المهمة التي تواجه الصحافة الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال، ومن بينها قضية حرية الصحافة، وعلاقة الصحافة بالسلطة وأنماط الملكية السائدة.

وقد شملت الدراسة الأولى التأريخ لنشأة الصحافة فى أفريقيا الناطقة بالإنجليزية، مع دراسة نشأة وتطور الصحافة في غانا، كدراسة حالة، ونشأة وتطور الصحافة فــي أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية، مع دراسة هذه النشأة فى دولة ملجاش كدراسة حالــة. أما الدراسة الثانية فقد تناولت بالتأريخ والتحليل والتفسير أوضاع الصحافة الأفريقيــة فى مرحلة ما بعد الاستقلال، بالتركيز على وظائف الصحافة، والنظريــة الإعلاميــة الأفريقية، وأنماط الملكية وحرية الصحافة.

ونظرا للطبيعة الريادية لهذه الدراسة، بالإضافة إلى مرور فترة طويلــة علــى صدورها (١٧ عاماً)، فإننا نجد بها كثيراً من الأحكام والمقولات التى تحتاج إلى إعادة اختبار فى ضوء التطورات التى شهدتها القارة الأفريقية والصحافة الأفريقية في عقدي الثمانينات والتسعينات من جانب، كما نجد فيها أيضاً كثيراً من العلاقات والفرضــيات التي يجب البحث فى صحتها.

ولعل من أهم المقولات التى طرحتها هذه الدراسة وتتعلق بحرية الصحافة فــي أفريقيا، وتدخل فى إطار هذا البحث.

(١) عواطف عبد الرحمن، **مقدمة فى الصحافة الأفريقية، القاهرة، الجمعية الأفريقية** – سلسلة كتــب أفريقيــة، الكتاب الرابع، ١٩٨٠.

- إن الصحف التى كانت تمثل الطليعة النشطة للحركة الوطنية من أجل الاستقلال أصبحت أقل حرية في ظل الحكومات الوطنية.[١]
- إن الصحافة الأفريقية فى مناطق النفوذ البريطانى السابق كانت أكثر حرية من مثيلتها فى مناطق النفوذ الفرنسى.[٢]
- إن الدول الأفريقية التى تتبع نظام الحزب الواحد أكثر قمعاً للصحافة من الدول التى تتبع نظاماً سياسياً متعدد الأحزاب.[٣]

وكما ذكرنا فان هذه الأحكام تحتاج إلى مراجعة حديثة في ظل التطورات المعاصرة في أفريقيا، كما أن هناك متغيرات أخري ينبغى قياس العلاقة بينها فى مجال حرية الصحافة فى أفريقيا، لعل أهمها متغير نوع النظام السياسى القائم وما إذا كان نظاماً مدنياً أم عسكرياً.

ثانياً: الدراسات الغربية:

تبدى المدرسة الغربية فى الإعلام اهتماماً ملحوظاً بدراسة أوضاع الصحافة الأفريقية، إذا قورنت بالمدرسة العربية والمصرية منها على وجه الخصوص. ورغم الشبهات التي قد تحيط بهذا الاهتمام الغربي بالصحافة الأفريقية، إلا أننا لا يمكن أن ننكر الدور المهم الذي تلعبه الدراسات الغربية فى إمداد الباحثين حتى الأفارقة منهم بالمعلومات الخاصة بنشأة وتطور الصحافة الأفريقية وأوضاعها الراهنة والمشكلات التى تعانى منها وعلاقتها بالحكومات الأفريقية المدنية منها والعسكرية. ومن الواضح أن الباحثين الغربيين دون غيرهم لا زالوا هم القادرون على التجوال في القارة السمراء وإجراء بحوثهم على الإعلام الأفريقى فى أرض الواقع لما يتمتعون به ولما تتمتع به المؤسسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التى ينتمون لها أو التى تدعم بحوثهم من إمكانات مادية لا تتوافر لغيرهم من باحثي العالم الثالث.

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه الباحثون الغربيون بأوضاع الصحافة الأفريقية، إلا أنه جهد ضئيل إذا قورن بالاهتمامات العالمية للمدرسة الغربية.

---

[١] المرجع السابق، ص١٥٩.

[٢] المرجع السابق، ص١٥٩.

[٣] المرجع السابق، ص١٥٩.

ويمكن تقسيم التراث الغربى الصادر باللغة الإنجليزية، ويتعلق بالصحافة ووسائل الإعلام الأفريقية، إلى:

١- دراسات قارية، أي تتعلق بالصحافة فى القارة الأفريقية عموماً دون تحديد قضايا معينة ودون تحديد دول بعينها، ويندرج تحت هذا النوع الدراسات التالية:

- مجموعة الدراسات التى تضمنها كتاب هيلن كتشن Helen Kitchen الذي يحمل عنوان "الصحافة فى أفريقيا" والذي يعود تاريخ صدوره إلى العام ١٩٥٦[١]. - كتاب وليام هاشتن William Hachten، وسائل الإعلام فى أفريقيا، الصادر فى عام ١٩٧١[٢]. - كتاب روزالاند انسلى Rosalynde Ainslie، "الصحافة فى أفريقيا: الماضي والحاضر"[٣]. - دراسات فرانك بارتون Erank barton، حول "صحافة أفريقيا: الاضطهاد والمقاومة" والصادرة فى كتاب عام ١٩٧٩.[٤] - دراسة جراهام مايتون Graham Mytton، "الإعلام فى أفريقيا"[٥].

٢- دراسات تركز على حرية الصحافة فى القارة الأفريقية بصفة عامة دون تحديد دولاً بعينها، ومن هذه الدراسات:

- دراسة دينيس ولكوكس Dennis Wilcox، "حرية الصحافة فى أفريقيا السوداء: الفلسفة والتحكم"[٦]. - دراسة ج . ب . ايفرت J. B. Evert، "حرية الصحافة فى أفريقيا، المنشورة فى مجلة الحرية الأفريقية عام ١٩٧٧"[٧]. - دراسة الحاج بابا تندى جوسى Alhaji Babatunde Jose، "حرية الصحافة فى أفريقيا" المنشورة فى مجلة الشؤون الأفريقية فى يوليو ١٩٧٥.[٨]

---

(1) Helen Kitchen (ed.,) **The Press in Africa**. Washington, D.C: Ruth Sloan Associates, 1956.

(2) William Hachten. **Muffled Drums: the news Media in Africa**. Ames: Iowa State University, 1971.

(3) Rosalynde Ainslie. **The Press in Afriea: eommunications past and Present**. London: Victor Gollancz, 1966.

(4) Frank Barton, **The Press of Africa: persecution and Perseverance**. New York: Macmillan, 1979.

(5) Graham Mytton. ***Mass Communication in Africa***. London: Arnold, 1983.

(6) Dennis L. Wilcox, "**The Press in Black Africa: Philosophies and Control**", Ph.D. dissertation, University of Missouri, 1975.

(7) Evert, J. B. "**Freedom of the Press in Afriea**," African Freedom Annual (1977).

(8) Jose, Alhaji Babatunde. "Press Freedom in Africa". **African Affairs** (July 1975): 255-262.

٣- دراسات قطرية تركز على بحث تاريخ وقضايا وأوضاع الصحافة ووسائل الإعلام فى بعض الدول الأفريقية، بما فيها قضايا حرية الصحافة، ومن أهم هذه الدراسات المتعلقة "بحالة غانا":

- دراسة جون شيك عن "صحيفة الاشانتى تايمز فى تاريخ الصحافة الغانية"[١]، ودراسة وليم هاشتن "الصحافة الغانية تحت الحكم الوطنى: نموذج سلطوي"[٢]، ودراسة سميث "الصحافة وقيم النخبة فى غانا ١٩٦٢-١٩٧٠"[٣]، ودراسة توماسى "الصحافة والقيادة السياسية فى الدول النامية : حالة غانا ١٩٦٤-١٩٧٨"[٤]، ودراسته الثانية "وسائل الإعلام والدستور الجمهوري الثانى فى غانا"[٥].

ولعل من الإضافات المعرفية المهمة للدراسات السابقة فى الموضوع، ما أضافه ريموند نيكسون Raymond Nixon[٦] في الدراسة الإمبيريقية التى حلل فيها أوضاع حرية الصحافة فى ١١٧ دولة بهدف قياس درجة هذه الحرية. وخلص فيها إلى وجود علاقة ايجابية وارتباطية بين درجة حرية الصحافة فى أي دولة وبين درجة مؤشرات وطنية، هى: مستوى الدخل السنوى للفرد (G.N.P)، ومعدلات الأمية بين البالغين، ومعدل توزيع الصحف اليومية على كل مائة شخص. ووضع نيكسون مقياساً لحرية الصحافة يتكون من عشر درجات، تعنى الدرجة (١) أعلى درجات الحرية بينما تعنى الدرجة (١٠) عدم وجود حرية صحافة. ووفقاً لهذا المقياس وضع نيكسون صحافة الولايات المتحدة الأمريكية في الدرجة (١)، بينما منح "غانا" درجة (٩)، وسبقتها فى درجة حرية الصحافة دول أفريقية أخرى، مثل كينيا (٥ درجات) ونيجيريا (٤ درجات).

---

(1) Chick, John D. "The Ashanti Times: A Footnote to Ghanaian Press History." **African Affairs** (January 1977).

(2) Hachten, William A. "Ghana's Press under the N.R.C: An Authoritarian Model for Africa". **Journalism Quarterly** 52 (Autumn 1975).

(3) Smith, jasper K. "The Press and Elite values in Ghana 1962-1970." Journalism Quarterly 49. (Winter 1972): 679-683.

(4) Twumasi, Yaw. "The Newspaper Press and political Leadership in Developing Nations: The Case of Ghana 1964 to 1978." **Gazette** 26, no. 1 (1980): 1-16.

(5) Twumasi, Yaw. "Media of Mass Communication and the Third Republican Constitution of Ghana". **African Affairs** (January 1981): 13-27.

(6) Raymond B. Nixon, "Freedom in the World's Press: A Fresh Appraisal With New Data", **Journalism Quarterly** 42 (Winter 1965), P. 7.

في هذا السياق تأتي أيضا دراسة رالف لونشتين Ralph Lowenstien[1] لحريـــة الصحافة في معظم دول العالم. وقد انتقد لونشتين منهج نيكسون في الدراسة الـسابقة في قياس حرية الصحافة على أساس أنه لم يستخدم معايير خاصة لكل دولـــة للحكـم على درجة حرية الصحافة بها ولم يضع في اعتباره عوامل مؤثرة أخرى في حريـــة الصحافة غير التدخل والسيطرة الحكومية، مثل تركيـــز الملكيـــة والتنظـيم الـذاتي للصحافة. وقد وضع لونشتين مقياساً لحرية الصحافة أطلق عليه "قابلية وقدرة الصحافة على الاستقلال وتوجيه النقد" Press Independent and Critical Ability. واستخدم ٢١ عاملاً لقياس حرية الصحافة في كل نظام صحفي من بينها القيود القانونية والقيود غير القانونية والتنظيم الذاتي والمنافسة. وخلص إلى وضع صحافة الولايات المتحدة فـي أعلى درجات الحرية، بينما وضع غانا مع دول أفريقية أخرى تحت تصنيف (انتقالي) في إشارة الى عدم ثبات أوضاع حرية الصحافة بها.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى وصف وتحليل وتفسير أوضاع حرية الصحافة فـي أفريقيـا جنوب الصحراء في فترة ما بعد الاستقلال وذلك من خلال رصد العلاقات المتبادلـة بين الحكومات الوطنية وبين الصحافة كما تبرزهـا الدسـاتير والقـوانين الخاصـة بالصحافة التي وضعتها الحكومات الوطنيـة، وكمـا يبرزهـا الواقـع الفعلـي، أي الممارسات العملية، وذلك من خلال دراسة دولة ممثلة هي غانا.

وفي ضوء ذلك يهدف البحث إلى اختبار عدد من الفرضيات المتعلقة بالمقارنـة بين حرية الصحافة في العهد الاستعماري وحرية الصحافة في عهد الحكم الـوطني، والمقارنة بين حرية الصحافة في ظل الحكومات المدنية وحرية الصحافة فـي ظـل الحكومات العسكرية. وتتمثل هذه الفرضيات - التي استقيناها من قراءة متعمقة لتاريخ وتطور الصحافة الأفريقية والدراسات السابقة السابق الإشارة إليها - فـي فرضـيتن أساسيتين، هما:

١- هناك علاقة ايجابية بين الحكم الوطني وبين حرية الصحافة. على أساس أنه مـن المأمول أن يقود حصول الدول الأفريقية على اسـتقلالها إلـى ازدهـار حريـة

[1] Ralph L. Lowenstien, "**PICA**": **Measuring World Press Freedom,**" Freedom of Information Center Publication 166 (August 1966):2.

الصحافة في إطار ازدهار الحريات العامة للمواطنين بعد انتهاء العهد الاستعماري وخروج المستعمرين وتولى أبناء هذه البلاد حكم أنفسهم.

٢- أن هناك علاقة بين نوع الحكم الذى شهدته الدول الأفريقية وبين درجة حرية الصحافة. هذه العلاقة ايجابية بين الحكم المدنى وازدهار حرية الصحافة، وسلبية بين الحكم العسكري وبين ازدهار حرية الصحافة. وذلك على افتراض أن الحكم المدنى إنما يأتي نتيجة اختيار حر للمواطنين ولا يضمن استمراره إلا استمرار رضا الناخبين، وبالتالى يجب أن يتجه إلى الحفاظ على الحريات العامة ودعم حرية الصحافة، والعكس هو المفترض فى حالة الحكم العسكرى، الذى قد يوحى مجرد إسمه بالقمع.

مجال البحث :

أ - المجال الموضوعى: يتمثل المجال الموضوعي للبحث في قضايا حرية الصحافة بصفة أساسية في إطاريها التاريخي والمعاصر، وبأبعادها المختلفة التي تتضمن: وضعية الصحافة في دساتير ما بعد الاستقلال، والنصوص القانونية المتعلقة بالصحافة سواء كانت قوانين خاصة بالصحافة (قوانين مطبوعات) أو نصوص داخل القوانين العامة، والعلاقة بين السلطة الحاكمة وبين الصحافة (التطبيق الفعلى) فى فترات الحكم المدني وفى فترات الحكم العسكري، ومدى اختلاف حرية الصحافة فى فترة ما بعد الاستقلال عنها فى فترة ما قبل الاستقلال.

ب- المجال المكانى (التطبيقى): تضم أفريقيا أنظمة سياسية متنوعة ومختلفة، لذلك فإنه من الصعب تناول حرية الصحافة فى القارة بأكملها، ولذلك يتحدد المجال التطبيقى للدراسة فى دولة غانا كحالة ممثلة. وقد اختيرت هذه الدولة لتكون مجالاً للدراسة لأكثر من سبب:

١- أنها تمثل شكلاً من أشكال التطور الصحفى فى أفريقيا السوداء. إذ كانت غانا من أوائل الدول الأفريقية التي عرفت الصحافة، ويعود صدور أول صحيفة بها وهى رويال جولد كوست جازيت إلى عام ١٨٢٢، ولم يسبقها فى ذلك من دول جنوب الصحراء سوى سيراليون.

٢- إن هذه الدولة تقدم نموذج لنظام سياسى وإعلامى متميز في القارة الأفريقية، على أساس أن الصحافة لعبت دوراً كبيراً في الحركة الوطنية التـــى قـــادت استقلال البلاد والتى تزعمها الصحفى كوامى نكروما الذى تحول إلى زعـــيم سياسى وحكم البلاد بعد الاستقلال، وكان يصدر بها فى الفترة الاســـتعمارية نحو ٧٠ صحيفة. وبعد الاستقلال وضعت غانـــا نمـــوذج لعلاقـــة الحكومـــة بالصحافة قلدته غالبية الدول الأفريقية، يقوم على امتلاك الحكومة كل وسائل التعبير فى المجتمع بما فيها الصحف. فقد كانت غانا - باعتبارها أول دولـــة أفريقية جنوب الصحراء تحصل على استقلالها (١٩٥٧) هى النموذج العملى السياسى والصحفى الذى احتذت به الدول الأفريقية بعـــد الاســـتقلال. وكـــان رئيسها الوطنى الأول نكروما أول رئيس أفريقى يضع الصحافة تحت إشرافه المباشر وأول من أنشأ وكالة أنباء وطنية، وأصدر أول صحيفة حكومية، كما كان أول من أغلق الصحف المعارضة لـــه، وأول مـــن ســـجن الـــصحفيين المعارضين فى أفريقيا جنوب الصحراء بعد رحيل المستعمر الأوروبى.

٣- إن نظام الصحافة فى غانا باعتبارها مستعمرة بريطانية سابقة: يعد أكثر النظم الصحفية تطوراً فى القارة الأفريقية، استناداً إلى تاريخ الصحافة الطويل بها.

منهج البحث :

فى ضوء الهدف الأساسى للبحث، تم الاعتماد على المنهج التاريخى فى دراســـة حرية الصحافة فى الدول الثلاث، بالاعتماد على المصادر الثانوية التى تتمثـــل فـــى الكتب والبحوث المنشورة عن الصحافة الأفريقية عموما وعن حرية الـــصحافة فـــى أفريقيا على وجه الخصوص. وقد لجأنا إلى المصادر الثانوية لتعذر الوصـــول إلـــى المصادر الأولية (الوثائق التاريخية) من جانب ، ودرجة التوثيق العالية التى حظيـــت بها المصادر الثانوية من جانب آخر. وقد تم استخدام المنهج التاريخى بأدواته التحليلية (التحليل التاريخى). كما تم استخدام المنهج المقارن للمقارنة على مستوى زمني بـــين فترتى ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال وفترتى الحكم العسكري والحكم المدنى.

محتويات البحث :

بالإضافة إلى المقدمة المنهجية السابقة، يتكون البحث مــن مبحثــين، يعــالج المبحــث الأول ظروف نشأة الصحافة الأفريقية (مع التركيز على الصحافة الغانيــة)، وحريتها قبل الاستقلال. ويركز **المبحث الثاني** على أوضاع حرية الصحافة فى غانــا بعد الاستقلال. بالإضافة إلى الخاتمة التى تشمل اختبار الفروض، وتفــسير النتــائج، وخاتمة.

المبحث الأول

الصحافة في أفريقيا جنوب الصحراء

تعد القارة الأفريقية ثانى قارات العالم من حيث المساحة وبها ما يقرب من ٦٥٠ مليون نسمة. وتمتلك أفريقيا رصيداً ضخماً من المصادر الطبيعية وبها أخصب الأراضى القابلة للزراعة فى العالم. ويسكن أفريقيا عدد ضخم من المجموعات القبلية وبها نحو ٨٠٠ لغة. ومع ذلك فإن أفريقيا جنوب الصحراء تعد واحدة من أقل مناطق العالم نمواً اقتصادياً وتكنولوجياً، وتبلغ نسبة الأمية بها نحو ٨٠%، كما أنها من أقل مناطق العالم تعرضاً واستهلاكاً لوسائل الإعلام.

في مؤتمر برلين فى ١٨٨٥ دشنت القوى الاستعمارية الأوربية سيطرتها على أفريقيا، التي تعود إلى قبل ذلك بقرون، ورسمت الحدود لتقسيم القارة فيما بينها. ومن أجل الحصول على أقصى استفادة قدم الأوربيون محاصيل جديدة للزراعة مثل البن، وجوز الهند، والموز، والبرتقال، والقطن، والفانيليا لخدمة السوق الأوربية. وقد أدى تزايد اعتماد أفريقيا على تصدير حاصلاتها بالإضافة إلى السياسية الأوربية في توحيد محاصيل القارة، إلى تزايد اعتماد دول القارة الأفريقية الواسع على الأسواق الأوربية، كما أدى اعتماد دول القارة على تصدير نفس المحاصيل تقريباً إلى تدهور أسعار هذه المحاصيل وبالتالى تدهور الاقتصاد الأفريقي. وفي ظل الحاجة إلى نقل منتجات القارة إلى أوروبا والولايات المتحدة، كان المستعمرون فى حاجة شديدة إلى مواصلات واتصالات ملائمة، فبدءوا في بناء الطرق والسكك الحديدية وأنظمة الاتصالات. وقد كانت هذه البنية الأساسية موجهة في الأساس لخدمة الأوربيين ومتجهة نحو السواحل فقط والعواصم الأوربية وليس إلى الطرق التقليدية القديمة.

إلى جانب الطرق وشبكة الاتصالات أصدر الأوربيون الصحف. فالصحافة الأفريقية ظهرت في ظل الاستعمار الأوربي وظل تطورها في القرنين التاليين مرتبطاً بشدة بالصحافة في أوروبا وأمريكا الشمالية. فقد كان للقوى الاستعمارية تأثير كبير على الصحافة في أفريقيا. وقد تمثل هذا التأثير في تقديم مفهوم سلطوي للصحافة وتقييد نمو الصحافة المحلية. كما ساهم هذا التأثير في زيادة حدة الصراع الذي ميز نشأة الصحافة الأفريقية.[1]

[1] Dennis L. Wilcox, "**The Press in Black Africa: Philosophies and Control,**" Ph.D. dissertation, University of Missouri, 1975, P. 342.

كان أول ظهور للصحافة الأفريقية في إقليم غرب أفريقيا الذى يضم غانا الــذى كان خاضعا للاستعمار البريطاني. ويتفق معظم الباحثين الــذين درســوا الــصحافة الأفريقية على أن السبب الرئيسي للنشأة المبكرة والاستقلالية التي تمتعت بها الصحافة فى المستعمرات البريطانية في غرب أفريقيا هو أن المستعمرين لم يستوطنوا إطلاقــاً في هذه المنطقة. فقد كانت الصحف التى أصدرتها بريطانيا في غرب أفريقية صــحفاً رسمية فقط في الوقت الذي كان فيه سوق القراءة صغيراً جداً ولا يسمح بتحقيق أيــة أرباح.[١] كما كان المستوطنون أكثر اهتماماً بتأسيس دعائم التجارة وتحقيــق أربــاح أكثر من اهتمامهم بالمشاركة السياسية أو تأسيس منازل لأنفسهم في المنطقة. وإلى حد ما ينظر للبريطانيين على أنهم كان لديهم أفكاراً تحررية بالنسبة للصحافة. ولذلك كانوا غالباً ما يسمحون بانتقاد الصحف الأفريقية في الساحل الغربي للسياسات الاستعمارية دون تدخل من جانبهم. على النقيض من ذلك، فإنه في شرق أفريقيا حيث كان يعــيش المستوطنون مع الأفريقيين جنباً إلى جنب، كان الموقف مختلفاً.

فقد اختلفت جوهرياً طبيعة الأنظمة الاستعمارية باختلاف القــوي الاســتعمارية الغربية. فقد اتبع البريطانيون نظاماً واقعياً يقوم على حكم المستعمرات حكمــاً غيــر مباشر من خلال المؤسسات الأفريقية القائمة، وهو نظام لم يكن نابعاً من أيديولوجيــة خاصة بقدر ما كان ملائماً لعدم استطاعة بريطانيا توفير العدد اللازم من الإداريــين لإدارة كل هذه المستعمرات. على الجانب الآخر، كان الحكم الفرنــسي فــي أفريقيــا مرتبطاً بشدة بالتقاليد التنظيمية المحلية في فرنسا. وكان الهدف الرئيسي من الاستعمار – من وجهة نظر الفرنسيين – هو إدماج المستعمرات في فرنسا ولذلك كان الأفريقي من حقه أن يُمنح الجنسية الفرنسية فى حالة تحــصيله قــدر معــين مــن الحــضارة الفرنسية.[٢] وكما ذكرنا، لم تكن هناك مساهمات فرنسية تذكر في تطــوير صــحافة أفريقية في المستعمرات الفرنسية. فقد كانت فلسفة الفرنسيين تستهدف في الأساس خلق نخبة وطنية ناطقة بالفرنسية ومرتبطة بالثقافة الفرنسية. وكان من الطبيعي أن ينحصر جمهور الصحافة والصحفيين داخل هذه النخبة. وقد ساهمت الصحافة الأوربيــة فــي أفريقيا الفرنسية في عمليات الاستيعاب هذه.[٣]

---

[1] Frank Barton, **The Press of Africa: Persecution and Perseverance** (New York: Macmillan, 1979), P.16.
[2] Ibid., P. 43.
[3] William A. Hachten, **Muffled Drums: The News Media in Africa** (Ames: Iowa State University Press, 1971), PP. 182-183.

وتستمد الصحافة المعاصرة في أفريقيا السوداء الناطقة بالإنجليزية جذورها التاريخية من أربعة أنواع مختلفة من الصحف، هى: الصحف الحكومية الرسمية؛ وصحف البعثات التبشيرية؛ والصحف المملوكة ملكية خاصة؛ والصحف السرية المعادية للاستعمار. وقد كانت الصحف الرسمية هي أسبق هذه الأنواع الأربعة فى الظهور، وكما يقول دينيس ولكوكس فإن أصل نشأة الصحافة الأفريقية تعود إلى المطبوعات الرسمية للحكومات الاستعمارية.[1] على هذا الأساس فإن الصحافة فى أفريقيا بدأت بالصحف التى امتلكها وأدارها مسئولون بالحكومات البريطانية فى المستعمرات، والتى كانت تهدف نظرياً إلى محو أمية الشعوب وتشجيع التنمية المحلية. أما الهدف الرئيس لهذه المطبوعات فقد كان إخماد الروح الوطنية بالإضافة إلى تزويد رجال الأعمال والمال ورجال الإدارة الأوربيين بالأخبار والمعلومات، وبالتالى كانت الصحافة عرقية فى المفهوم والمحتوى. وقد كان هذا أمراً طبيعياً فى ضوء حقيقة أن الغالبية العظمى من السكان المتعلمين كانوا من الأوربيين. وعلى الرغم من أن الأفريقيين لم يكونوا هم الجمهور المستهدف لدى هذه الصحافة، فإن واقع الحال لم يمنع من أن تعمل هذه الصحافة على دعم وتأكيد ولائهم للنظام الاستعماري.[2]

كانت أول صحيفة معروفة تصدر فى أفريقيا السوداء هى صحيفة "رويال جازيت آند سيراليوني ادفرتيزر" Royal Gazette and Sierra Leone Adertiser التى صدرت فى فبراير عام ١٨٠١ واستمرت فى الصدور لمدة عام. وفى عام ١٨٢٢ صدرت فى أكرا عاصمة ما كان يعرف فى ذلك الوقت بـ "ساحل الذهب" وحالياً "غانا"، صحيفة شبه رسمية مكتوبة بخط اليد هى "رويال جولد كوست جازيت" Royal Gold Coast Gazette. ولم تعمر معظم الصحف الاستعمارية الرسمية طويلاً واستمرت فى أحسن الأحوال لسنوات قليلة. وبالإضافة إلى هذه المطبوعات المبكرة التى امتلكتها وأدارتها الحكومات، ظهرت بعض الصحف التى يمتلكها أوربيون ويديرونها باستقلال تام عن السلطات الحكومية. ففى نيجيريا صدرت أول صحيفة بواسطة إحدى البعثات التبشيرية، وكانت صحيفة نصف أسبوعية أسسها ريفرايند هنرى تونسند فى عام

[1] Wilcox, "**The Press in Black Africa**", P. 30.
[2] Ibid., P. 34.

١٨٥٩ وأطلق عليها إسم "ايو أوهرين" Iwe Ihorin. وفـــى الواقـــع فـــإن الـــصحافة التبشيرية فى غرب أفريقيا تندرج ضمن مفهوم الصحافة الأفريقية المستقلة التى كانت تستهدف الجمهور الأفريقى.[١]

وكانت صحيفة أكرا هيرالد Accra Herald التى تأخر صدورها إلى العام ١٨٥٧ هى أول صحيفة تصدر عن أشخاص وليس عن الحكومة فى ساحل الذهب (غانـــا) – وقد صدرت بعد أكثر من ٣٠ عاماً من صدور أول صحيفة رسمية وهى رويال جولد كوست جازيت – وكانت مكتوبة أيضاً بخط اليد. وبعد عامين انتقلت الـــصحيفة إلـــى مدينة كاب كوست وسميت بإسم جديد هو وست أفريكان هيرالد West African Herald وكان عدد المشتركين فيها نحو ٣٠٠ شخصاً.

والواقع أن فكرة الصحافة وإصدار الصحف بدأت فى الانتشار – ببطء في البداية – ولكن على المدى الطويل كان انتشاراً سريعاً، كما وصفه فرانك بارتون "بأنه كـــان مكر الشرارة التي اشتعلت فجأة ولم يكن من الممكن التحكم فيها، على امتداد الـــساحل الغربى لأفريقيا[٢]. وفى ساحل لمذهب (غانا) بصفة خاصة كانت الصحافة قوية وظلت لسنوات طويلة صحافة أفريقية خالصة يملكها الأفارقة ويديرونها.

ومن أبرز الصحف الأفريقية التى ظهرت في فترة مبكرة، صحيفة أنجلو افريكان Anglo-African التى صدرت فى لاجوس بنيجيريا فى عام ١٨٦٣ بمضمون مـــشابه للصحف البريطانية التي كانت تصدر في لندن في ذلك الوقت. وقـــد اســـتمرت هـــذه الصحيفة في الصدور لمدة ثلاث سنوات فقط، وتبعتها مجموعة من الصحف صدرت على غرارها ومتشبهة بها في الشكل والمضمون تستهدف الأقلية الأوربية المتعلمـــة. وكانت هذه الصحف يصدرها فى الغالب أفراد، وكانت مختلفة تماماً عـــن النـــشرات المعارضة المعاصرة لها والتى شكلت القاسم الأعظم من تقاليد الـــصحافة الأفريقيـــة الحديثة. لقد كان هذا النوع من الصحف قائم على أساس تلبية حاجة النخبة لأن يكون لها صوت في الشؤون العامة ورغم أنها كانت صحفاً سياسيةً في الأســـاس إلا أنهـــا تضمنت مواداً للتسلية. ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع صحيفة أفريكان انتربرتير في سيراليون التي تضمنت مواد مترجمة من صحافة لندن بالإضافة إلى ركـــن للـــشعر،

[1] Hachten, **Muffled Drums**, p.145.
[2] Batron, **The Press of Africa**, p. 15.

والنقد السياسى. وفى ساحل الذهب كان النقد السياسى هو الوظيفة الأكثر أهمية بالنسبة للصحافة(١).

وقد ظهرت الصحف التي يصدرها أفريقيون وتتوجه إلى الأفريقيين لأول مرة في المستعمرات البريطانية فى غرب أفريقيا، في سيراليون، وساحل الذهب (غانا)، ثم في نيجيريا بعد ذلك. وكان هدف هذه الصحف سياسياً بصفة أساسية حيث عملت هذه الصحف كأداة للتنمية السياسية والتأثير السياسى. وقد كان لهذه النشأة تأثير ممتد على تطور الصحافة فى غرب أفريقيا. وقد حملت الصحافة الناطقة باللغة الإنجليزية في غرب أفريقيا انتقادات للسلطات الاستعمارية وأصبحت فيما بعد أحد الأدوات المهمة التى استخدمتها الحركات الوطنية في نضالها من أجل الاستقلال.(٢)

ولعل مما يميز نشأة الصحافة في غرب أفريقيا أنها كانت من البداية أفريقية الهوية والملكية. فباستثناء الصحف الرسمية التى أصدرتها السلطات الاستعمارية وبعض الصحف الصغيرة التى أصدرها المبشرون، كانت غالبية الصحف التي صدرت فى فترة النشأة يمتلكها أفارقة من سكان البلاد الأصليين. ويرجع هذا إلى أن المجتمع الأوربي الاستعماري فى دول غرب أفريقيا كان صغيراً جداً واقتصر اهتمامه كما قلنا من قبل على أمور التجارة، وبالتالى لم تكن هناك سوق قراء تسمح بانتشار الصحافة الاستعمارية.(٣)

وقد تأثرت نشأة الصحافة الأفريقية في دول غرب أفريقيا بعودة العبيد المحررين من الولايات المتحدة إلى ليبيريا وسيراليون . فقد كان من بين العائدين تشارلز فورس Charles Force الذي عاد إلى مونوروفيا في عام ١٨٢٦ حاملاً معه آلة طباعة يدوية، مكنته من إصدار صحيفة شهرية فى أربع صفحات، هي "ليبيريا هيرالد Liberia Herald ولكنها أغلقت بعد شهور قليلة لوفاته، ثم أعاد أفريقي آخر عائد من الولايات المتحدة إصدارها مرة أخرى. وقد حملت هذه الصحيفة دعوة المساواة بين الأفارقة

---

[1] Rosalynde Ainslie, **The Press in Africa: Communications Past and Present** (London: Victor Gollancz, 1966), p.23.

[2] Hachten, **Muffled Drums**, P.143.

[3] Ainslie, **The Press in Africa**, p. 21.

وبين الأوروبيين، وحاربت تجارة الرقيق وقدمت الأفارقة كعنصر مساو تماماً للأوروبيين.(١)

وبحلول منتصف القرن التاسع عشر كانت الصحافة قد انتشرت فى الدول الواقعة على طول الساحل الأفريقى الغربى. والجديد الذي حمله العقد الثامن من هذا القرن هو أن الصحافة فى هذه البلدان قد بدأت نوعاً من التعاون المشترك بإعادة نشر ما تنشره الصحف الأفريقية الأخرى. وقد بدأت هذه الخدمة الجديدة صحيفة لاجوس تايمز Lagos Times بإعادة نشر ما تنشره صحف سيراليون وساحل الذهب (غانا). إذ شعرت الصحافة الأفريقية بالهوية المشتركة سواء بين الصحف أو بين القراء، الأمر الذي مهد لظهور الصحافة الشعبية فيما بعد.(٢)

وقد صدر فى نيجيريا فى نهاية القرن التاسع عشر عدد كبير من الصحف كان من أهمها صحيفة لاجوس ويكي ريكورد Lagos Weekly Record التى نطقت باسم الحركة الوطنية وحررها الصحفى البارز جون باين جاكسون John Payne Jackson الذي يعد أول صحفى أفريقى محترف، أى أول صحفى مثلت الصحافة المهنة الأساسية له. وقد اكتسب جاكسون شهرته من كتاباته الوطنية وهجومه الدائم والشديد على العنصر الأوروبي الأبيض فى أفريقيا.(٣)

أما فى غانا (ساحل الذهب فى ذلك الوقت) فقد كان من أبرز الصحف المبكرة صحيفة "جولد كوست أبورجينز" Gold Cost Aborigines التى نطقت بلسان أول جماعة سياسية فى غانا، وهى منظمة حماية الحقوق The Protection Society، ورغم الصعوبات الاقتصادية الشديدة التى عانت منها الصحف الغانية الوليدة وأدت إلى زيادة معدلات إغلاقها، فإن فترة العقد التاسع من القرن التاسع عشر (١٨٩٠) كانت من أزهى فترات الصحافة الغانية. فقد حفلت الصحف الغانية بالمقالات السياسية التى تهاجم بعنف حكومة الاحتلال، كما تضمنت تغطية خبرية جيدة لأخبار غانا ومستعمرات غرب أفريقيا(٤). وبحلول القرن العشرين كان هناك حسب تقدير هاشتن،

---

(1) Barton, **The Press of Africa**, p.17.

(2) Ainslie, **The Press in Africa**, pp. 25-26.

(3) Ibid., pp. 28-30.

(4) Ainslie, **The Press in Africa**, pp. 23-25.

ثلاثة وستون صحيفة تصدر فى غرب أفريقيا البريطانية، منها أربعة وثلاثين صحيفة فى سيراليون، وتسعة عشر صحيفة في غانا، وتسعة صحف في نيجيريا، وصحيفة واحدة فى جامبيا. وتبدو هذه الأرقام جيدة إذا علمنا أن الصحافة الوطنية لم تكن قد ظهرت بعد فى بقية مناطق أفريقيا السوداء باستثناء جنوب أفريقيا.(١)

وقد كانت غالبية الصحف التى ظهرت فى غرب أفريقيا مملوكة إما لأفارقة من سكان البلاد الأصليين، أو للجماعات التبشيرية، وهو أمر لم يكن متاحاً للأفريقيين فى مناطق أفريقيا الأخرى، ولم تتغير الطبيعة الأفريقية للصحافة فى غرب أفريقيا، حتى بعد دخول المؤسسات الصحفية الغربية الكبرى مجان إصدار الصحف فى غرب أفريقيا، مثل مجموعة الديلى ميرور البريطانية Britain's Daily Mirror Group، ومجموعة راي تومسون الكندية Canada's Roy Thomson، إذ استمرت الصحف تعبر فى الأساس عن الأفريقيين وتمثل الصوت المناهض للاحتلال، وظلت هى الأساس في الحركات الوطنية فى غرب أفريقيا في الخمسينات والستينات من هذا القرن.

وفي بداية القرن العشرين أقامت بريطانيا الحدود السياسية بين الدول الأفريقية. وقد قامت الصحافة الأفريقية الوطنية بدور بارز فى المعارضة الشعبية لهذا الإجراء الاستعماري، التى تجلت فى المظاهرات العنيفة التى اجتاحت لاجوس وساحل الذهب (غانا). وكانت هذه الأحداث وراء تحول الصحفيين في المستعمرات البريطانية فى غرب أفريقيا إلى قادة سياسيين.(٢)

وقد صدرت أول صحيفة يومية ناجحة فى غرب أفريقيا فى نيجيريا عام ١٩٢٥، وهى صحيفة لاجوس ميلي نيوز Lagos daily News، وأصدرها هربرت ماكيلى. وكانت هذه الصحيفة أيضا أول صحيفة تنتمى إلى حزب سياسى وهو الحزب الوطنى الديمقراطى National Democratic Party، الذى أسسه صاحب الصحيفة. وقد كان لهذه الصحيفة دوراً بارزاً فى تطور الحركة الوطنية النيجيرية، وأثرت بما كانت تنشره من موضوعات مناهضة للاحتلال قلق السلطات الاستعمارية وعملائها من التجار والمحافظين. ولمقاومة هذه الصحيفة لجأ مجموعة من رجال الأعمال البيض إلى

(1) Hachten, **Muffled Drums**, p. 145.

(2) Barton, **The Press of Africa**, p. 19.

إصدار صحيفة منافسة لها، من خلال الغرفة التجارية بلاجوس، هى صحيفة ديلى تايمز Daily Times، التى أصبحت فيما بعد أكثر الصحف أهمية وقوة في غرب أفريقيا، بما توافر لها من إمكانات اقتصادية وفنية كانت خارج قدرات الصحف الوطنية(١).

وقد دخلت صناعة الصحافة فى غرب أفريقيا- والتى كانت تعتمد على المبادرات الفردية - فى عام ١٩٣٤ عهداً جديداً بظهور ننامدى ازيكوي Nnamdi Azikiwe، أحد قادة الحركة الوطنية الأفريقية، وكان أزيكوى قد تلقى تعليمه فى الولايات المتحدة وشهد هزيمة سياسة التفرقة العنصرية في ولايات الجنوب في العشرينات، وتزايد الوعى السياسى للأمريكيين السود، والمظاهرات العنصرية. وقد أمن أزيكوى بقدرة الصحافة في الحركة التحررية الأفريقية، فأصدر بالاشتراك مع صحفى سيراليونى صحيفة أفريكان مورننج بوست African Morning Post في عام ١٩٣٤، ثم انتقل إلى نيجيريا ليصدر صحيفة ويست أفريكان بيلوت West African Pilot(٢).

وفى الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الثانية بدأ معظم القادة السياسيين الأفارقة حياتهم السياسية بالعمل فى الصحافة كمحررين وناشرين لنشرات إخبارية وطنية، وكان من بين هؤلاء كوامى نكروما أول رئيس لغانا، وجومو كنياتا، أول رئيس لكينيا، وجوليوس نيريري، قائد الاستقلال فى تنزانيا، وجوزيف مويدبوتو فى زائير.

حرية الصحافة قبل الاستقلال :

الواقع أن هناك وجهتين نظر أساسيتين ومتعارضتين فيما يتعلق بدرجة الحرية التى تمتعت بها الصحافة الوطنية الأفريقية قبل الاستقلال. فعلى حين يري هاشتن(٣) أن التقاليد البريطانية في حرية الصحافة امتدت إلى مستعمرات بريطانيا فى غرب أفريقيا، فتمتعت الصحافة فى هذه المنطقة بدرجة كبيرة من حريتها. ورغم أن الصحف الأفريقية كانت تواجه من وقت إلى آخر اضطهادات وقمع، إلا أن السلطات

(1) Hachten, **Muffled Drums**, p.146.

(2) Barton, **The Press of Africa**, pp. 21-22.

(3) Hachten, **Muffled Drums**, pp. 148-149.

البريطانية كانت أكثر تحملاً وسمحت بدرجة من حرية الصحافة لم تتمتع بها الصحافة فى أي منطقة أفريقية أخرى في ذلك الوقت.

في المقابل فإن ويلكوكس يري أن السلطات البريطانية نفضت يدها مما يتعلق بحرية الصحافة ولم تتدخل مباشرة للحد من حرية الصحافة فى غرب أفريقيا، ولكنها استعملت الإدارات المحلية فى الحد من حرية الصحافة، حيث تركت القرارات المتعلقة بحرية الصحافة فى يد هذه الإدارات العميلة لها. ولهذا يري ويلكوكس أنه من الخطأ أن نتصور أن الصحافة الأفريقية فى غرب أفريقيا قد تمتعت تحت الاحتلال البريطاني بأية درجة من الحرية لسبب بسيط وهو أن الحكومة البريطانية لم تضع رسمياً أية ضمانات أو مبادئ لحرية الصحافة فى مستعمراتها.(١)

وكانت السلطات الاستعمارية تلاحق الصحف بالمحاكمة والمصادرة بموجب قوانين السب والقذف، وإصدار قوانين الصحافة المقيدة لحرية الصحافة والمماثلة لقوانين الصحافة فى بريطانيا في القرن الثامن عشر(٢). وقد دفع وجود مثل هذه القوانين، بالإضافة إلى وجود الصحف المعبرة عن الأوروبيين العديد من الأفارقة إلى إصدار صحف تعبر عنهم وتنطق بلسانهم وتعكس آرائهم وطموحاتهم في الاستقلال(٣). ورغم هذه القيود فان الصحفيين الأفارقة – خاصة في الدول الخاضعة للاستعمار البريطانى – تمتعوا إلى حد ما بدرجة من الحرية مكنتهم من معارضة السلطات الاستعمارية والمطالبة بالاستقلال بل والمساهمة مع الحركات الوطنية في إنهاء الاحتلال الأوروبى.

وفي عشية الاستقلال وانتقال الحكم إلى الأغلبية الأفريقية التى تستند على التأييد الشعبي الجارف، كان من المتوقع أن تزدهر حرية الصحافة الأفريقية وتتسع قاعدة ملكية الصحف وعددها، خاصة مع نمو برامج محو الأمية ونشر التعليم التى أعلنتها الحكومات الوطنية، بالإضافة إلى ما ولده الاستقلال من حاجة شعبية إلى الأخبار عن الشئون العامة بين الأفارقة خاصة فى المناطق الحضرية. ولكن هذه التوقعات لم

---

(1) Wilcox, **The Press in Black Africa**. pp. 38-40.

(2) Ibid, p. 40.

(3) Ibid, p.45.

تحدث، بل على العكس كان عقد الستينات (عقد الاستقلال) أحرج فترات حرية الصحافة الأفريقية. فقد ظل عدد الصحف محدوداً بل وأقل مما كان عليه تحت الحكم الاستعماري نتيجة إغلاق الصحف واحتكار الحكومات إصدار تراخيص الصحف الجديدة، كما ظل توزيع الصحف محدوداً وعائداتها من الإعلان محدودة للغاية، كما ظلت قاعدة القراء كما هى بسبب استمرار معدلات الأمية على ما كانت عليه والفقر.

إن الذى تغير بعد الاستقلال – حسبما يقرر وليم هاشتن –[١] هو نمط ملكية الصحف والسيطرة على السوق الصحفى. فقد اتجهت الحكومات الجديدة إلى احتكار ملكية وسائل الإعلام المطبوعة والمسموعة، ووضعت بذلك حجر الأساس لنمط لا زال قائماً ويميز الصحافة الأفريقية حتى اليوم.

وقد ظل التدخل الحكومى فى شئون الصحافة بعد الاستقلال واضحا فى أكثر من اتجاه، مثل: انخفاض عدد الصحف المستقلة، وظهور عدد كبير من الصحف الحكومية، وتزايد نفوذ وزارات وإدارات الإعلام، وتأميم الخدمات الإذاعية والتليفزيونية، وإنشاء وكالات الأنباء الحكومية للتحكم في تدفق الأخبار والمعلومات من وإلى الدول الجديدة. وقد انتقل هذا النمط من دولة إلى أخرى، وتعرضت جميع الصحف التى كانت تصدر قبل الاستقلال إما إلى احتواء النظم الجديدة لها بالشراء أو التهديد وإما إلى الإغلاق، ولم تستثن من ذلك الصحف التى ساندت حركات التحرر، بعد أن أظهرت الحكومات عدم تحملها حرية الصحافة. وقد عبر أحد الصحفيين الأفارقة عن بقاء أوضاع حرية الصحافة كما كانت عليه قبل الاستقلال وربما تحولها إلى الأسوأ، بقوله "إن شيئا لم يتغير عما كان يحدث أيام الاستعمار، فقط تغير اللاعبون ولكن المباراة ظلت كما هى، فبدلاً من الحاكم الاستعماري أصبح لدينا رئيس جمهورية أو جنرال.. وتم الاستيلاء على الصحف، والصحف التى رفضت الانضمام إلى ماكينة الدعاية الحكومية تم إغلاقها."[٢]

---

[1] Hachten, **Growth of Media**, Ibid, p. 22.

[2] Hilary Ng'weno, "**The Third World Dilemma: Can a State Press Be Free?**", The Weekly Review (Nairobi), 22 June 1979.

المبحث الثاني

حرية الصحافة فى غانا

كانت غانا (ساحل الذهب سابقاً) أول مستعمرة أفريقية تحصل على استقلالها من بريطانيا. ومنذ استقلالها تلعب غانا دوراً بارزاً فى الشئون الأفريقية، وقدمت نموذجاً خاص بها فى مجال الإعلام فى القارة الأفريقية.

لقد كانت الصحافة الغانية قبل الاستقلال مملوكة بالكامل تقريباً للأفريقيين، وتعمل في خمسة أهداف الحركة الوطنية للتحرر. كما كانت الصحافة الغانية صحافة سياسية فى المقام الأول تعبر عن الاتجاهات الوطنية المعارضة للاحتلال، وساهمت بقدر كبير فى ظهور وتطور الحركة الوطنية بل وقامت على أكتافها الأحزاب السياسية. ونجحت الصحافة الغانية قبل الاستقلال فى الوصول إلى المناطق الريفية ولم تقتصر فى توزيعها على المناطق الحضرية فقط. وكانت الصحف الغانية مرتبطة بشدة بالأحزاب السياسية الوطنية، وقامت السياسة التحريرية على أساس التركيز على القضايا السياسية كوسيلة لزيادة توزيع الصحف.(١)

وقد واجهت الصحافة الغانية الوطنية قبل الاستقلال كثيراً من حالات العصف بحريتها من جانب السلطات الاستعمارية المحلية، وتتمثل أبرز نماذج ذلك، فى مصادرة الصحف وحظر إصدارها والقبض على الصحفيين. فعندما أصدر نكروما صحيفة إيفيننج نيوز Evening News في عام ١٩٤٨ التى انبثق منها حزب مؤتمر الشعب (CPP)، لم تتحمل السلطات الاستعمارية ما كانت تروج له الصحيفة من أفكار وطنية تحررية فقامت بحظر صدورها وألقت القبض على محرريها.(٢)

وعندما حصلت غانا على استقلالها وكانت أول دولة في أفريقيا السوداء تتركها الإمبراطورية البريطانية فى ٦ مارس ١٩٥٧، كان قائد حركة الاستقلال هو كوامي نكروما نفسه صاحب صحيفة إيفيننج نيوز وصحيفتين أخريين كان قد أصدرهما عندما

[1] Kitchen "**The Press in Africa**", p. 73.

[2] Wilcox, "**The Press in Black Africa**" p. 43.

عطلت السلطات الاستعمارية الصحيفة الأولى. وقد صدر الدستور الغاني في عام ١٩٦٠ ليعلن قيام الجمهورية في غانا وأصبح الصحفي والزعيم السياسي كوامي نكروما رئيس أول جمهورية غانية.

وقد كان من الطبيعي أن يهتم الرئيس نكروما - الصحفى سابقاً بالصحافة ويقدر دورها الإيجابى والسلبي، ويجعل منها أداة ثورية فى سعيه إلى قيادة القارة الأفريقية نحو الوحدة والاشتراكية، إذ كانت أيديولوجيته تقوم على التأثير في القادة الأفارقة وتقديم غانا كنموذج يُحتذى. ولذلك أصبح نكروما أول زعيم أفريقى يضع الصحافة ووسائل الإعلام تحت إشرافه الشخصي المباشر، وإمعاناً فى السيطرة قامت الحكومة بتأسيس مؤسسة حكومية لإصدار الصحف ضمت إليها صحيفة إيفينِنج نيوز، وأصدرت عدد آخر من الصحف، مثل غانا تايمز Ghanian Times. وعملت الصحيفتان كناطقتين بلسان حزب نكروما. ولإخماد أى صوت معارض قامت حكومة نكروما في ١٩٦٧ بشراء الصحيفة المعارضة الواسعة الانتشار ديلي جرافيك Daily Graphic التى كانت قد صدرت فى عام ١٩٥٠ عن مجموعة الميرور اللندنية، والتى كانت أوسع الصحف الغانية انتشاراً وتوزيعا وفاقت فنياً صحيفتا الحكومة[١].

ومع التوجه الماركسي لحكومة نكروما، ولمواجهة الاتجاهات الرأسمالية التى عبرت عنها بعض الصحف التابعة لشركة المناجم الأوروبية "أشانتى تايمز"[٢]، أصدرت الحكومة صحيفة "ذى سبارك" The Spark، في عام ١٩٦٢ كصحيفة ماركسية جادة.[٣]

وللسيطرة على تدفق الأخبار الخارجية إلى البلاد أنشأت الحكومة وكالة أنباء غانا Ghana News Agency كما أنشأت وزارة للإعلام، ورغم التنظيم الجيد للوكالة والوزارة إلا أنها تركز فقط على الدعاية الحكومية.[٤]

---

[1] Hachten, **Muffled Drums**, p. 168.

[2] Chick, John D. "the Ashanti Times: A Footnote to Ghanian Press History", **African Affairs** 76 (January 1977): 81. Chick, John D. "the Ashanti Times: A Footnote to Ghanian Press History", **African Affairs** 76 (January 1977): 81.

[3] Ainslie, "**The Press in Africa**", p. 62.

[4] Hachten, **Muffled Drums**, p. 172.

إضافة إلى ذلك قامت الحكومة بإغلاق الصحيفة المعارضة الثانية، وهي صحيفة أشانتي بيونير Ashanti Pioneer فى عام ١٩٦٢ واعتقلت جميع محرريها[1].

ويتضح مما سبق أن أول حكم وطنى في غانا قد ضاق كثيراً من حرية الصحافة، رغم أنه كان على رأسه صحفياً سابقاً. وربما يكون هذا هو السبب في التضييق على الصحافة. وقد شملت القيود غير القانونية التى فرضها نكروما على الصحافة: وضع الصحافة تحت إشرافه المباشر، السيطرة على السوق الصحفي من خلال إدخال الحكومة كمالك للصحف، وشراء الصحف المعارضة الواسعة الانتشار، إغلاق الصحف المعارضة واعتقال محرريها، السيطرة على تدفق الأخبار الخارجية إلى البلاد بإنشاء وكالة أنباء وطنية، بالإضافة إلى قمع الصحفيين المعارضين عن طريق فصلهم من العمل الصحفي أو دفعهم إلى الهجرة خارج البلاد. فقد طرد نكروما رئيس تحرير صحيفة ديلى جرافيك في عام ١٩٥٧ لأنه كتب مقالاً بعنوان "ماذا بعد يا نكروما؟" ينتقد فيه إصدار عملة جديدة للبلاد تحمل صورة نكروما. كما طرد صحفيين آخريين في عام ١٩٦١ لكتابتهما تقارير صحفية عن إضرابات عمال السكك الحديدية والميناء.[2]

وقد وضع نكروما المبادئ الأساسية للنظرية السلطوية في الإعلام، وهى:

١- السيطرة الحكومية شبه الكاملة على جميع وسائل الإعلام الجماهيرية.

٢- قصر دور الصحافة على دعم سياسات الحكومة والدفاع عن أعمالها.

٣- منع وصول الصحافة إلى مصادر الأخبار الحكومية.

٤- منع الصحافة من توجيه أى نقد مباشر للحكومة.[3]

وقد استخدم نكروما عدة آليات قانونية للحد من حرية الصحافة، نوجزها - حسب تطورها التاريخي - فيما يلي:

---

(1) Smith, "**The Press and Elite Values in Ghana,**" p. 680.

(2) Hachten, **Ghana's Press Under the N.R.C**, Ibid, p. 464.

(3) Hachten, **Ghana Press, Ibid**, pp. 459- 60.

- لم يقر الدستور الغاني الذى صدر في عام ١٩٦٠ حرية الصحافة. وقد استعاض نكروما عن ذلك بإصدار إعلان مبادئ أشار فيه إلى ضرورة وضع قيود على حرية التعبير للحفاظ على النظام العام والآداب والصحة العامة، والحق ذلك بنص يمنع حرمان أي شخص من حرية التدين أو الحديث أو التنقل أو التجمع السلمي أو التقاضي أمام المحاكم(١).
- في عام ١٩٥٩ أصدر نكروما قانون الاعتقال الوقائي Preventive detention Act ليسمح للحكومة باعتقال أي شخص لمدة تصل إلى خمس سنوات دون توجيه اتهام إليه ودون محاكمة. وخلال العام الأول من تنفيذ هذا القانون تم اعتقال أكثر من سبعين شخصاً أغلبهم من الصحفيين.(٢)
- فى يونيو ١٩٥٩ تذرعت الحكومة بوقوع محاولة انقلاب فاشلة وأصدرت قانون الأنباء الكاذبة Flase Reports Bill، الذى تضمن عقاب من يقوم بنشر بيانات كاذبة شفاهة أو كتابة من شأنها المساس بمصداقية وسمعة الحكومة الغانية بالسجن مدة تتراوح بين خمس وخمسة عشر سنة، سواء تم النشر داخل أم خارج البلاد. وفي نفس الوقت تم تشديد قانون الخيانة العظمى وأصبحت عقوبة الدعوة إلى تغيير نظام الحكم هى الإعدام.
- أصدر نظام نكروما قانوناً جديداً للتحريض على عصيان الحكومة، رفع فيه عقوبة هذه الجريمة إلى السجن خمسة عشر عاماً، بعد أن كانت هذه الجريمة يعاقب عليها بالسجن ثلاث سنوات كحد أقصى فى العهد الاستعماري. وفي أغسطس ١٩٦٠ أصدر النظام لائحة الرقابة، التى منحت رئيس الجمهورية شخصياً سلطة فرض الرقابة على الصحف وحظر إدخال المطبوعات الأجنبية التى لا تتفق – من وجهة نظر الحكومة – والمصلحة العامة إلى البلاد.(٣) وقد طبقت هذه اللائحة على الفور على صحيفة المعارضة الوحيدة في ذلك الوقت وهى Ashanti pioneer ومنعت من الصدور لمدة خمسة أيام، كما تم وضع اثنان من رؤساء تحرير الصحف قيد

---

(1) Pauli Murray and Leslie Rubin, "**The Constitution and Government of Ghana**", London: Sweet and Maxwell, 1964, p. 22.

(2) Gunilla L. Faringer, "**Press Freedom in Africa**", New York: Praeger Publishers, 1991. p. 45.

(3) Frainger, Ibid, p. 45.

الاعتقال الوقائى بعد اتهامهم بالقيام بأنشطة معادية للنظام، شملت محاولة اغتيال نكروما.

- فى عام ١٩٦١ استمر اتجاه النظام نحو وضع مزيد من القيود على الصحافة، وذلك بإضافة مادة جديدة إلى قانون الاعتقال الوقائى تجرم القذف فى حق رئيس الجمهورية أو تشويه سمعته أو الدعوة إلى كراهيته وإزدرائه بجميع طرق النشر الشفهية والطباعية. ووسعت المادة نطاق عمل القانون ليشمل الغانيين في أي مكان في العالم، وتطبيقه بأثر رجعى منذ يوم الاستقلال. وبعد مرور عام واحد على هذا التعديل كان فى سجون نكروما نحو ٣٥٠ صحفياً بسبب هذا القانون.[١]
- في سبتمبر ١٩٦٢نصب نكروما نفسه رئيسا مدى الحياة، وأقام نظام الحزب الواحد، ولهذا تعرض لمحاولة اغتيال قتل فيها ١٥ شخصاً وأصيب المئات. وقد انتهز نكروما الفرصة ففرض حالة الطوارئ على البلاد وفرض رقابة صارمة على الصحافة خاصة على التقارير الصحفية الداخلة إلى غانا والخارجة منها، وقام بطرد مراسلى الصحف الأجنبية، وأنهى هذه الإجراءات بتأميم صحيفة أشانتى بيونير المعارضة.
- في يونيو ١٩٦٣ تدخلت الحكومة فى إصدار الصحف الجديدة وقررت إلزام جميع الصحف بالحصول على ترخيص من وزارة الإعلام حتى تتمكن من إغلاق ما تريد إغلاقه من الصحف وعقاب الصحفيين بدعوى عدم الالتزام بشروط الترخيص.

والطريف أنه رغم هذه القيود الصارمة فإن نكروما – كغيره من حكام العالم الثالث – كان يزعم على الدوام بأن الصحافة في بلاده تتمتع بأكبر قدر من الحرية. فقد قال في يونيو ١٩٦٥ "أن لدينا عدة صحف لكل منها محرروها، هؤلاء المحررون يتمتعون بأكبر قدر من الحرية، إذ يلتقون كل أسبوع بالمسئولين في جميع الإدارات الحكومية والحزب المتصلين بأمور الإعلام ويتناقشون معهم بحرية فى الشئون المحلية والدولية، وبعد ذلك فإن كل محرر حر في اختيار الموضوع الذى يريد أن يكتب فيه"[٢].

---

[1] Frainger, Ibid. p. 46.

[2] Henry L. Bretton, "**The Rise and Fall of Nkrumah**", London: Praeger, 1966, p. 129.

في فبراير ١٩٦٦ أطاح العسكريون فى المجلس الـوطنى للتحريـر National Liberation Council بحكم نكروما، وأقاموا حكما عسكريا بزعامة الكولونيل أنكـراه، استمر نحو ثلاثة سنوات. وقد شهدت الصحافة الغانية – في البداية – تحولات بارزة، كمية ونوعية، تحت حكم العسكريين، نتيجة تحول النهج السياسي للدولـة والانقـلاب على النظام الاشتراكي الماركسى الذى بدأه نكروما. فمن ناحيـة تحولـت الـصحف الثلاثة الرئيسية التى كانت تنطق بلسان حكم نكرومـا إلـى النطـق بلـسان الحكـم العسكري. ومن الطريف – كما يذكر هاشتن[1]، أن الصحف الثلاثة غيرت سياسـتها التحريرية فور وقوع الانقلاب وصدرت في اليوم التالى دون توقف لتؤيـد الانقـلاب وقادته. كما عادت إلى الصدور بعض الصحف التى كانت حكومة نكروما قد أغلقتها، وأهمها صحيفة أشانتي بيونير التى أصبحت في هذه الفترة الصحيفة اليومية المـستقلة الوحيدة وإن كانت قد غيرت إسمها إلى "بيونير Pioneer" وأطلقت الحكومة العـسكرية سراح الصحفيين الذين كان قد تم اعتقالهم أثناء الحكم السابق. ويحسب للحكم العسكري أن الدستور الذى أصدره بدلاً عن دستور نكروما تضمن النص على حريات الإنـسان الأساسية ومن بينها حرية التعبير والصحافة. ورغم أنه لم يوقـف العمـل بـالقوانين السابقة المقيدة للصحافة إلا أنه تسامح بعض الشيء مع الصحافة، ومن دلائـل ذلـك صدور عدة صحف جديدة مثل صحيفة Legon Observer وصحيفة Echo، كما سـمح النظام بصدور صحف تعبر عن أحزاب سياسية، وتمتعت الصحافة الغانية بقدر مـن حرية الصحافة بعد أن ألغت الحكومة الرقابة التى كانت مفروضـة علـى التقـارير الصحفية الخارجة من البلاد.

فى المقابل وبعد فترة بدأت الحكومة العسكرية في اتخاذ إجراءات مـشابهة لمـا استخدمته حكومة نكروما السابقة في تقييد حرية الصحافة. وتمثلت هذه الإجراءات في إغلاق عدد من الصحف التى كانت مؤيدة لنكرومـا، واعتقـال رؤسـاء تحريرهـا ومحرريها، وتعيين صحفيين موالين لها في الصحف الحكومية التى آلت إليها[2].

---

[1] Hachten, **Ghana Press...**, Ibid, p. 460.

[2] Smith, **The Press and Elite Values in Ghana**, Ibid, p.681.

تخلى العسكريون عن الحكم فى غانا في عام ١٩٦٩ لحكومة مدنية برئاسة كوفي بواسيا بعد فوز حزبه (حزب التقدم Progress Party) فى الانتخابات التى أجريت على أساس الدستور الجيد. وقد شهدت الصحافة الغانية في ظل حكم بواسيا الـذى اسـتمر نحو أربعة سنوات، قدراً من الازدهار، بعد أن ألغت الحكومة فى عام ١٩٧٠ عدداً من القوانين المقيدة لحرية الصحافة مثل قانون الترخيص، وقانون الاعتقال الوقائي. وتمثل هذا الازدهار في ظهور صحف جديدة، أهمها صحيفة ستار Star التى أصدرها حزب التقدم الحاكم، وصحيفة سبوكسمان Spokesman ذات الاتجاه الاشتراكي. ومع ذلك فقد حاربت الحكومة المدنية الصحف المعارضة لها بعدة وسائل جديدة لم يكن من بينها – بسبب طبيعتها المدنية – الإغلاق أو اعتقال المحررين. فقد لجأت الحكومة المدنية إلى الضغوط والقيود غير القانونية على الصحف، مثـل التمييـز ضـد الـصحف ذات الاتجاهات المعارضة لها فى حصص الإعلان الحكومى وفـي منحهـا الحـق فـي الحصول على المعلومات والأخبار من المصادر الحكومية، واستمرت ظاهرة فـصل الصحفيين الذين ينتقدون الحكومة على صفحات الصحف الحكومية، مثل رئيس تحرير صحيفة الديلى جرافيك الحكومية الذى أجبر على تقديم استقالته لنشره مقالاً ينتقد فيـه الأداء الحكومى. ورغم ذلك فإن فترة حكم بوسيا كانت تبشر بعودة حرية الصحافة إلى غانا، وكانت واحدة من أكثر فترات الصحافة الغانية حرية منذ الاسـتقلال[1]، إلا أن انقلاباً عسكرياً جديداً وقع في البلاد وأطاح بالحكم المدنى الثانى وجاء بالعسكريين مرة ثانية إلى السلطة.

في يناير ١٩٧٢ استولي العسكريون في المجلس الوطنى للإصـلاح National Redemption Council بزعامة الجنرال أشمبونج Acheampong على السلطة في غانا. وقد أعاد العسكريون اكتشاف واستخدام النظام الإعلامى القمعى الذى كان قائماً فـي فترة حكم نكروما، والقائم على احتكار وسائل التعبير في المجتمع والتحكم المباشر في الصحافة، وإغلاق الصحف المعارضة مثل صحيفتى ليجون اوبزرفر وايكـو اللتـان أغلقتا في عام ١٩٧٤، واعتقال الصحفيين المعارضين وسـجنهم. وعلـى المـستوى القانونى أعاد النظام العمل بكل قوانين نكروما المقيدة لحرية الصحافة وأهمها قـانون

[1] Twunmasi, "**The Newspaper Press and political Leadership in Developing Nations**, Ibid, p. 7.

الترخيص وقانون الاعتقال الوقائى، وفرض رقابة صارمة على الصحف وإلزمها بعدم نشر أية مادة دون موافقة كتابية من الرقيب الحكومى.

استمر نظام الجنرال أشمبونج فى قمع الصحافة بشدة متناهية إلى أن وقعت الاضطرابات الشعبية في ١٩٧٨ والتى على إثرها تم إقصاء الجنرال أشمبونج من السلطة وإحلال الجنرال فرديريك اكوفو محله. وقد بدأ اكوفو عهده بالسماح بحرية محدودة للصحافة – مثل بدايات غالبية العسكريين –، وتوقف عن ملاحقة الصحفيين بالسجن والاعتقال وترك للصحف مساحة محدودة من الحرية، خاصة بعد أن أعلن عن برنامج للوفاق الوطنى وألف لجنة لوضع دستور جديد للبلاد. وقد أعربت اللجنة عن إيمانها بحرية الصحافة وضرورة النص عليها صراحة في الدستور، ورأت أن أفضل وسيلة لإنهاء السيطرة الحكومية على الصحافة هى إنشاء مؤسسة عامة تدير الصحف الحكومية وتراقب أوضاع حرية الصحافة. وقد تم بالفعل إنشاء لجنة عامة للصحافة الغانية كان أغلبية أعضائها من الصحفيين وكانت تعمل كرقيب ذاتى على الصحافة.

في يونيو ١٩٧٩ قاد الجنرال جيري راولنج انقلاباً عسكرياً أطاح فيه بنظام فرديريك اكوفو. وقد اتسعت مساحة الحرية الصحفية بعد أن أعاد الجنرال جيري راولنج الحكم المدني إلى البلاد فى عام ١٩٧٩. وبعد عامين فقط من الحكم المدنى عاد جيري راولنج إلى السلطة بإنقلاب عسكري جديد (١٩٨١) وألغى الدستور وعصف بحرية الصحافة في إطار عصفه بجميع المؤسسات الديمقراطية التى أقامها الحكم المدنى السابق عليه. وقد اعتقل راولنج فور توليه السلطة أكثر من ٢٠٠ شخصاً أغلبهم من الصحفيين، وقام بفصل ستة من محرري الصحف الحكومية، وألزم الصحف بالحصول على ترخيص من وزارة الإعلام لاستمرار صدورها، وتوقف عدد كبير من الصحف فى عام ١٩٨٦. وقد حاربت الحكومة الصحف في استيراد الورق مما دفعها إلى تخفيض عدد صفحاتها فى منتصف الثمانينات، وحاربت الصحفيين بالمحاكمات العسكرية بتهم عديدة من بينها الخيانة العظمى.

وقد أدى عدم الاستقرار السياسى والهبوط الاقتصادى الذى شهدته غانا في نهاية الثمانينات إلى انخفاض مستوى الصحافة بها، فانخفض عدد الصحف وانخفض

مستواها، وهربت من الرقابة بالتركيز على الموضوعات غير السياسية مثل الرياضة والفن والجريمة والجنس.

ورغم ثرائها الصحفى قبل الاستقلال تقلص عدد الصحف التى تصدر في غانا فى مطلع التسعينات إلى أربع صحف فقط، تصدر كلها باللغة الإنجليزية من العاصمة أكرا، وفى حجم نصفى فيما عدا صحيفة بيونير التى تصدر فى الحجم العادى، وهى: الديلى جرافيك وتوزع نحو ١٣٠ ألف نسخة، وغانا تايمز وتوزع نحو ١٠٠ ألف نسخة، وبيبول إيفننج نيوز وتوزع نحو ٦٠ ألف نسخة، وبيونير وتوزع ٥٠ ألف نسخة[١].

النتائج:

أ – اختبار الفروض:

١– ثبت عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة ايجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في غانا. فقد اتضح أن الصحافة الغانية تحت الحكم الوطنى كانت مقيدة بجميع آليات التقييد المعروفة: التشريعات والقوانين، والرقابة المباشرة والذاتية. وعانت الصحف وعانى الصحفيون من اضطهاد الحكام الوطنيين.

٢– ثبت أيضاً عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة بين نوعية الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية) وبين ازدهار حرية الصحافة. فقد اتضح أن جميع الحكومات التى تولت الحكم في غانا أياً كان نوعها وطريقة وصولها إلى السلطة، قد قيدت حرية الصحافة.

ب– تفسير النتائج:

رغم القيود الشديدة التى خضعت لها الصحافة الغانية تحت الحكم الاستعماري، فإنها كانت فى ذلك الوقت حرة بقدر كاف لكى تقود النضال الوطنى ضد الاستعمار وتدافع عن مصالح البلاد وتطالب بالاستقلال، وكان لها دور فاعل فى الشئون العامة.

[1] Dhyana Ziegler & Molefi K. Asante, "**Thunder & Silence: The Mass Media in Africa**", New Jersey, Africa World Press, Inc., 1992, p. 137.

أما بعد الاستقلال فإن الصحافة في الشئون العامة قد تقلص إلى حد كبير بسبب القيود الأشد التى فرضتها الحكومات الوطنية عليها. وبصفة عامة كانت الصحافة الحرة والمستقلة أولى المؤسسات ذات الطابع الغربي التى انهارت في غانا عقب الاستقلال.

وإجمالا فإن عقد الستينيات (١٩٦٠-١٩٦٩) كان فترة حرجة فى تاريخ الصحافة الغانية، دشنت فيها الحكومة الوطنية الأولى بعد أن استقرت أوضاعها سيطرتها على الصحافة. وقد تميزت هذه الفترة على غير ما كان متوقعاً خلال النضال من أجل الاستقلال، بتزايد تدخل الحكومات المتعاقبة مدنية وعسكرية في الصحافة، من خلال عدة آليات شملت إلى جانب القيود القانونية العديدة، امتلاك واحتكار غالبية الصحف، وتقليص عدد ودور الصحف المستقلة، بالإضافة إلى التدخل المباشر من خلال وزارة الإعلام وإنشاء وكالة الأنباء الوطنية في التدفق الإعلامى داخل البلاد، بالإضافة إلى الضغوط المباشرة التى تعرضت لها الصحف والصحفيون والتى تمثلت في اضطهاد الصحف المستقلة وإجبارها إما إلى التحول إلى صحف حكومية أو الإغلاق، وفصل الصحفيين وسجنهم وإجبارهم على الهجرة خارج البلاد والعيش فى المنفى.

وقد استمرت الأوضاع المتردية لحرية الصحافة في غانا في عقدى السبعينات والثمانينات وبداية التسعينات على ما كانت عليه في الستينات. إذ ظلت الحكومات مدنية وعسكرية تتحكم فى جميع وسائل الإعلام وعلى رأسها الصحافة، واختفت أو كادت الصحف المستقلة. كما استمر قمع الصحفيين المعارضين بفصلهم من أعمالهم وسجنهم ونفيهم خارج البلاد. **ويمكن أن نوجز أسباب عدم تمتع الصحافة الغانية بحريتها بعد حصول غانا على استقلالها في:**

١- حالة العداء الشديد من جانب الحكومات الوطنية القائمة على نظام الحزب الواحد أو التى جاءت نتيجة انقلابات عسكرية، تجاه الصحف والمطبوعات التى لم تستطع التحكم فيها. وحتى الصحف الصغيرة التى قادت النضال ضد المستعمرين أصبح ينظر إليها كأعداء للطبقة الجديدة التى حكمت غانا. وبسبب حالة العداء هذه التى شملت أيضاً الصحف المملوكة لأوروبيين، فقد تعرض الصحفيون سواء في غانا، بانتظام للاغتيال وأحكام الإعدام والسجن على أيدى الحكومات الوطنية. وقد أدى ذلك إلى حرمان الصحافة الغانية من أداء دور فاعل فى الشئون العامة.

٢- القيود الدستورية والقانونية المفروضة على الصحافة التى تجهض مبكرا محاولات إصدار الصحف الخاصة المستقلة عن الحكومات. فبدون حكم القانون - خاصة توفير الحماية التشريعية للحريات المدنية وحماية الملكية الخاصة وحماية الاقليات، فإن الأمل يظل ضعيفاً جداً في قيام حرية صحافة. فبدون الحماية التشريعية والاستقرار الحكومى فإن وسائل الإعلام تنهار. والثابت أنه في غانا فإن الحماية التشريعية للصحافة محدودة للغاية وتنظر الحكومات إلى الصحافة على أنها يجب أن تكون مؤيدة ومساندة لها على الدوام سواء كانت حكومات منتخبة أو حكومات عسكرية. ومن المعروف أنه بدون قيام نظام حكم مدني ديمقراطي يقر حق الأفراد في انتقاد حكامهم، فإن الصحافة نفسها تكون حريتها محدودة فى التعبير عن عدم الرضا أو انتقاد النظام الحاكم.

وقد كشف التحليل السابق لحرية الصحافة في غانا - وفى أفريقيا وفي دول العالم الثالث بصفة عامة - ضرورة مراعاة عدد من العوامل المهمة، أولها وأهمها إن الدول الأفريقية لم تجرب على الإطلاق حرية صحافة حقيقية سواء خلال أو بعد الفترة الاستعمارية. أما العامل الثاني فيتمثل في امتلاك الحكومات فى معظم الدول الأفريقية للصحافة نتيجة لضآلة الاستثمارات المالية في مجال الصحافة. بالإضافة إلى ذلك فإنه يجب أن نضع في اعتبارنا عند الحكم على حرية الصحافة فى غانا وفي أفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، أن القيود المفروضة على الصحافة الأفريقية ناتجة في الغالب من عوامل متشابكة ومعقدة، تتمثل في:

- النقص الواضح فى المطابع ومستلزمات النشر.
- الأوضاع الاقتصادية المتردية التي لا تتيح الفرصة لتدريب وتأهيل الصحفيين كما لا تتيح الاستثمار فى مجال وسائل الإعلام.
- ضعف الموارد المالية لوسائل الإعلام نتيجة ضعف أو انعدام دخل الإعلان.
- الضغوط الأيديولوجية التي تتعرض لها الصحافة من جانب المعلنين ومالكى الصحف والحكومات.
- ضعف البينة الاتصالية الأساسية المرتبطة بالصحافة، مثل التليفونات والتلكس ووسائل التوزيع.

- التبعية لوكالات الأنباء الدولية حتى في التغطية الإقليمية.
- الأمية وارتفاع سعر بيع الصحف.
- الرقابة الذاتية الناتجة عن الضغوط الحكومية.

ج- خاتمة:

إن المحلل لأوضاع حرية الصحافة في القارة الأفريقية لا يمكن أن يتجاهل مساحة الأمل التى تبشر بها التغيرات السياسية المهمة التى شهدتها بعض دول القارة فى التسعينات، والتى تمثلت في تزايد الرفض الشعبى العام لنظام حكم الحزب الواحد والنظام الاقتصادى الاشتراكي المركزى. وهى التغيرات التى سيكون لها - إن نجحت - أبلغ الأثر فى نهوض الصحافة الأفريقية وتطورها وحصولها على حريتها. ففي عام ١٩٩١ بدأ المواطنون الأفارقة فى بعض الدول الأفريقية جنوب الصحراء في مواجهة الحكم الديكتاتورى والمطالبة بقيام نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب. وقد أثمرت هذه المواجهات في سماح ستة عشر دولة خاضعة لنظام الحزب الواحد بقيام أحزاب معارضة في استجابة للحركات الديمقراطية، كما سقطت ثلاث حكومات ماركسية من خلال صناديق الاقتراع. وشهد النصف الأول من التسعينات سقوط الرئيس الزامبى كينيث كاوندا فى أول انتخابات حرة تجري فى زامبيا، وأسقطت المعارضة الشعبية الرئيس الزائيري موبوتو سيسى سيكو.

إن هذه التحولات السياسية سيكون لها - إن هى اكتملت - آثارا ايجابية على حرية الصحافة الأفريقية وعلى تعظيم دورها فى بناء وتنمية المجتمعات الأفريقية، وهو أمر لم يتحقق خلال العقود الثلاثة التى أعقبت الاستقلال. إن حل الإشكالية السياسية للصحافة الأفريقية يبدو وشيكاً فى ضوء المد الديمقراطى الذى يجتاح العالم الثالث بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، إلا أن هذا لن يضمن - بالقطع - تمتع الصحافة الأفريقية بحريتها. فالأمر - فى التحليل الأخير - لا يقتصر على المعضلة السياسية فقط، ولكنه يتوقف أيضا على عوامل أخرى أهمها المعضلات الاقتصادية والاجتماعية التى تحد من تطور وحرية الصحافة، وهو ما يحتاج إلى دراسة مفصلة.



المبحث الخامس

ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا (الموجة الثانية) (*)

دراسة تحليلية خلال العقد الأخير من القرن العشرين

---

* أجرى الدراسة: أ.د. حسنى نصر - كلية الإعلام جامعة القاهرة

مقدمة:

لقد كان من المفاجئ للباحثين في الصحافة والعلوم السياسية أن يشهدوا انتقال ما أسماه صامويل هنتنجتون بالموجة الثالثة للديمقراطية[١] "third wave of democratization" إلى أجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء بعد أن كانت قد اجتاحت وسط وشرق أوروبا والإتحاد السوفيتي السابق في نهاية ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي. ولعل هذا ما دفع باحثون آخرون مثل فرنسيس فوكوياما في أطروحته المثيرة للجدل "نهاية التاريخ" The End of History إلى إعلان انتصار الديمقراطية الغربية على كل الإيديولوجيات التي كانت تنافسها في القرن العشرين كالفاشية والشيوعية[٢].

ورغم أن موجة التحول إلى الديمقراطية قد ظهرت في أكثر من دولة في أفريقيا حيث شهدت نصف دول القارة الاثنتان والخمسين انتخابات تنافسية خلال السنوات الثلاثة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣، إلا أن اهتمام الباحثين الغربيين قد إنصب على دراسة الانتقال الديمقراطي في أوروبا والإتحاد السوفيتي السابق، ولم يحظ التحول الديمقراطي في أفريقيا إلا بإهتمام محدود للغاية.[٣]

وقد شهدت إفريقيا تحولات جوهرية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي. وعبر البعض عن ذلك بالقول "إن الروح التي كانت تقود حركات الاستقلال في أفريقيا قد عادت مرة أخرى" كما اعتبرها البعض إيذانا بمولد "التحرر

---

[١] يطلق هنتنجتون تعبير الموجة الثالثة على التحول السياسي من أنظمة الحكم السلطوي إلى أنظمة الحكم الديمقراطي ويقول إن هذه الموجة قد بدأت في عام ١٩٧٤ ولا زالت مستمرة حتى صدور كتابة في عام ١٩٩١، بينما امتدت الموجة الأولي للديمقراطية من ١٨٢٨ إلى ١٩٢٦، أما الموجة الثانية فقد كانت قصيرة وامتدت من عام ١٩٣٤ إلى عام ١٩٦٢. وقد تلي الموجتين السابقتين موجات عكسية أعادت أنظمة الحكم الديمقراطية إلى السلطوية مرة أخرى. لمزيد من التفاصيل حول هذه الموجات، راجع:
Huntington, Samuel P. (1991), ***The Third Wave: Democratization in the late Twentieth Century*** (Norman: University of Oklahoma Press), pp. 13-26.

[2] Fukuyama, Francis, (1992) ***The End of History and the Last Man*** (New York: Avon)

[3] Bratton, Michael and Nicholas Walle, (1994). "Neopatrimonial Regimes and Political transition in Africa," ***World Politics*** 46. p. 453.

الثاني" لأفريقيا الذي سوف يحولها إلى مجتمع ديمقراطي حر.[١] ورغم الفشل الذي شهدته بعض تجارب التحول الديمقراطي في بعض الدول الأفريقية مثل نيجيريا وكينيا إلا أن النجاح قد حالف تجارب أخرى كما هو الحال في بنين وساحل العاج. ففي بنين التي عانت لمدة ثلاثين عاما من الانقلابات العسكرية المتتالية منذ استقلالها عن فرنسا في عام ١٩٦٠ بدأت تجربة "مذهلة"[٢] للتحول الديمقراطي في عام ١٩٩٠ وانتقلت من مصاف الدول الماركسية إلى الدول الديمقراطية[٣]. وقد تأكد نجاح تجربة بنين في عام ١٩٩٦عندما أقصت الانتخابات الرئاسية الرئيس نيسفور سولجو الذي كان قد أنتخب في عام ١٩٩١، من منصبه.

وقد كان للتحولات السابقة مردودات ايجابية وسلبية على حرية الصحافة في العالم بوجه عام وفي أفريقيا على وجه الخصوص. فقد مثل انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وسقوط الكتلة الشيوعية وقيام عدد من الديمقراطيات الجديدة في مطلع التسعينات من القرن الماضي نقطة تحول في حرية الصحافة في العالم.وقد تبدى هذا التحول في "إقرار منظمة بيت الحرية Freedom House التي تراقب أوضاع حرية الصحافة في العالم بأن عدد الدول التي أصبحت الصحافة تتمتع فيها بحرية جزئية قد تزايد بمعدل الثلثين في العقد الأخير من القرن العشرين"[٤].

ولم تكن الدول الأفريقية بمعزل عن هذا التحول إذ تشير التقارير السنوية[٥] لمنظمة بيت الحرية إلى تزايد مستمر في عدد الدول الأفريقية التي تتمتع فيها الصحافة بحرية كاملة (١١% من دول القارة) وحرية جزئية (٣٢% من دول القارة) وهي نسب

(1) African News Bulletin (ANB-BIA (1998) , ***Africa: Manifestations of democracy An independent Press and a Free Judiciary***, ANB-BIA Supplement, No 345- 01/05/1998.

(2) Diamond, Larry (1993), " International and Domestic Factors in Africa's Trend Toward Democracy," in Festus Eribo and others, eds., ***Window on Africa: Democratization and Media Exposure*** (Greenville, NC: East Carolina University), p. 13.

(3) Diamond, Larry, Juan J. Linz, and Seymour martin Lipest, (1995), "Introduction: What Makes for Democracy?" in Diamond, Linz, and lipest, ***Politics in Developing Countries: Comparing experiences with Democracy,*** 2nd ed. (Boulder, CO: Lynne Rienner) pp. 8-9.

(4) Balding, Timothy (2003), Press Freedom: Ten Years On…" ***Independent Journalism Center.*** Available Online at: http://ijc.iatp.md/en/activities/pfw/tenyears_wan.html

(٥) لمزيد من التفاصيل حول هوية هذه المنظمة وتقاريرها والمنهج الذي تتبعه في إعدادها، راجع: حسني محمد نصر (٢٠٠٢) "واقع وآفاق حرية الصحافة في دول الخليج العربي". بحث قدم في ***مؤتمر "ثورة الاتصال والمجتمع الخليجي: الواقع والطموح"، مسقط- عُمان- جامعة السلطان قابوس (٢٢-٢٤ ابريل ٢٠٠٢). ص ص:١٥-١٧.***

تفوق مثيلاتها في نفس الفترة في منطقة الشرق الأوسط الأكثر تقدما. ولم يعد من الغريب أن تتساوى حرية الصحافة في جنوب أفريقيا ومالي وبنين بمثيلاتها في ديمقراطيات غربية عريقة مثل المملكة المتحدة وإيطاليا وفرنسا.

ونتيجة للتحولات السياسية والإقتصادية والتكنولوجية والإعلامية السابقة برزت في أفريقيا في مطلع تسعينات القرن الماضي ظاهرة "الصحافة المستقلة عن الحكومة". وقد فتح ظهور هذا النوع من الصحافة وانتشاره في بعض البلدان الأفريقية في العقد الماضي مجالا جديدا للبحث استهدف بالإجمال بحث مدى استقلال هذه الصحف سياسيا وإقتصاديا عن الحكومات، والمقارنة بين ما كانت تتعرض له من ضغوط حكومية مباشرة في السابق وما تتعرض له من ضغوط حكومية وغير حكومية مباشرة وغير مباشرة بعد انتشارها في العقد الماضي، وبحث ما يسمي بالصحف شبه المستقلة والتي لم تستقل تماما عن السلطة من جانب ومن الصعب تصنيفها ضمن الصحف الحكومية من جانب آخر، بالإضافة إلى قياس درجة الضغوط التي تتعرض لها الصحف المستقلة وشبه المستقلة مع التركيز على الضغوط التي تتعرض لها من المؤسسات الإقتصادية المحلية والأجنبية وجماعات الضغط.

موضوع الدراسة:

بعد مرور أكثر من عشر سنوات على إعلان ويندهوك الذي أعرب فيه الصحفيون والناشرون الأفارقة عن حاجة القارة السمراء الملحة إلى صحافة مستقلة باعتبارها متطلبا أساسيا من متطلبات التطور الديمقراطي والإقتصادي، تبدو الحاجة- خاصة في المدارس البحثية العربية في الإعلام- إلى إلقاء الضوء على ظاهرة الصحافة المستقلة وتقييم التجارب التي أنتهجتها بعض دول القارة في هذا الصدد ومن ثم استخدام نتائج هذا التقييم في التنبؤ بمستقبل الصحافة المستقلة في القارة الإفريقية.

وتنبع أهمية الدراسة ليس فقط في كونها تلقي الضوء على ظاهرة الصحافة المستقلة التي صاحبت التحول السياسي إلى الديمقراطية في بعض الدول الأفريقية ولكن أيضا في انعكاس هذه الظاهرة على مجمل الأوضاع الصحفية في القارة السمراء، إذ تساعد في التنبؤ بالتحولات السياسية والصحفية في القارة إنطلاقا من

"تحديد العوامل والقوى التي تساعد في حدوث هذا التحول، والعوامل والقوى التي تؤدي إلى نجاحه أو فشله"[1].

كما تنبع أهمية الدراسة من الرصيد المعرفي الذي توفره للباحثين والدارسين في الإعلام الدولي باللغة العربية حيث تندر الدراسات التي تتناول الأوضاع الإعلامية والصحفية في القارة الأفريقية في المدرسة العربية، ويتوقف العدد القليل منها عند حدود تاريخية لا تتجاوز السبعينات من القرن الماضي.

ويكتسب موضوع الدراسة أهمية أيضا من ارتباطه بالتغيرات السياسية العالمية والإقليمية والوطنية التي شهدها العالم وشهدتها القارة الأفريقية في تسعينات القرن الماضي، بالإضافة إلى ارتباطه بحقول بحثية عديدة في الصحافة والإعلام مثل النظم الصحفية، وتاريخ الصحافة، ونظريات الصحافة، وتشريعات الصحافة، والصحافة والمجتمع، والصحافة الدولية، وارتباطه الوثيق أيضا بقضية حرية الصحافة، على أساس أن قيام وازدهار الصحف المستقلة يُعد أحد أهم المؤشرات في الحكم على درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة في المجتمعات المختلفة.

ويضاف إلى ما سبق أن التحولات الجوهرية التي شهدتها الدول الأفريقية على الصعيد الإعلامي (الصحفي) ومرور الصحافة الأفريقية بمراحل تطور مهمة لم تتح في قارات أخرى تحتاج من الباحثين العرب والمصريين على وجه الخصوص – نظرا لإنتماء مصر الجغرافي والتاريخي للقارة– إلى متابعتها بالرصد والتحليل على المستويين التاريخي والآني. فقد شهدت القارة المرحلة الاستعمارية الطويلة التي ظهرت خلالها الموجة الأولي من الصحف المستقلة ولعبت دورا في حركة التحرر الوطني، ثم شهدت فترة ما بعد الاستقلال التي اختفت خلالها تقريبا ظاهرة الصحافة المستقلة، وتشهد حاليا مناخ العولمة والتحولات السياسية والاقتصادية الجذرية الذي مهد الطريق لظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة وفتح آفاقا جديدة لبحث هذه الظاهرة.

---

[1] Monga, Celestin (1997), "Eight Problems with African Politics," ***Journal of Democracy,*** 8, 3 (July 1997): P.156.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى رصد وتفسير ظاهرة الصحافة المستقلة عن الحكومة في الدول الأفريقية والعوامل التي أدت لظهورها للمرة الثانية في العقد الأخير من القرن العشرين، والعوامل التي تؤثر فيها، وانعكاساتها على أوضاع الصحافة الأفريقية بصفة عامة.

كما تهدف الدراسة إلى بحث طبيعة الصحافة المستقلة التي تعود جذورها إلى مصادر تاريخية مختلفة، لبيان تأثير الميراث التاريخي الصحفي على الظاهرة وعلى آليات عملها.

وفي ضوء ما سبق تسعي الدراسة إلى كشف وتوصيف وتحليل العوامل والقوى التي ساهمت في نمو واستمرار الصحافة المستقلة عن الحكومة والمختلفة الخصائص في بعض الدول الأفريقية، وتتحدد الأهداف التفصيلية للدراسة فيما يلي:

١. رصد وتحليل عوامل ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا في العقد الأخير من القرن العشرين.

٢. رصد وتحليل دور المجتمع الدولي في دعم ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا.

٣. استخلاص السمات الخاصة بالموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا.

٤. رصد وتحليل وتفسير الدور الذي تقوم به الصحافة المستقلة في أفريقيا في دعم التحول إلى الديمقراطية.

٥. رصد وتحليل وتفسير الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا.

٦. رصد وتحليل وتفسير الضغوط الإقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا.

تساؤلات الدراسة:

في ضوء الطبيعة الكشفية الوصفية التحليلية، وسعيا إلى تحقيق الأهداف السابقة تطرح الدراسة عددا من التساؤلات التي تحاول الإجابة عنها، وهي:

١. ما العوامل الخارجية والداخلية التي ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٢. ما طبيعة وأبعاد الدور الدولي في تشجيع ظهور واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٣. ما أبرز سمات الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٤. ما طبيعة وحدود دور الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٥. ما الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟
٦. ما الضغوط غير الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

منهج الدراسة:

تنتمي الدراسة التي تتناول بالرصد والتحليل ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا إلى نوعية البحوث الوصفية التحليلية التي تؤصل لهذه الظاهرة في سياقاتها المجتمعية والإعلامية والثقافية من خلال أدوات البحث الكيفية مثل دراسة الحالة (دول ممثلة) وتحليل الوثائق وتحليل المصادر من المستوى الثاني.

ويتفق المدخل المنهجي الكيفي مع طبيعة الموضوع من جانب وخصوصية التراث البحثي فيه من جانب آخر في مختلف المدارس البحثية الإعلامية الذي يقوم على تحليل وتفسير مثل هذه الظواهر الجديدة وربطها بالواقع الإعلامي العام أكثر مما يقوم على وصف هذه العلاقة والتوقف عند هذا الحد.

وتعتمد الدراسة منهجية تقوم على المسح التحليلي الشامل للبحوث العلمية المنشورة في دوريات أجنبية وعربية أو في كتب ذات طابع بحثي وتتصل بزاوية أو أكثر من زوايا الموضوع. فظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا لا يمكن أن تتم دراستها بمعزل عن أطرها العامة التاريخية والمعاصرة، وذلك بسبب ارتباطها ارتباطا

وثيقا بحقول بحثية أكثر اتساعا مثل بحوث تاريخ الصحافة وبحوث حرية الصحافة وبحوث دور الصحافة في المجتمع وبحوث النظم الصحفية وبحوث الصحافة الدولية.

الدراسات السابقة:

أدى ارتباط ظاهرة الصحافة المستقلة بالتحولات السياسية التي شهدتها الدول الأفريقية في العقد الأخير إلى ظهور بحوث تتناول هذه الظاهرة ضمن معالجتها لعلاقة الصحافة بالسلطة. وتهتم هذه البحوث بدراسة ظاهرة الصحف المستقلة عن الحكومة في أفريقيا من منظور بحث مدي استقلالها عن الحكومات ودرجة استقلالها السياسي والإقتصادي عن الدولة، والمقارنة بين ما كانت تتعرض له من ضغوط حكومية وبين ما تتعرض له من ضغوط غير حكومية بعد أن رفعت الحكومة في بعض الدول يدها عنها في التسعينات من القرن الماضي.

والواقع أن البحوث والدراسات التي اهتمت برصد وتحليل ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء سواء بشكل منفصل أو ضمن قضايا أخرى كعلاقة الصحافة بالسلطة وحرية الصحافة، تنتمي في مجملها إلى المدرسة الغربية الانجلوسكسونية في بحوث الإعلام، على أساس أن المنشور من هذه البحوث والذي يمكن الوصول إليه مكتوب في أغلبه باللغة الإنجليزية. وإذا كنا لا نستطيع الجزم بعدم وجود دراسات غير إنجليزية في هذا الحقل إلا أن السياق العام يؤكد أن حجم اهتمام تلك المدارس- خاصة المدرسة الفرنسية- لا يرقي إلى حجم اهتمام المدرستين الأمريكية والبريطانية به، وهو ما قد يفسره انتشار استخدام اللغة الإنجليزية حتى بين الباحثين الأفارقة وكثرة الدوريات ومواقع الانترنت المعنية بالصحافة في أفريقيا بتلك اللغة. أما المدرسة العربية فتبدو إسهاماتها في حقل الإعلام الإفريقي نادرة للغاية.

ويتمثل التراث الأكاديمي العربي في مجال الصحافة الأفريقية في دراسات د.عواطف عبد الرحمن الرائدة في هذا المجال، وبحث منشور عن حرية الصحافة في غانا بعد الاستقلال. ولم يتوصل الباحث إلى دراسات أخري تتناول الصحافة الإفريقية سواء في المدرسة الأكاديمية المصرية أو غيرها من مدارس الإعلام في العالم العربي المتاح لنا التعرف على إنتاجها العلمي. لذلك لا يجد الباحث في الصحافة الأفريقية أمامه سوى التراث الغربي في هذا الموضوع، وبالتحديد الصادر منه باللغة

الإنجليزية، نظرا لصعوبة الوصول إلى الصادر منه بلغات أوروبية أخـري لأسـباب تتصل بعدم إتقان هذه اللغات.

وتعود دراسات د. عواطف عبد الرحمن في هذا المجال إلى العام ١٩٨٠ وقـد جُمعت في كتاب بعنوان "مقدمة في الصحافة الأفريقية"[١]. ويتضمن الكتاب دراسـتين الأولى تاريخية وصفية مقارنة لأوضاع الصحافة الأفريقية أثناء الفترة الاسـتعمارية، والثانية دراسة تحليلية للقضايا المهمة التي تواجه الصحافة الأفريقية بعد الحصول على الاستقلال، ومن بينها قضية حرية الصحافة، وعلاقة الصحافة بالسلطة وأنماط ملكيـة الصحف.

أما البحث الخاص بحرية الصحافة في غانا فقد نشر في عام ١٩٩٩ تحت عنوان " الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا، دراسة حالة "غانا " من الاستقلال حتى بداية التسعينات[٢]. ورغم أهمية هذه الدراسة التي نشرت بعد انقطـاع المدرسة المصرية في الإعلام عن بحث أوضاع الصحافة الأفريقية نحو عشرين عاما، إلا أنها نظرا لتوقفها الزمني عند بداية التسعينات من القرن الماضـي لـم تتعـرض لظاهرة الصحافة المستقلة موضوع الدراسة.

أما البحوث الصادرة باللغة الإنجليزية- سواء أعدها باحثون غربيون أو باحثون أفارقة -فإنها- رغم تحفظنا على مداخل وأهداف بعضها- تقـدم كمـا هـائلا مـن المعلومات والتحليلات وإضافات معرفية مهمة حول أوضاع الصحف المستقلة غيـر الخاضعة للسيطرة الحكومية في بعض البلدان الأفريقية دون تعميم على القارة ككـل. وعلي سبيل المثال فإن برجر[٣] يميز في بحثه حول الصحف المستقلة فـي جنـوب أفريقيا بين نوعين من الصحف هما: صحف الشركات الإعلامية التي تعتمـد علـى

---

[١] عواطف عبد الرحمن (١٩٨٠)، **مقدمة في الصحافة الأفريقية**، القاهرة، الجمعية الأفريقية- سلسلة كتب أفريقية، الكتاب الرابع.

[٢] حسني محمد نصر (١٩٩٩)، "الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا. دراسـة حالـة "غانا " من الاستقلال حتى بداية التسعينات" في: ***مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعيـة***. جامعـة الإمـارات العربية المتحدة، مجلد ١٥، عدد ٢، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٩. ص ص:١٥٧-١٨٩.

[3] Berger, Guy (2000). Toward 2000: Independent Media in Southern Africa. Paper presented at Buntstift Conference. ***Institute for Advancement of Journalism.*** Johanneshurg, South Africa

آليات السوق، والصحف ذات الملكية الأجنبية، ويقرر أن الصحافة المستقلة في جنوب أفريقيا تقدم نمطا جديدا من أنماط العلاقة بين الصحافة والسلطة في العالم، ويرصد تباين النظرة إليها في السبعينات باعتبارها الصحافة التي تعمل خارج سيطرة نظام الحكم العنصري وفي التسعينيات باعتبارها الصحافة التي تقع خارج السيطرة الحكومية. ويربط جاكوب[١] بين تزايد استقلال الصحف عن الحكومة في جنوب أفريقيا وتزايد انتقاد الحكومة على صفحات الصحف وبين التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في البلاد في أعقاب انتهاء نظام الفصل العنصري وإجراء أول انتخابات ديمقراطية في البلاد في العام ١٩٩٤.

وقد انطلق عدد من الباحثين من التحولات التي شهدتها القارة الأفريقية والمتمثلة في الاتجاه نحو الإنفتاح السياسي وإقرار التعددية السياسية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في بعض الدول وتأكيد الارتباط الوثيق بين الإصلاح السياسي والإصلاح الصحفي- إن جاز التعبير- بمعنى إصلاح أنماط العلاقة بين السلطة والصحافة، إلى تناول ظاهرة الصحافة المستقلة باعتبارها محصلة لهذه التحولات. فقد اهتم بعض الباحثين برصد هذه الظاهرة لكونها مؤشرا على قيام التعددية الصحفية الناتجة عن التعددية السياسية وبحث موقف الحكومات من الصحف الجديدة المعارضة لها، والدور المنوط بالصحافة القيام به في ما يسمي بالمرحلة الانتقالية Transitional Period وانعكاسات هذه المرحلة على صناعة الصحافة.

وقد تزايدت في السنوات الأخيرة الدراسات التي تبحث أوضاع الصحافة وعلاقتها بالسلطة السياسية في إطار دراسة التحولات السياسيةpolitical transition التي شهدتها دولا عديدة في أفريقيا في النصف الثاني من عقد التسعينات من القرن الماضي.

فقد حاول بعض الباحثين مثل روسيه وسوترلين[٢] في فترة مبكرة الربط بين سقوط الكتلة الشيوعية في مطلع التسعينيات من القرن الماضي وبين ما اعتبراه بزوغ عهد جديد يقل فيه نفوذ القوى السلطوية في العالم الثالث، واستند الباحثان إلى بعض

[1] Jacobs, Sean (1999). Tensions of a Free Press: South Africa after Apartheid. ***Research Paper.*** R-22. The Joan Shorenstein Center: Press , politics, Public Policy. Harvard University.

[2] Russett, Bruce and Sutterlin, James S. (1991). The U.N in a New World Order. ***Foreign Affairs.*** Vol. 70. No. 2. Pp. 68-83.

مظاهر التحول السياسي في أفريقيا مثل تزايد الضغوط من أجل الإصلاح السياسي والمطالبة الشعبية بإجراء انتخابات حرة متعددة الأحزاب، وإقدام بعض الدول الأفريقية مثل زامبيا ومالاوي وغانا وساحل العاج بإجراء مثل هذه الانتخابات. كما اهتم باحثون آخرون ببحث العلاقة بين التحول الإيديولوجي وبين القيود المفروضة على الصحافة في إطار علاقتها بالسلطة السياسية. وقد عبر بعض الباحثين مثل باركر[1] عن تفاؤلهم من أن يؤدى التحول الأيديولوجي في علاقة الشرق والغرب إلى تخفيف القيود الحكومية المفروضة على الصحافة في أفريقيا، علي أساس أن سياسات الإصلاح والمصارحة التي شهدتها دول عديدة في العالم سوف تشجع الأفارقة على المطالبة بمجتمعات أكثر انفتاحا وأكثر ليبرالية وصحافة تلبى تطلعات الشعوب وفق السياق الليبرالي.

واتجه باحثون إلى التركيز على ما طرأ على العلاقة بين الصحافة والسلطة في الدول الأفريقية نتيجة الانتقال من الحكومات العسكرية إلى الحكومات المدنية المنتخبة، ومدى قرب هذه العلاقة أو بعدها من نموذج علاقة الندية بين الصحافة وبين الحكومات الديمقراطية الجديدة. ومن أبرز هؤلاء الباحثين لوبينو[2] الذي بحث حالة نيجيريا وكيف تأثرت علاقة الصحافة بالسلطة نتيجة انتقال الحكم من العسكريين إلى المدنيين.

وتسيطر على بعض البحوث في هذا المجال النظرة التشاؤمية للمستقبل حيث يرى فيرناندز[3] أن التغيرات السياسية التي تشهدها بعض الدول الأفريقية لازالت في معظمها تغيرات في الشكل وليس في الجوهر وأنها لم تترك أثرا إيجابيا على الأنماط السلطوية للعلاقة بين الصحافة والسلطة في تلك الدول.

علي صعيد ثان فقد أدى الاتجاه العالمي نحو اقتصاد السوق الحر وعولمة الاقتصاديات وتحرير التجارة الدولية في أعقاب سقوط التطبيقات المؤسسية للفكر

---

[1] Parker, Elliott (1997). Democratization and Press Freedom in Africa's High Context Culture. Paper presented at: ***AEJMC Annual Conference.*** Central Michigan University. Sept. 18, 1997.

[2] Lbeanu, Okechukwu (2000), Ethnicity and Transition to Democracy in Nigeria: Explaining the Passing of Authoritarian Rule in a Multi- ethnic Society. ***African Journal of Political science.*** Vol.5. No.2.

[3] Leela Fernandes, (2000). "Nationalizing 'The Global': Media images, cultural politics and the middle class in India. ***Media, Culture & Society.*** Vol. 22. No 5. Pp. 611-628.

الاقتصادي الاشتراكي بانهيار الاتحاد السوفيتي السابق إلى تـأثيرات ضـخمة علـى الصحافة كصناعة. وتمثلت هذه التأثيرات في بعض الدول في تقليص دور الدولة في صناعة الصحافة من جانب والحد من تدخلها في إدارة وتحرير الصحف من جانـب آخر. كما فتح الاتجاه نحو إقتصاد السوق الحر إلى ظهور الصحف المستقلة- إقتصاديا على الأقل- في بعض الدول الأفريقية.

وقد أثر هذا التحول في النهج الإقتصادي على البحوث ذات الـصلة بالـصحافة المستقلة في الدول الأفريقية التي اتبعت هذا النهج. ويبرز هذا التأثير في انتقال مراكز الاهتمام البحثي في هذا الموضوع من رصد وتحليل الضغوط التـي تتعـرض لهـا الصحافة من الحكومات في الدول الأفريقية إلى رصد وتحليل الضغوط التي أصبحت تتعرض لها الصحافة المستقلة من جانب الشركات والمؤسسات المالكة للصحف أو ما يسمي ضغوط السوق الناتجة عن التحولات الاقتصادية. وقد رصد اليكتون[١] أشـكال السيطرة الجديدة على الصحافة في بعض الدول الأفريقيـة وأوضـح كيـف انتقلـت السيطرة على الصحافة في هذه الفترة من السيطرة الحكومية إلى سـيطرة الأحـزاب الكبرى ومن السيطرة عبر القوانين والقمع إلى السيطرة بالإعلان والتمويل من خـلال شراء الأحزاب المساحات الإعلانية في الصحف الموالية لها ومنعها عـن الـصحف المناوئة لها.

وعلي صعيد ثالث فقد أثرت التحولات التكنولوجية المتـسارعة التـي شـهدها الاتصال الجماهيري بصفة عامة وصناعة الصحافة على وجه الخصوص علي ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا. فقد أشار موكسا[٢] إلى أن تزايد استخدام التكنولوجيا في وسائل الإعلام الأفريقية خاصة الصحافة قد ولد مزيدا من الاعتمـاد علـى الـسلطة السياسية من جانب وعمق عدم التوازن في توزيع المنتج الصحفي في المجتمع. كمـا خلص بيرمان[٣] إلى أن تزايد استخدام التكنولوجيا في أفريقيا من المحتمل أن يـدعم فكرة إعادة توزيع القوى الصحفية القائم في معظم الدول الأفريقية وتوزيـع الثـروة

[1] Olukotun, Ayo (2000). " The transition and the Media". ***African Journal of Political science.*** Vol.5. No.2.

[2] Mukasa, S. G. (1992). Towards pan-African cooperation in satellite communication: An analysis of the RASCOM project. ***Africa Media Review***, 6, 13-30.

[3] Berman, B. J. (1992). ***The state, computers, and African development: The information non-revolution***. In S. G. Lewis & J. Samoff (Eds.), Microcomputers in African development: Critical Perspectives (pp. 213-229). Boulder, CO: Westview. P.227.

الصحفية على جماهير الشعب ولكنه سيبقي على العلاقة السلطوية بين الدولة وبين الصحافة.

خطة الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- المبحث الأول: الأطر النظرية لبحث ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الثاني: السياق التاريخي للصحافة المستقلة في إفريقيا جنوب الصحراء:
    - ماهية الصحافة المستقلة
    - نشأة الموجة الثانية من الصحافة المستقلة
    - المجتمع الدولي والصحافة المستقلة في أفريقيا
    - مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة في أفريقيا
    - السمات العامة للصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الثالث: دور الصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الرابع: الضغوط القانونية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
    - الضغوط الحكومية في ضوء الخبرة التاريخية للصحافة الأفريقية
    - وسائل الضغط على الصحف المستقلة في أفريقيا
    - تفسير تباين الضغوط الحكومية على الصحافة المستقلة في أفريقيا
- المبحث الخامس: الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا.
    - مصادر تمويل الصحافة المستقلة في أفريقيا
    - الضغوط الإقتصادية والتكنولوجية والمهنية
- الخاتمة، وتشمل الإجابة عن تساؤلات البحث.

المبحث الأول

الأطر النظرية للدراسة

شهدت الصحافة في أفريقيا في العقد الماضي تحولات جوهرية علـــى مـــستوى الأطر السياسية والإقتصادية والمهنية والقانونية التي تعمـــل فـــي ظلهـــا. وقـــد أدت التحولات التي شهدها العالم بوجه عام والدول الأفريقية والآسيوية بوجه خاص إلـــى سعي الباحثين إلى البحث عن مداخل نظرية جديدة لدراسة الصحافة الأفريقية بعـــد أن ثبت لهم أن المداخل النظرية الغربية التي سيطرت علي هذا الحقل البحثي حتى مطلع التسعينات من القرن الماضي لم تعد قادرة على إثراء هذا الحقل معرفيا ومنهجيا.

وقد أوضح بعض الباحثين مثل مانيف[١] وايفرت[٢] أن الصعوبة الأكبر في تبنى مدخل النظريات الأربع في بحث وتفسير علاقة السلطة والصحافة في الدول الأفريقية، تتمثل في كونه مجرد افتراضات نظرية فلسفية، وبالتالي لا يُعد قابلاً للتطبيـــق علـــى شكل واسع، خاصة في التعامل اليومي بين الحكومات والصحافة في هذه الدول. كمـــا أن هذه النظريات تركز فقط على الجوانب القانونية والمؤسسية في العلاقة، وهى رغم أهميتها لا تكفى بأي حال في فهم طبيعة العلاقة ومقارنتها فـــي الأنظمـــة الـــصحفية والسياسية المختلفة.

وقد ظهر في السنوات الأخيرة تيار بحثي نقدي أفريقي يركز على إشكالية عـــدم إمكانية عزل العلاقة بين الصحافة والسلطة السياسية عن سياقاتها الاجتماعية والثقافية والإعلامية في الدول الأفريقية، وصعوبة بحثها وفقا للنماذج والنظريات الغربية التـــي تسيطر على البحوث الإعلامية في العالم بفعل التبعية البحثية لهذه النماذج والنظريات.

ويشير ميرل[٣] إلى أن الأفراد في بعض الثقافات يشعرون براحة أكبر في ظل المجتمعات السلطوية، ويؤيدون- على غير ما هو شائع- الصحافة والسلطة السياسية

---

(1) Manaev, Oleg (1999). Rethinking the Social Role of the Media in a Society in transition. ***Canadian Journal of Communication.*** Vol. 20. No. 1.

(2) Dennis, Everette E. (1993). The Internationalization of the First Amendment. In Oleg Manaev & Yuri Priliuk (Eds.), ***Media in Transition: From Totalitarianism to Democracy (pp.151-157).*** Kiev: ABRIS.

(3) Merrill, J. C. (2000). ***Power, stability, and social harmony: the shift away from press freedom.*** Paper presented at the International Media Conferenee 2000, Ohio University, Athens, Ohio.

معا. ووصل الأمر ببعض الباحثين مثل فيل هاريس[١] إلى إعلان أن أنظمة الصحافة القائمة (الأنظمة الأربعة) لم تعد تصلح لدراسة الظواهر الجديدة في حقل علاقة الصحافة والسلطة السياسية ليس فقط في الدول الأفريقية ولكن أيضا في الدول المتقدمة.

ويؤكد الباحثون الأفارقة على ضرورة أن يتم بحث علاقة الصحافة بالسلطة السياسية في الدول غير الغربية في سياقها التاريخي وسياقها الاجتماعي- السياسي. ويقول UKO إن عدم وضع الحقائق السياسية والثقافية والتاريخية للدول غير الغربية في مثل هذه البحوث قد ضلل العديد من الباحثين الغربيين الذين تصوروا أن الصحافة لا يمكن أن تعمل بكفاءة في مناخ سياسي يختلف عن النموذج الديمقراطي الغربي. وفي هذا السياق ينتقد UKO المحددات النظرية التي وضعها وليام هاشتن لازدهار الصحافة وهي: وجود حكومة برلمانية متعددة الأحزاب، وحماية قانونية، أساس تجاري من خلال شركات[٢].

ويدلل UKO علي فشل الباحثين الغربيين في فهم الاعتبارات السياسية والثقافية والتاريخية عند تفسير علاقة الصحافة والسلطة بنموذج نيجيريا التي عاشت فيها الصحافة لفترات طويلة تحت الحكم العسكري وكانت أوضاعها أفضل بكثير مما كانت عليه تحت الحكم المدني البرلماني المتعدد الأحزاب[٣].

ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين الغربيين من أمثال هاشتن[٤] ولاري دايموند[٥] وفرانك بارتون[٦] إلى التعبير عن اندهاشهم من درجة الحرية التي تمتعت بها الصحافة النيجيرية تحت الحكم العسكري. ويأتي هذا الاندهاش نتيجة عدم توقعهم وجود أي درجة من حرية الصحافة في الدول التي لا تسير على النهج الغربي.

---

[1] Harries, Phil (1996). Alternative Communication Networks: Globalization, Civil Society and Communication. ***Media Development.*** Issue 3/ 1996.

[2] Hachten, W., (1971) ***Muffled Drums.*** Ames: Iowa State University Press. P.46.

[3] Uko, Ndaeyo. (2000) ***"Press Freedom under Military Rule: The Nigerian Phenomenon"***. Paper Presented in JEA Conference (Journalism Education Association "South Pacific". Australia, University of Queensland.

[4] Hachten, W., (1971) ***Muffled Drums.*** Ames: Iowa State University Press. P.46.

[5] Diamond, L (ed.) (1988), ***Democracy in Developing Countries: Africa.*** London: Adamantine Press.

[6] Barton, F. (1979) ***The Press of Africa.*** London: Macmillan.

فالنموذج التنموي للصحافة- علي سبيل المثال- الذي يسير على فرضياته العدد الأكبر من الباحثين الغربيين في هذا المجال لاقي في السنوات الأخيرة اعتراضات عديدة من جانب باحثين ينتمون إلى المدرسة النقدية الغربية مثل لامبث[١] وباحثين أفارقة مثل أيديني[٢] علي أساس أنه شكل من أشكال تحكم السلطة السياسية في الصحافة ولا يخرج عن كونه بديلا إسميا للنموذج الشيوعي والسلطوي.

ويوظف البحث المحكات الأساسية التي قدمها روتزل وهافنر[٣] للحكم على استقلالية الصحافة، وهي:

١- هل هناك سيطرة قوية للحكومة على وسائل الإعلام والصحافة.

٢- هل الوظيفة الأساسية للصحافة هي إخبار الناس بما تريد الحكومة أن يعلموا به فقط.

٣- هل تعمل الحكومة كحارس بوابة لمنع نشر المعلومات التي تشعر أنها قد تهدد سلطاتها.

٤- هل تعمل الصحافة كخادمة للدولة.

وذلك مع الأخذ في الاعتبار الحالات الاستثنائية التي قد تلجأ فيها بعض أنظمة الحكم الديمقراطي الجديدة في أفريقيا إلى تفعيل المحددات الأربعة السابقة عندما يكون الحزب الحاكم في خطر ، أو عندما تُواجه الحكومة بمعارضة شديدة في الداخل.

كما يوظف البحث المدخل القيمي الذي وضعته أوليج مانييف[٤] ويتضمن عدة مؤشرات للحكم على اتجاه النظام الصحفي إلى أحد الاتجاهين: السلطوي والليبرالي. ومن هذه المؤشرات كمية المعارضة (النقد) الموجه إلى الحكومة أو المسموح بتوجيهه إليها في الصحافة المستقلة عنها، وعدد قوانين الصحافة الموجودة في الدولة ودرجة تطبيقها. وترى مانيف أن تطبيق هذه المؤشرات يتيح للباحثين الاقتراب من حقيقة

(1) Lambeth, E. D. (1995). Global media philosophies. In J. C. Merrill (ed.), Global Journalism: Survey of International Communication (3rd ed.,). White Plains, NY: Longman. pp. 3-18

(2) Edeani, D. O. (1993). Role of development journalism in Nigeria's development. *Gazette*, Vol. 52. Pp. 123-143.

(3) Kim B. Rotzoll & Janes E Haifner (1990). "*Advertising In Contemporary Society*" , Ohio : South Western Publishing Co.

(4) Manaev, Oleg. (1993). Mass Media in the political and economic System of Transition Society. In Oleg Manaev & Yuri Priliuk (Eds.), *Media in Transition: From Totalitarianism to Democracy* (pp. 119-150). Kiev: ABRIS.

أوضاع الصحافة في الدول النامية وتحديد الأنماط المناسبة من العلاقة بين الصحافة وبين السلطة السياسية.

وتوظف الدراسة أيضا نموذج الإعلام المفتوح والإعلام المغلق الذي اقترحه فنشتين[١] في تحليله لحرية الصحافة في أفريقيا، ويتضمن هذا النموذج تحليل عاملين هما: ما إذا كانت الرسالة الإعلامية تصل إلى عدد محدود من الجمهور المستهدف أم لا، وما إذا كانت هناك أية قيود على لهجة ومحتوى الرسالة الإعلامية. وخلص إلى تصنيف النظام الصحفي في القارة الأفريقية ضمن نظام الإعلام المُقيد، وفيه يُقيد حق الجمهور في تلقى الرسالة الإعلامية التي تكون محدودة في العدد والمضمون، ونظام الإعلام الموجه الذي يتكون من جمهور مقيد ورسالة حرة، كما هو الحال عندما تحد معدلات الأمية المرتفعة من قراءة الصحف في الدول الأفريقية، أو تحد الاعتبارات الاقتصادية من شراء الصحف في هذه الدول.

ومن النماذج الوظيفية المهمة التي توظفها الدراسة في بحث ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا، نموذج التحليل الوظيفي، ويقوم على إخضاع هذه الظاهرة للتقييم الوظيفي الذي يشمل تقييم أثر الحكومة على الصحافة .. والأساليب الحكومية لتقييد الصحافة، بما فيها القوانين والتشريعات والإجراءات القضائية، والهيئات الحكومية المشرفة على الصحافة، والأساليب غير الرسمية وتعنى كيفية ممارسة التحكم وأثر هذا التحكم على إقتصاديات الصحف. وكان أكبان[٢] قد استخدم هذا النموذج بنجاح في بحثه الذي حلل فيها أساليب الحكومة النيجيرية الرسمية وغير الرسمية مع الصحافة وتأثيراتها على العمل الصحفي وحرية الصحافة.

---

(1) Feinstien, Adam (1995). Fighting for Press Freedom in Africa. In ***Journal of Democracy***. Vol. 6. No. 1.

(2) Akpan, Patience (2000), Africa in the Age of a Global Network Society: The Challenges Ahead. In ***African Studies Quarterly***. Vol.2, No.2.

المبحث الثاني

السياق التاريخي للصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء

ماهية الصحافة المستقلة:

يشير مصطلح "الصحافة المستقلة" إلى الصحف اليومية والأسبوعية ونصف الشهرية والشهرية والصحف غير المنتظمة في الصدور والتي تصدر دون سيطرة مباشرة من الدولة أو الحكومة ويتم وضع سياستها التحريرية واتخاذ القرارات فيها بصورة مستقلة عن الحكومة.

وقد عرف إعلان وندهوك الخاص بتشجيع الصحافة المستقلة في إفريقيا والصادر عن منظمة اليونسكو في عام ١٩٩١، الصحافة المستقلة بأنها "الصحافة المستقلة عن السيطرة الحكومية والسياسية والاقتصادية، أو المستقلة عن الماديات والبنية الأساسية الضرورية لإنتاج وتوزيع الصحف والمجلات والدوريات"[١]

ويقترب مفهوم الصحافة المستقلة من مفهوم الصحافة البديلة Alternative Press الذي يستخدمه بعض الباحثين[٢] للإشارة إلى الصحف غير الحكومية التي تصدر في الأنظمة السياسية الديكتاتورية وتعنى الصحف التي تصدر خارج إطار الحزب الواحد الحاكم في نظام الحزب الواحد أو خارج إطار النخبة العسكرية الحاكمة في الأنظمة العسكرية. ومع هذا فإننا لا نميل إلى إقامة نوع من التطابق بين الصحافة المستقلة والصحافة البديلة على أساس أن الصحافة المستقلة هي ظاهرة تشهدها المجتمعات الديمقراطية أو المجتمعات التي في طريقها إلى التحول الديمقراطي فقط- كما هو الحال في أفريقيا- ويحميها الدستور والقانون إلى حد كبير. ونضيف إلى ذلك أن مفهوم الصحافة البديلة يشير في الأصل إلى المطبوعات التي تصدر خصيصا لتعالج موضوعات خلافية في المجتمع سياسية أو اجتماعية أو إقتصادية، أو لتعبر عن

---

(1) UNESCO (1991), ***Declaration of Windhoek On Promoting An Independent And Pluralistic African Press, Namibia, 1991.*** Available Online at: http://www.unesco.org/webworld/peace_liberary/UNESCO/HRIGHTS/327-331. HTM

(2) Downing, John (1995), " Media, Dictatorship, and the Reemergence of "Civil Society", In: John Downing, Ali Mohammadi and Annabelle Serberny-Mohammadi, ***Questioning the Media: ACritical Introduction***, 2nd edition, Thousand Oaks, California: Sage Publications. P.198-199.

وجهات نظر محدودة الجماهيرية، ولا تخرج عن كونها أوراق مصورة تحمل شعارات أو آراء وتقترب في شكلها من المجلة وتوزع بالمجان في الشوارع مثل المنشورات"[١]. وبهذا فإن الصحافة البديلة تبتعد كثيرا عن مفهوم الصحافة المستقلة وتقترب أكثر إلى مفهوم الصحافة السرية Underground Press وهي الصحف التي تصدر لتعارض الاتجاهات العامة الراسخة في المجتمع مثل الصحف التي كانت تدعو إلى إنهاء الرق في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، والصحف التي تدعو في الوقت الحاضر إلى عبادة الشيطان أو تروج للمثلية الجنسية.

وتختلف الصحافة المستقلة اختلافا جوهريا عن الصحافة السرية التي "انتشرت في ستينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية والتي عبرت في هذه الفترة عن مناهضي الحروب والإمبريالية والفصل العنصري ودعاة اليسار والسلام وحقوق السود".[٢] فالصحف المستقلة ليست سرية ولا تحصر نفسها في الدفاع عن فكرة ما وإنما هي صحف عامة تباع علنا وتتناول مختلف قضايا المجتمع وتهتم بالمادة الخبرية نفس اهتمامها بمواد الرأي.

بقي أن نشير إلى أن مفهوم الصحافة المستقلة يتسع لدي بعض الباحثين[٣] ليشمل الصحافة الحزبية Partisan Press أو بالتحديد صحافة أحزاب المعارضة Opposition Press التي تصدرها الأحزاب السياسية أثناء وجودها خارج السلطة، علي أساس أنها صحف لا تخضع للسيطرة الحكومية وتعبر عن وجهات نظر مخالفة للحكومة، كما قد يضيق المفهوم لدي البعض الآخر فيخرج منه صحافة المعارضة الحزبية ككل علي أساس أنها صحف تتقلب مع أحزابها بين الحكم والمعارضة وبالتالي لا يمكن وضعها مع الصحافة المستقلة التي لا يعنيها الحكم أو المعارضة في تصنيف واحد. فالصحافة المعارضة هي "الصحف الدورية التي تنطق بلسان أو تعبر عن أحزاب أو جماعات سياسية تسعي للوصول إلى السلطة وهي في المعارضة"[٤]. أما الصحافة المستقلة فإنه

(1) Hiebert, Ray, Ungurait, Donald and Bohn, Thomas (1991), ***Mass Media VI: An Introduction to Modern Communication***, New York: Longman. Pp.238-239.

(٢) حسني محمد نصر (١٩٩٦)، ***صحافة المعارضة في مصر: دراسة في المفهوم التاريخي خلال الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٥٤***، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام- جامعة القاهرة. ص٧٢-٧٣.

(3) Campbell, Joseph (1998), ***The Emergent Independent Press in Benin and Cote D Ivoire: From Voice of the State to advocate of Democracy***, Westport, Connecticut: Praeger. P.3.

(٤) حسني محمد نصر (١٩٩٦)، صحافة المعارضة في مصر، مرجع سابق، ص٣٥٥.

لا يشترط أن تكون مملوكة لأحزاب سياسية أو تعبر عنها، كما أن وجودها لا يستلزم قيام نظام متعدد الأحزاب يسمح بتداول السلطة.

الموجة الثانية من الصحف المستقلة في أفريقيا:

تمثل ظاهرة الصحافة المستقلة التي تشهدها القارة الأفريقية منذ مطلع التسعينات من القرن الماضي الموجة الثانية من موجات الصحافة المستقلة في القارة السمراء، حيث ظهرت الموجة الأولي في الفترة الاستعمارية التي شهدت بدايات الصحافة الأفريقية وتميزت بالمبادرات الفردية للمثقفين والسياسيين الأفارقة في إطار النضال ضد المستعمر، وقد انتهت هذه الموجة الأولي بخروج المستعمر، وهو الخروج الذي مثل الانتصار الأكبر للصحافة الوطنية الأفريقية. إلا أن الحكم الوطني أنهى مع الاستعمار كل ما له صلة تقريبا بالصحافة المستقلة وحول الصحف إلى أداة حكومية تابعة من خلال الحزب الواحد أو الحكم العسكري في إطار رؤية للصحافة تجيز استخدامها من قبل الحكومات كوسيلة من وسائل التنمية وتحقيق التحرر السياسي والإقتصادي.

وقد قادت التغيرات التي شهدها العالم بنهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي إلى ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا وهي الموجة التي تزامن ظهورها مع الإصلاحات السياسية التي انتهجتها بعض دول القارة والتي شملت أيضا إنهاء حكم الحزب الواحد في بعض الدول والتحول إلى نظام سياسي متعدد الأحزاب، وإقامة انتخابات حرة وتداول السلطة.

ويطرح ظهور الصحف المستقلة للمرة الثانية في أفريقيا في مطلع تسعينات القرن الماضي تساؤلا حول ما إذا كان هذا الظهور قد تم نتيجة العامل الخارجي فقط المتمثل في سقوط الكتلة الشيوعية والمد الديمقراطي في العالم أم أنه جاء استجابة للأوضاع الداخلية في الدول الأفريقية وعبر عن رغبة وطنية في الإصلاح الصحفي بالتزامن مع الرغبة في الإصلاح السياسي.

والواقع أن كل الدلائل في هذا الإطار تشير إلى اشتراك العاملين الخارجي والداخلي مجتمعين في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا على أساس أن التغيرات

العالمية هي التي دفعت إلى التغيرات الداخلية ومن ثم إلى ظهور الصحافة المستقلة لتواكب هذه التغيرات. كما أن التغيرات العالمية لم تكن لتقود إلى أية تغيرات داخلية في أفريقيا ما لم تكن البيئة الوطنية مهيئة في هذا التوقيت بالذات لتقبل هذه التغيرات.

لقد تركز ظهور الصحافة المستقلة في بداية الموجة الثانية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في الدول التي كانت قائمة بها من قبل أثناء الفترة الاستعمارية مثل بنين والكاميرون وغانا والسنغال. وفي هذا يقول ريشارد ساندبروك[١] أن "الصحافة المستقلة في أفريقيا لم تظهر من العدم.. ففي بعض الدول تعود جذورها إلى فترة النضال الوطني ضد الاستعمار". وفي دولة مثل بنين تعود أصول الصحافة المستقلة إلى السنوات الأولي من الاستعمار الفرنسي خلال العقد الأول من القرن العشرين، وتعود هذه الجذور إلى فترات أبعد في دول أخرى مثل غانا.

وقد امتد ظهور الصحافة المستقلة إلى دول أفريقية أخري لم يكن لها ميراث تاريخي طويل مع هذا النوع من الصحافة وبعضها لم يعرف ظاهرة الصحافة المستقلة في تاريخه، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ظهور الصحافة المستقلة في مالي في مطلع تسعينات القرن الماضي وتمتعها بدرجة كبيرة جدا من الحرية جعلت من مالي أقل الدول الأفريقية جنوب الصحراء تحكما في الصحافة.[٢]

ولم يكن تغير النظام السياسي هو العامل الداخلي الوحيد الذي ساهم في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا. ففي بعض الحالات استمر النظام السياسي دون تغير ولكن ما تغير هو استراتيجيته السياسية والإعلامية. وعلي سبيل المثال فإن ظهور الصحف المستقلة في دولة مثل بوركينافاسو في عقد التسعينات يعود إلى "مولد دولة القانون" بحسب تعبير سارة تانو.[٣] وقد تنافست في ظل هذه الدولة عدة صحف يومية مستقلة إحداهما تعبر عن وجهة نظر الحكومة، بالإضافة إلى عدد من الصحف الأسبوعية واسعة التوزيع.

---

[1] Sandbrook, Richard (1996), "Transitions Without Consolidation: democratization in Six African States," ***Third World Quarterly*** 17, 1. P.82.

[2] Sussman, Leonard and Kristen Guida, (1998) " Death Toll Down: Press Freedom Up", "***Editor & Publisher*** (24 January 1998) P. 16.

[3] Tanou, Sarah (1999) "Burkina Faso: Spotlight on Press Freedom. ***ANB-BIA Supplement***. No.376-15/10/1999. Available online at: www.peacelink.it/anb-bia/nr376/e01.huml

يتضح مما سبق أن الميراث التاريخي للصحافة المستقلة لم يكـن هـو العامـل الرئيس والوحيد في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء، علي أساس أن دولا أخرى لم يكن لها سابق تجربة في الصحافة المستقلة قد شهدت مولد وازدهار الصحافة المستقلة ربما بدرجة تفوق ازدهارها مثيلاتها في دول كـان لهـا تجربـة تاريخية جيدة مع هذه الصحافة.

ويمكن الإشارة هنا إلى عوامل أخرى ساهمت في ظهور الموجـة الثانيـة مـن الصحافة المستقلة في أفريقيا، ومنها:

- برامج تعليم الصحافة في بعض الدول الأفريقية وبرامج تدريب الصحفيين التـي نظمتها منظمات غربية، والتي ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تـشجيع القيم والاتجاهات المتوافقة مع روح الصحافة المستقلة لدي أجيـال جديـدة مـن الصحفيين.[١]

- تأثير الصحف الأجنبية التي سمحت بعض الحكومات الأفريقية بدخولها البلاد على تطلعات الصحفيين الوطنيين وتزايد رغبتهم في إصدار صـحف مـستقلة عـن الحكومة على النمط الغربي. وقد دعم هذه التطلعات سفر بعض الصحفيين إلـى الخارج للتدريب أو العمل وعمل البعض الأخر كمراسلين للصحف الأجنبية داخل بلدانهم.[٢] فقد أدت كل هذه العوامل المتداخلة إلى توطين روح الصحافة المستقلة في نفوس الصحفيين الأفارقة وجعلتهم ينتظرون الفرصة لممارسـة مـا كـانوا يحسدون عليه الصحفيين الأجانب. وعلى هذا كانـت المقارنـات التـي يعقـدها الصحفيون الأفارقة بين أنظمة بلدانهم الصحفية والأنظمة الصحفية الغربيـة مـن العوامل التي ساهمت في تهيئة المناخ الصحفي في أفريقيا لتقبل ظاهرة الصحافة المستقلة في مطلع التسعينات من القرن الماضي.

---

(1) Ogundimu, Folu Folarin (1997), "Donor- Driven Initiatives and Media Training in Africa," ***Journalism and Mass Communication Educator.*** 52, 3 (Autumn 1997) Pp. 48-62

(2) Randall, Vicky (1993), "The Media and Democratization in the Third World, " ***Third World Quarterly***. 14, 3 (September 1993):P. 634

المجتمع الدولي والصحافة المستقلة في أفريقيا:

دشنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا بإعلان وندهوك حول تشجيع الصحافة المستقلة والصحافة التعددية في أفريقيا. وقد صدر هذا الإعلان في العاصمة الناميبية في الثالث من مايو ١٩٩١ وفي أعقاب المؤتمر الذي عقدته اليونسكو لهذا الغرض وشارك فيه ممثلون حكوميون وغير حكوميين ومنظمات حكومية وغير حكومية من جميع دول القارة تقريبا بالإضافة إلى برنامج الأمم المتحدة للتنمية. وقد صادق المؤتمر العام لليونسكو على الإعلان وتبعته الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أعلنت الثالث من مايو يوما سنويا للاحتفال بيوم حرية الصحافة العالمي World Press Freedom Day

ويحوى الإعلان ١٩ مادة تقرر أهمية دور الصحافة المستقلة في تطور الديمقراطية السياسية والتنمية الإقتصادية في أفريقيا، وتعرف الصحافة المستقلة بأنها المستقلة عن الحكومة والقوى السياسية والإقتصادية والمعبرة عن مختلف وجهات النظر.

وقد أشار الإعلان إلى التغيرات التي شهدها عدد متزايد من الدول الأفريقية في مطلع التسعينات نحو الديمقراطية متعددة الأحزاب واعتبرها مناخا ملائما لظهور الصحافة المستقلة. كما دعا المجتمع الدولي والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية ووكالات التنمية والتنظيمات المهنية إلى دعم قيام وتطور الصحف والمجلات والدوريات غير الحكومية والتي تعكس المجتمع ككل وتقدم مختلف وجهات النظر في أفريقيا. وأكد الإعلان على ضرورة حصر الدعم الدولي على تشجيع التعددية والاستقلالية في الصحافة في أفريقيا وقصر دعم وسائل الإعلام الحكومية على الدول التي تضمن فيها السلطات الحرية الفعلية والدستورية للمعلومات والتعبير واستقلال الصحافة.

ولتحقيق ما سبق، دعي البيان إلى إنشاء النقابات الصحفية وجمعيات للمحررين والكتاب والناشرين واعتبرها أولوية متقدمة في كل الدول الأفريقية التي لا توجد بها مثل هذه التنظيمات.

مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة في أفريقيا:

تنفيذا لبعض بنود إعلان وندهوك، وإدراكا منها بالدور الحيوي الذي يمكن إن تلعبه الصحافة المستقلة في دعم التنمية الديمقراطية في أفريقيا، أنشأت منظمة اليونسكو مشروع الصحافة المستقلة[١] The UNESCO Independent Press Project بهدف دعم الامكانات البشرية والفنية للصحافة المستقلة في أفريقيا وتمكينها من المساهمة بفاعلية في عملية التنمية الوطنية والتحول للديمقراطية. ويسعى هذا البرنامج إلى تحقيق أهدافه من خلال تحسين نوعية وكفاءة الصحف المستقلة من خلال التدريب ودعم المؤسسات الصحفية ودعم الممارسات الصحفية الأخلاقية.

وقد نظمت اليونسكو عددا من البرامج التدريبية والمؤتمرات حول النشر الإليكتروني وإدارة الصحف الصغيرة ومتوسطة الحجم وتعليم الصحافة. وقد استفادت عدة صحف مستقلة من هذه المساعدات.

ولا زالت اليونسكو تضع على رأس أولويات هذا البرنامج علاج نقص الكوادر الصحفية المهنية التي تظهر أكثر ما تظهر في الكتابة الصحفية وتقنيات التصوير وأخلاقيات الصحافة وإدارة المؤسسات الصحفية ونقص الإعلانات وغياب الكتابات المتخصصة في موضوعات مهمة مثل التعليم والبيئة والصحة والتنمية.

ويعتزم البرنامج في المستقبل عقد المزيد من الدورات التدريبية، وإمداد الصحف المستقلة بالأدوات والتدريب التقني وإنشاء قاعدة بيانات حول الصحافة الإفريقية وتشجيع تطور الصحف ومساعدة الصحفيين في تحسين مستوى المنتج الصحفي وزيادة المصداقية، بالإضافة إلى تشجيع الحكومات على تهيئة الظروف السياسية والإقتصادية والقانونية لازدهار الصحافة المستقلة.

وإدراكا منها بالدور الحيوي الذي تلعبه الصحافة في دعم التطور الديمقراطي وفي إطار تفعيل إعلان وندهوك وضعت اليونسكو برنامجا تنفيذيا لدعم الصحافة المستقلة في إفريقيا أطلقت عليه إسم "مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة the UNESCO Independent Press Project يهدف إلى دعم القدرات الفنية والبشرية

---

(١) UNESCO (2003), ***Development of an Independent Press in Africa.*** Available Online at: http://www.unesco.org/webworld/com/strength/strengt...

للصحافة المستقلة في أفريقيا وتمكينها من المشاركة الفعالة في التنمية الوطنية والتحول الديمقراطي. ويسعى المشروع إلى تحقيق أهدافه من خلال تحسين نوعية مخرجات وسائل الإعلام عن طريق التدريب وإمداد الصحف بالتكنولوجيا الحديثة ودعم الممارسات الأخلاقية في الصحافة. وفي هذا الإطار نظم المشروع عددا من البرامج التدريبية وورش العمل والمؤتمرات حول استخدام تكنولوجيا النشر المكتبي في الصحافة وإدارة المؤسسات الصحفية الصغيرة والمتوسطة الحجم واستخدام الانترنت والبريد الاليكتروني في التحرير الصحفي. وقد استفاد عدد من الصحف المستقلة في أفريقيا من هذا المشروع.

ويتضمن مشروع اليونسكو للصحافة المستقلة تنظيم التدريب المهني للصحفيين وإمداد الصحف المستقلة بالأدوات المناسبة والتدريب التقني وإنشاء قاعدة بيانات عن الصحافة الأفريقية بالإضافة إلى تشجيع نمو وتطور الصحف المستقلة ومساعدة الصحفيين على تحديد إطار الممارسة المهنية من أجل دعم مصداقية الصحف وتشجيع الحكومات على تهيئة الظروف السياسية والاقتصادية والضريبية والقانونية المناسبة لنمو وازدهار الصحف المستقلة.

السمات العامة للصحافة المستقلة في أفريقيا

مع التسليم بالاختلافات القائمة بين الدول الإفريقية وبالتالي بين أوضاع الصحافة المستقلة في كل منها، إلا أننا يمكن أن نستخلص عددا من السمات المشتركة التي تميز ظاهرة الصحافة المستقلة في القارة ككل.

- تسيطر علي سوق الصحافة المستقلة في أفريقيا الصحف صغيرة الحجم وضعيفة الامكانات المادية والبشرية، وباستثناءات قليلة فإن الصحف المستقلة في أفريقيا أسبوعية الدورية وبعضها نصف شهرية وتمتد دورية بعضها إلى الشهرية. كما أن بعض الصحف المستقلة غير منتظمة في الصدور.
- تواضع المستوى الفني للصحف المستقلة، حيث يغلب على هذه الصحف الفقر التقني والتحريري ولا تزيد بعضها عن عدد قليل من الأوراق الرديئة الخالية من أي شكل جمالي نظرا لضعف الامكانات التقنية، كما أنها فقيرة من الناحية التحريرية بشكل واضح. ولا يخدم المستوى المتواضع لهذه الصحف من ناحية المضمون والإخراج ظاهرة الصحافة المستقلة بوجه عام.

- تقلب التوجهات السياسية والإيديولوجيات للصحف المستقلة نتيجة تعبيرها عن أفراد وليس عن قوى سياسية قائمة، وهو الأمر الذي يدفعها إلى التناقض مع نفسها سعيا إلى إرضاء الحكومات للسماح لها بالاستمرار في الصدور.

- التوجه إلى النخبة المتعلمة، وعدم الوصول إلى القواعد الجماهيرية. وتتفق الصحف المستقلة في أفريقيا مع غيرها في هذه السمة مع وسائل الإعلام المطبوعة الأخرى بسبب ارتفاع نسب الأمية في الدول الإفريقية. والواقع أن الصحف المستقلة في أفريقيا لا تختلف عن الصحف الحكومية في كونها نخبوية وتتركز في المدن والمناطق الحضرية وتخدم الجماهير المتعلمة القادرة على القراءة باللغات الأوروبية. ويرى أحد الباحثين الأفارقة أن "الصحافة المستقلة رغم إنها تناضل من أجل إعادة الظهور من الظلال السلطوية لازالت مؤسسات للنخبة وتمثل مع الصحف الحكومية قطاعات مختلفة من النخبة السياسية والإقتصادية"[١].

- وينفي بعض الباحثين[٢] الطبيعة النخبوية عن الصحافة المستقلة في أفريقيا مستندا إلى حقيقة أن قراءة الصحف ليست هي وسيلة الاتصال الوحيدة في البلدان الأفريقية، وإنما هي حلقة في سلسلة الاتصال الإنساني في الثقافات الأفريقية التي تعلي من شأن الاتصال الشفهي، وعليه فإن الصحف المستقلة تصل إلى الجماهير عبر نقل المتعلمين ما قرءوه فيها إلى غير المتعلمين. ويصف أحد الصحفيين الأفارقة هذا الأمر بالإشارة إلى بائعة خضروات غير متعلمة في جامبيا تقوم بشراء صحيفته وتأخذها إلى منزلها مساءً ليقرأها لها أحد أطفالها الذين يذهبون إلى المدرسة. وفي مالي فإن برامج الراديو التي تقدم مقتطفات من المقالات المنشورة في الصحف المستقلة تجذب انتباه عدد أكبر من الجماهير وبشكل يفوق عدد قراء نفس المقالات الأصلية المنشورة في هذه الصحف[٣].

(1) Karikari, Kwame (1993), "Africa: The Press and Democracy." ***Race & Class*** 34, 3 (January- March 1993): Pp.56-57.

(2) Wiseman, John A (1996) "***The New Struggle for Democracy in Africa*** (Aldershot, UK: Avebury) P. 56.

(3) "Media: Private Radio Troubles in Ghana," ***Africa Research Bulletin*** (1-28 February 1995) P.11769.

المبحث الثالث

دور الصحافة المستقلة في أفريقيا

يحدد بالدنج[1] دور الصحافة المستقلة في دعم الأنظمة الديمقراطية في القارة الأفريقية في: تشجيع الشفافية، ومحاسبة السياسيين، ومحاربة الفساد، وإنشاء ودعم إقتصاد مستقر وصحي. ولذلك فإن يقيم ارتباطا وثيقا بين نجاح الديمقراطيات الجديدة في تحقيق التحول السريع إلى إقتصاد السوق ونجاحها في إقامة أنظمة صحفية حرة تتمتع فيها الصحافة باستقلالية عن الدولة.

ويعول الكثيرون على الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه الصحافة المستقلة في دعم وتشجيع التحول الديمقراطي في أفريقيا. فعلي الرغم من أنها هي نفسها كانت أحد ثمار موجة التحولات الليبرالية والديمقراطية التي اجتاحت القارة في مطلع التسعينات، فإنها هي نفسها أيضا كانت القوة المحفزة للديمقراطية. ويشير بعض المحللين إلى أن الصحافة بوجه عام والمستقلة منها بوجه خاص كانت عاملا مستقلا رئيسيا في الموجة الديمقراطية في أفريقيا. وفي هذا الإطار يشير فرنسيس كاسوما إلى أن الديمقراطية الليبرالية لم تكن لتصل إلى أفريقيا في تسعينات القرن الماضي وبالتأكيد لم تكن لتستمر بدون تمكين الصحافة المستقلة من أداء دورها".[2] ويرى أريك شينجي أن "نجاح التجربة الديمقراطية في أفريقيا سوف يتوقف على الطريقة التي تعرض بها الصحافة مفهوم الديمقراطية".[3] وينظر بعض الصحفيين الأفارقة إلى أنفسهم على أنهم هم الذين بنوا الأنظمة الديمقراطية الجديدة في بعض الدول الأفريقية.

وإذا كان الصحفيون الأفارقة والباحثون في الصحافة يعلون من شأن دور الصحافة في التحول الديمقراطي في أفريقيا، فإن الباحثين في العلوم السياسية لا ينكرون هذا الدور ولا يقللون من أهميته، لكنهم يعتبرونه عاملا ثانويا من بين عدد من العوامل التي ساهمت في هذا التحول. إذ يشير لاري دايموند على سبيل المثال إلى أن

---

(1) Balding, Timothy (2003), Press Freedom: Ten Years On…"*Ibid, p.2.*

(2) Kasoma, Francis P. (1995), "The Role of the Independent Media in Africa's Change to Democracy," ***Media, Culture & Society*** 17, 4 (October 1995) P. 552

(3) Chinje, Eric (1993), "The Media in Emerging African Democracies: Power, Politics, and the Role of the Press" ***Fletcher Forum*** 17, 1 (Winter 1993) P.63

التوجه نحو الديمقراطية في أفريقيا جاء نتيجة عدد من العوامل والقوي التاريخية من بينها التدهور الإقتصادي في الثمانينات والفشل العام للأنظمة السلطوية وتطور المجتمع المدني، واقتصر دور الصحافة المستقلة (غير الحكومية) بالإضافة إلى محطات الراديو الدولي علي المساهمة في خلق الوعي العام بالتوجه الديمقراطي لدي الجماهير".(١)

ونحن نتفق مع رؤية وتحليل وايسمان(٢) لدور الصحافة المستقلة في التحول الديمقراطي في أفريقيا. فهذه الصحافة يمكن النظر إليها على أنها كانت متغيرا مستقلا ومتغيرا تابعا في نفس الوقت في هذا التحول.. كما يمكن النظر إليها على أنها كانت سببا ونتيجة لهذا التحول في نفس الوقت، فظهور الصحف المستقلة عن الحكومة يمكن النظر إليه على أنه نتيجة للمناخ السياسي الجديد الذي تشكل في إطار النضال من أجل الديمقراطية، وبعد ظهورها أصبحت هذه الصحف قوة أساسية بارزة في هذا النضال. ومن النماذج التي تؤكد صحة هذا التحليل لدور الصحافة المستقلة كمتغير تابع ثم كمتغير مستقل في التحول الديمقراطي ما حدث في زامبيا. فقد نجحت المعارضة السياسية في عام ١٩٩١ في تحدى السيطرة الحكومية الشديدة على الصحافة وأجبرت الحكومة على السماح للصحف المستقلة بالظهور. وبعد ظهورها ومن خلال ما كانت تنشره قامت الصحف المستقلة بدعم وتشجيع التحول الديمقراطي والتعددية السياسية وساهمت في إخراج حزب الرئيس كنيث كاوندا الحاكم من السلطة في نفس العام. وفي بنين كان ظهور الصحف المستقلة الأولي في عام ١٩٨٨ إشارة واضحة على قرب سقوط الحكم الماركسي في البلاد، وقد ساهمت هذه الصحف في هذا السقوط من خلال التقارير التي نشرتها عن فساد النظام الحاكم وانتهاكات حقوق الإنسان.

(1) Diamond, Larry, (1993) "International and Domestic Factors in Africa's Trend toward Democracy," in Festus Eribo and others, eds., ***Windows on Africa: Democratization and Media Exposure*** (Greenville, NC: East Carolina University) P.18.

(2) Wiseman, John A. (1996) ***The New Struggle for Democracy in Africa.*** (Aldershot, UK: Avebury) P.55.

المبحث الرابع

الضغوط القانونية التى تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا

يتطلب ظهور وازدهار الصحافة المستقلة مساحة من الحرية السياسية ودرجة عالية من تحمل النظام الحاكم لها. وإذا كانت بعض الأنظمة الأفريقية قد سمحت للصحف المستقلة بالظهور والعمل في ظل التغيرات السياسية التي أشرنا إليها من قبل فإن درجة تحمل هذه الأنظمة لاستمرار هذه الصحافة لا زالت متقلبة ومتغيرة، وفي بعض الحالات أدى عدم تحمل الأنظمة الحاكمة للصحف المستقلة إلى التراجع عنها وإغلاقها.

الضغوط الحكومية في ضوء الخبرة التاريخية:

ولكي نحدد ونحلل الضغوط القانونية وغير القانونية التى تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا التي ظهرت في مطلع التسعينات من القرن الماضي، لا بد لنا – منهجيا– من وضع هذه الضغوط في سياقها التاريخي حتى يمكننا تقدير حجم التغير الذي أحدثه ظهور الصحافة المستقلة في أوضاع حرية الصحافة في القارة.

والواقع أن الميراث التاريخي للصحافة الأفريقية الذي سبق ظهور الموجة الثانية (الحالية) من الصحافة المستقلة يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الصحافة الأفريقية وباستثناءات قليلة للغاية حرمت تماما من حريتها في فترة ما بعد الاستقلال. وتجمع البحوث والدراسات التي تناولت الصحافة الأفريقية في فترة ما بعد الاستقلال وحتى مطلع التسعينات على حقيقة واحدة وهي أن حرية الصحافة لم تتحقق في أفريقيا جنوب الصحراء أو في إفريقيا بصفة عامة. وقد وصف لويس بورجلت Louise M. Bourgault هذا الأمر بقوله "إن الأدبيات الخاصة بالصحافة الأفريقية تعاملت مع تاريخ الصحافة في القارة على أنه معركة مستمرة بين قادة الحكم العسكري ورجالهم وبين الصحفيين الأبطال".(١)

(1) Bourgault, Louise M. (1993) " Press Freedom in Africa: A Cultural Analysis," ***Journal of Communication Inquiry*** 17, 2 (Summer 1993) P.69.

وقد كان واضحا خلال السنوات الأولي من الاستقلال أن "أفريقيا كانت هي القارة التي تكمم صحافته وتخنقها"[١]. وقد عبر فرانك بارتون عن المفارقة التي حدثت بين التحرر من الاحتلال وقمع الصحافة الوطنية بقوله "عندما جاءت الحرية السياسية إلى القارة.. اختفت حرية الصحافة" وهي المقولة التي يمكن أن نعيد صياغتها عربيا بالقول "عندما دخل التحرر السياسي إلى إفريقيا من الباب.. خرجت حرية الصحافة من الشباك".

وفي السبعينات من القرن الماضي عبر أحد الصحفيين الأفارقة عن وضعية حرية الصحافة في القارة بقوله "إن درجة الحرية التي تتمتع بها الصحافة الآن تحت الحكم الوطني أقل بكثير مما كانت تتمتع به تحت حكم المستعمرين البيض".[٢]

وقد خلص حسني نصر[٣] إلى نتيجة مشابهة، إذ أكد في بحثه لعلاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا منذ الاستقلال وحتى مطلع التسعينات عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة ايجابية بين نيل الاستقلال وبين ازدهار حرية الصحافة في أفريقيا. فقد اتضح أن الصحافة الأفريقية تحت الحكم الوطني كانت مقيدة بجميع آليات التقييد المعروفة: التشريعات والقوانين، والرقابة المباشرة والذاتية. وعانت الصحف وعانى الصحفيون من اضطهاد الحكام الوطنيين. كما أكد أيضا عدم صحة الفرض القائل بوجود علاقة بين نوعية الحكومة القائمة (مدنية وعسكرية) وبين ازدهار حرية الصحافة. فقد اتضح أن جميع الحكومات التي تولت الحكم أيا كان نوعها وطريقة وصولها إلى السلطة، قد قيدت حرية الصحافة.

في ضوء السياق السابق يمكن تقدير ما تتمتع به الصحافة المستقلة في أفريقيا التي ظهرت في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين، ليس عن طريق مقارنتها بالصحافة المستقلة في مناطق أخرى من العالم ولكن بمقارنتها بما كان عليه الحال في أرضها في الفترات السابقة.

---

(1) Ainslie, Rosalynde (1996) "***The Press in Africa: communication Past and Present***". London: Gollancz. P.212

(2) Jose, Babatunde (1975), "Press Freedom in Africa," ***African Affairs*** 74, 296 (July 1975) P.256

(٣) حسني محمد نصر (١٩٩٩)، ***الحرية المفقودة: علاقة الصحافة بالسلطة الوطنية في أفريقيا***، مرجع سبق ذكره، ص.١٨٣.

والواقع أن تقييم حرية الصحافة المستقلة في أفريقيا بتنازعه اتجاهان.. اتجاه متفائل يقدر قيمة ما حدث من تغير ويعتبره مقدمة لتوسيع نطاق حرية الصحافة في أفريقيا، واتجاه متشائم يركز على انتهاكات الحكومة لحرية الصحافة المستقلة ويتنبأ بزوال هذه الظاهرة عند أول منعطف تاريخي آخر.

ويري أصحاب الاتجاه المتفائل في ظهور الصحف المستقلة في أفريقيا بعد انقطاع لنحو ثلاثين عاما في حد ذاته تغيرا دراماتيكيا في تاريخ الصحافة الأفريقية وأن هذا الظهور – في حد ذاته أيضا- يؤكد أن هناك حرية صحافة في الدول التي ظهرت بها. ويستند أنصار هذا الاتجاه من الباحثين على القاعدة المنطقية التي تقول أنه لو لم يكن هناك حد أدني من الحرية لما ظهرت هذه الصحافة، بالإضافة إلى بعض الدلائل الوطنية والعالمية مثل تقارير المنظمات الدولية المعنية بحرية الصحافة. ولا يقيم أصحاب هذا الاتجاه وزنا كبيرا للانتهاكات التي تتعرض لها الصحافة المستقلة من جانب الحكومات ويركزون على قصص النجاح التي حققتها بعض الصحف المستقلة في بعض البلدان الأفريقية. ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه ريتشارد كارفر[١] الذي يري أن ظهور الصحف المستقلة في أفريقيا قلب موازين حرية الصحافة في أفريقيا، وعمر كوناري[٢] الذي يري أن الصحف المستقلة قد تمتعت بدرجة كبيرة من الحرية في نشر التحقيقات الصحفية وطرح التساؤلات والخوض في كل الموضوعات التي كان محرما على الصحف الأفريقية الخوض فيها من قبل، ويقول كوناري "إن قاعات التحرير داخل هذه الصحف تحولت إلى قاعات محاكم وتحول الصحفيون إلى محامين للدفاع عن المواطنين".

ورغم اعتراف البعض بالقمع الذي تعاني منه الصحف المستقلة في أفريقيا إلا أنهم يعولون كثيرا على شجاعتها ومرونتها وقدرتها على التكيف التي تمكنها من البقاء والاستمرار. ويشير هؤلاء الباحثين إلى قيام الصحفيين المستقلين الذين تغلق الحكومة صحفهم بإعادة إصدارها بأسماء جديدة.

---

[1] Carver, Richard (1991), "***Truth From Below: The Emergent Press in Africa***. London: International Center Against Censorship. P.3

[2] Konare, Alpha Oumar (1991), "Independent papers enjoy a Whiff of Freedom from Dakar to Kinshasa". ***IPI Report*** (May 1991). P.20

أما أصحاب الاتجاه المتشائم فيرون أن الصحف المستقلة الجديدة ولدت وهي غير محصنة ضد القمع الحكومي، أي بدون غطاء دستوري وقانوني يحميها من الحكومة. بل إن القوانين التي صدرت بعد ظهور هذه الصحافة كانت تستهدف في الغالب تمكين الحكومات الأفريقية من قمع هذه الصحافة. ويستدل أصحاب هذا الاتجاه بوقائع سجن الصحفيين المستقلين وإغلاق بعض الصحف المستقلة في كل الدول الأفريقية التي عرفت هذه الظاهرة مثل بنين والكاميرون وتشاد والكونغو وساحل العاج وإثيوبيا وغانا وكينيا والنيجر وتوجو وزامبيا وزيمبابوي.

وسائل الضغط على الصحف المستقلة:

لإدراك حقيقة ما تتعرض له الصحافة المستقلة في أفريقيا نستعرض في الصفحات التالية العقبات القانونية والقيود الحكومية التي تتعرض لها الصحف المستقلة في أفريقيا في ضوء بعض النماذج التي تساهم في استخلاص نتائج ذات دلالة في تقييم حرية الصحافة المستقلة في أفريقيا.

١ .عدم إيمان القيادة السياسية بدور الصحافة المستقلة:

رغم انتهاج بعض الدول الإفريقية سياسات جديدة تسمح للصحف المستقلة بالظهور إلا أن قادة بعض هذه الدول احتفظوا برؤية سلطوية لهذه الصحافة توارثوها من الفترات السابقة تري في هذه الصحف عدوا للحكومة والاستقرار. وتعطي ناميبيا مثالا جيدا على ذلك. فقد كانت ناميبيا في مطلع التسعينات تعيش تجربة ديمقراطية جديدة، وكانت تمثل للمنظمات الدولية في ذلك الوقت نموذج يمكن أن يحقق النجاح ليس فقط في التحول إلى الديمقراطية والانتخابات الحرة بل أيضا في ازدهار الصحافة المستقلة عن سيطرة الحكومة. ولعل هذا ما دفع منظمة اليونسكو إلى اختيار عاصمتها وندهوك مكانا لإعلان وندهوك حول الصحافة المستقلة في عام ١٩٩١، الذي يتضمن مجموعة من المبادئ تستند إلى فكرة أن قيام واستمرار وتقوية صحافة مستقلة ومتعددة وحرة أمر ضروري لتطور الديمقراطية في الدولة.

ورغم أن رئيس ناميبيا في ذلك الوقت سام نجوما Sam Nujoma هو نفسه رئيسها الحالي نتيجة فوزه بالانتخابات الثلاثة التي أجريت في البلاد منذ نهاية

الثمانينات إلا أنه انقلب وبشدة على الصحافة المستقلة، حتى أنه عين نفسه في أعقاب فوزه بفترة رئاسية ثالثة في ٢٠٠٢ وزيرا للإعلام والإذاعة، وذلك لإحكام سيطرته على وسائل الإعلام الحكومية واستخدامها في مواجهة الصحافة المستقلة. ويستند عداء نجوما للصحافة المستقلة من رؤيته للصحفيين المستقلين على أنهم أعداء للبلاد يخدمون المستعمرين السابقين، وهو نفس المبرر الذي يستخدمه روبرت موجابي رئيس زيمبابوي في حربه ضد الصحافة المستقلة. ويشير آدم بوسلنس إلى أن غضب نجوما على الصحف المستقلة قد تصاعد بعد انتقادها قرار الحزب الحاكم المعروف باسم سوابو SWAPO تعديل الدستور للسماح للرئيس بدخول الانتخابات لفترة رئاسية ثالثة بالإضافة إلى كشفها قضايا فساد لبعض المسئولين الحكوميين وقضايا انتهاك حقوق الإنسان داخل البلاد والممارسات غير الإنسانية للقوات الوطنية داخل جمهورية الكونغو الديمقراطية.

وقد تمثلت المضايقات التي اتبعها المسئولون الحكوميون وعلي رأسهم الرئيس نجوما ضد الصحف المستقلة في:

- حرمانها من المعلومات
- اتهامها بتشويه صورة البلاد في الخارج
- جر الصحف المستقلة إلى المحاكم
- حرمانها من الإعلانات والتضييق عليها في التوزيع
- تحريض الجماهير على مقاطعتها

فقد وبخ نجوما الصحفيين بشدة في خطابه بمناسبة احتفال اليونسكو بمرور عشر سنوات على إعلان وندهوك في ربيع ٢٠٠١، واتهمها أنها لا تفهم مسؤولياتها، وإدعي أن الصحفيين يريدون مزيدا من الحرية لأسباب تجارية وذلك عن طريق نشر الموضوعات الحساسة والمعلومات المضللة والتزييف لبيع صحفهم وبناء إمبراطوريات إعلامية لا يجرؤ أحد على المساس بها. وعبر نجوما عن قناعته بأن الصحافة يجب أن تعمل كأداة لنشر المعلومات الحكومية.

ورغم عدائها للصحافة المستقلة إلا أن حكومة ناميبيا توقفت عن الأساليب القمعية السابقة في التعامل مع الصحف المستقلة، واستعاضت عنها إلى جانب الحرمان من المعلومات وتحريض الجماهير على عدم شرائها، بجرها إلى المحاكم. ففي عام ١٩٩٨ فرضت وزارة الدفاع حظرا كاملا على أخبار الحرب في جمهورية الكونغو الديمقراطية التي كانت تشارك فيها قوات من ناميبيا. وفي نفس العام قدم نجوما صحيفة وندهوك أوبزرفر Windhoek Observer المستقلة إلى المحاكمة بتهمة القذف لنشرها مقالات تتهمه بالفساد. وفي يونيو ٢٠٠٠قدم نجوما نفس الصحيفة إلى المحاكمة بتهمة القذف في حقه لنشرها مقالا أشارت فيه إلى ملكيته لمنجم ماس في الكونغو الأمر الذي أثار الأقاويل حول دوافع ناميبيا للتورط في الحرب الأهلية في الكونغو.

وفي ربيع عام ٢٠٠١ أمر الرئيس نجوما بفرض حظر إعلاني وتوزيعي على صحيفة The Namibian التي تحتل مكانة مرموقة محليا ودوليا باعتبارها من أقوى الصحف المستقلة في ناميبيا. وفي سبتمبر ٢٠٠٢ دعت رابطة الشباب بالحزب الحاكم الجماهير إلى مقاطعة الصحيفة نفسها وعدم شرائها لنشرها رسما كاريكاتوريا صورت فيه الرئيس نجوما على أنه كلب الهجوم بالنسبة للرئيس الزيمبابوى روبرت موجابي. وقد تضمنت الدعوة مقاطعة كل الصحف المستقلة التي تتضمن نقدا لزعيم البلاد.

وقد وصل عداء المسئولين الحكوميين للصحافة المستقلة في بعض الدول الأفريقية إلى حد تلفيق اتهامات أخلاقية لرؤساء تحرير هذه الصحف، مثلما حدث في أوغندا مع تيدي شاييه رئيس تحرير صحيفة Uganda Confidential الأسبوعية المستقلة الذي اتهمته السلطات بالتحرش الجنسي وخطف فتاة بغرض الاعتداء عليها ولكن المحكمة برأته وأكدت أن الاتهام كان ملفقا من جانب مسئولين كان شاييه قد نشر مقالات في صحيفته تتهمهم بالفساد.

ولم تستطع بعض الحكومات الإفريقية تحمل أي نقد توجهه الصحف المستقلة لأدائها حتى وإن كان بسيطا، وعلي سبيل فقد أغلقت حكومة ليبريا صحيفة The Daily Observer المستقلة لمدة شهر في عام ١٩٩٣ بسبب نشرها صورة فوتوغرافية لطريق

موحل في العاصمة منروفيا مدعية أن نشر هذه الصورة يهدد الاستثمارات الأجنبية في البلاد.

٢. إتباع أساليب مضللة لإغلاق الصحف المستقلة:

تأخذ المضايقات الحكومية للصحف المستقلة أشكالا متباينة في الدول الأفريقية المختلفة تتراوح بين إغلاق الصحف المستقلة وسجن الصحفيين المستقلين الذين يعبرون عن وجهات نظر مخالفة للحكومة وبين إصدار قوانين الصحافة البالغة الشدة في التعامل مع الصحافة المستقلة. وتمارس بعض الحكومات الإفريقية نوعا من التضليل الإعلامي لصرف النظر عن ممارساتها ضد حرية الصحافة وتبرير إغلاقها للصحف المستقلة. ويتضح هذا الأمر أكثر ما يتضح في إرتريا التي بررت حكومتها إغلاق جميع الصحف المستقلة بعدم قدرة هذه الصحف على التجاوب مع نصوص قانون الصحافة الذي يلزم الصحف بالحصول على ترخيص من الحكومة.

وتعطي إرتريا التي تندرج ضمن أكثر الدول الأفريقية انتهاكا لحرية الصحافة نموذج واضح على النوع الأول من المضايقات. إذ قامت حكومة الرئيس اسياسي افورقي في سبتمبر ٢٠٠١ بإغلاق جميع الصحف المستقلة وعددها ست صحف، في محاولة لمنعها من تغطية حملتها على المعارضين للحزب الحاكم الذي يتولى حكم البلاد منذ استقلالها عن إثيوبيا في عام ١٩٩٣. كما قامت الحكومة بزج الصحفيين المستقلين الذين يبدون أية وجهات نظر ناقدة للسياسات الحكومية في السجن. وتمارس حكومة إرتريا مثلها في ذلك مثل حكومات أنجولا وبوروندي وجمهورية الكونغو الديمقراطية وإثيوبيا وليبيريا وزيمبابوي كل الانتهاكات ضد الصحفيين المستقلين من الاعتقال والسجن والمعاملة السيئة والنفي والتهديد بالموت وحتى القتل بذريعة أن ما ينشروه يهدد الوحدة الوطنية في البلاد.

٣. مهاجمة الصحف المستقلة:

بالإضافة إلى الأساليب التقليدية، تعرضت الصحف المستقلة في بعض الدول الأفريقية إلى أشكال أخرى أكثر عنفا مثل مهاجمة مقارها وتفجير أبنيتها. ففي زيمبابوي قام أعضاء مجهولون من الحزب الحاكم بتفجير مقر صحيفة Voice of the

People المستقلة في أغسطس ٢٠٠٢. وكان قد سبق هذه الحادثة ثلاثة تفجيرات لمقر صحيفة Daily News التي كانت الصحيفة الوحيدة المستقلة في البلاد في عام ٢٠٠١.

ولا يتوقف الأمر على أنصار الحكومة في مهاجمة مقار الصحف، إذ تسند هذه المهمة في بعض الأحيان إلى قوات البوليس. ففي أوغندا على سبيل المثال قام البوليس بمداهمة مقر صحيفة The Monitor في أكتوبر ٢٠٠٢ وحطم محتوياته وصادر المعدات وأغلق الصحيفة لمدة أسبوع.

٤. استخدام النظام القضائي غير المستقل لمحاربة الصحف المستقلة:

تقع الصحافة المستقلة في بعض البلدان الأفريقية تحت رحمة النظام القضائي غير المستقل عن الحكومة والذي أظهر في أكثر من مناسبة عدائه الكبير للصحافة المستقلة. ففي إثيوبيا حكم بالسجن لمدد طويلة على ثلاثة من رؤساء تحرير صحف مستقلة لأنهم سمحوا لبعض المعارضين بالتعبير عن أرائهم في صحفهم. وفي أوغندا يتم تطبيق قانون التحريض على العنف بصورة انتقائية على الصحفيين الذين لديهم رؤى مخالفة للحكومة، كما استخدمت حكومة زيمبابوي قانون حماية الخصوصية لتسهيل القبض على عدد من رؤساء تحرير الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين.[1]

وقد عبر تقرير للمعهد الدولي للصحافة في عام ١٩٩٥ عن حقيقة ما قامت به بعض الحكومات الأفريقية في ميدان الصحافة المستقلة، مشيرا إلى محاولة بعض الحكومات الأفريقية خلق سراب أسمه الديمقراطية وقيامها بما أسماه "عملية تجميل" لممارساتها ضد الصحافة المستقلة. فبدلا من استخدام العنف العلني تسعى حكومات عديدة إلى المحاكم في محاولة لتجريم ما يكتبه الصحفيون. وفي محاولاتها إظهار توجهها الليبرالي للعالم تسمح بعض الحكومات بصدور مطبوعات مستقلة، ولكن تبقى هذه المطبوعات عرضة للضرائب العقابية والتنظيم والتحكم في واردتها من المطابع ووسائل توزيعها. كما أظهر مسح ميداني لصحفيين من ٢٩ دولة أفريقية في عام ١٩٩٦ أن الصحافة المستقلة في غالبية الدول المسموح لها بالصدور فيها تعاني من

[1] Amnesty International (2003), ***Repression of Press Freedom in Africa.*** Report Available Online at: http://news.amnesty.org/mavp/news.nsf/0/1720B?openDocu...

سيطرة شديدة من جانب الحكومة وضغوط خفية خاصة ما تخضع لـــه مـــن قـــوانين للصحافة والنشر.[١]

٥.استغلال حالات الطوارئ لفرض الرقابة على الصحف المستقلة:

رغم توجهها نحو الديمقراطية فإن بعض الدول الأفريقية لجأت في أحيان كثيرة إلى إعلان حالة الطوارئ في مناسبات مختلفة الأمر الذي انعكس ســلبا علـــى نمـــو وتطور الصحف المستقلة التي كانت إحدي ضحايا حالة الطوارئ على الـــدوام. ففـــي غانا وبعد أن عاشت الصحف المستقلة فترة ازدهار دامت أكثر من عام تحـــت حكـــم الرئيس جون أجيكوم كوفور عادت الحكومة لتفرض عليها قيودا شديدة فـــي أعقـــاب إعلان حالة الطوارئ بسبب النزاعات القبلية العرقية في البلاد والتي تضمنت فـــرض رقابة على الصحف خاصة المستقلة منها.

٦. منع الصحف المستقلة من تغطية بعض الأحداث:

في إطار التضييق على الصحف المستقلة والحد من قدرتها على الانتشار تتجـــه بعض الحكومات إلى التمييز ضدها لصالح الصحف الحكومية عن طريق منعها مـــن تغطية بعض الأحداث المهمة. وعلي سبيل المثال منعت الحكومة في زامبيا الـــصحف المستقلة من حضور جلسات البرلمان خاصة الجلسات المهمة مثل جلسة انتخاب رئيس المجلس.

تفسير تباين الضغوط الحكومية علي الصحف المستقلة:

يمكن تفسير تباين حجم الضغوط التي تتعرض لها الصحف المستقلة في البلـــدان الأفريقية في ضوء عدد من الاعتبارات التاريخية والجغرافية، وهي:

- الميراث التاريخي الاستعماري والوطني في التعامل مع الصحف المستقلة. ويتضح دور هذا العامل إذا قارنا بين الضغوط التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في دولة مثل بنين شهدت منذ بدايات الاستعمار الفرنسي لهـــا صـــحافة مـــستقلة مزدهـــرة ومقاومة للضغوط وبين الصحافة المستقلة في دولة أخرى مثل ساحل العاج التي لم

[1] African News Bulletin (ANB-BIA ***(1998), Africa: Manifestations of democracy An independent Press and a Free Judiciary***, ANB-BIA Supplement, No 345- 01/05/1998.

يكن لديها صحفا مستقلة إبان الفترة الاستعمارية. فقد مكن الميراث التاريخي للصحافة المستقلة في بنين الموجة الجديدة من الصحف المستقلة التي ظهرت في البلاد في مطلع التسعينات من التعايش ومقاومة القمع الحكومي الذي كان شائعا في الدول الأفريقية الأخرى، وفي المقابل لم تستطع الصحف المستقلة في ساحل العاج مقاومة هذه الضغوط خاصة في النصف الأول من عقد التسعينات لافتقارها إلى ميراث تاريخي في مقاومة القمع الحكومي. فالقمع الذي تواجهه الصحف المستقلة والعقوبات التي يتعرض لها الصحفيون المستقلون في ساحل العاج "يعود في جزء منه إلي عدم رسوخ ثقافة التسامح مع المعارضين والصحف المعارضة"(١).

- التأثير الجغرافي من دول الجوار، إذ تتأثر تجارب الدول في التعامل مع الصحف المستقلة بالتجارب المماثلة في دول الجوار، وهذا ما يؤكده تأثر حكومة ناميبيا في التضييق على الصحف المستقلة بما تقوم به حكومة زيمبابوى في هذا المجال.

- الظرف الاستثنائي (نموذج سيراليون) إذ رفعت الحكومة المنتخبة بعد الحرب الأهلية الطويلة يدها تماما عن الصحف المستقلة نتيجة انشغالها بقضايا أكثر أهمية مثل محاكمة المتمردين وتضميد جراح الحرب الأهلية وإعادة بناء الدولة. ولذلك تتمتع الصحف المستقلة مثل The African Champion، وصحيفة For Di People، وصحيفة Pool بدرجة كاملة من الحرية في انتقاد السياسيين وذلك بأصحابها ورؤساء تحريرها.

(1) Campbell, Joseph (1998), ***the Emergent Independent Press,*** Ibid. P.3.

المبحث الخامس

الضغوط الاقتصادية والتكنولوجية والمهنية

التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا

تواجه الصحافة المستقلة في أفريقيا عقبات كثيرة هي نفسها تقريبا ما تعاني منه الصحافة بصفة عامة في القارة السمراء منذ الاستقلال وخروج المستعمر. "فلا زالت الصحافة الأفريقية تعاني من نفس المشكلات التي كانت تعاني منها في فترة الاستقلال التي امتدت من نهاية الخمسينات وحتى مطلع السبعينات من القرن العشرين".[1] كما أن الصعوبات والقيود التي تواجه الصحافة الأفريقية على مدى الثلاثين عاما الأخيرة "لازالت هي نفسها: ضعف التمويل.. والمصادر المالية المحدودة.. وضعف القاعدة الإعلانية.. وضعف قاعدة القراء.. والتدريب المهني المحدود للصحفيين"[2].

مصادر التمويل:

يمكن حصر مصادر تمويل الصحف المستقلة في أفريقيا اذا استبعدنا التمويل الحكومي المباشر وغير المباشر الذي يمكن أن ينفي عن الصحف التي تحصل عليه صفة الاستقلال، في الأموال القليلة التي كونها بعض ناشري هذه الصحف في الخارج ومساعدات الأقارب والأصدقاء إلى جانب تجمع بعض الصحفيين لتأسيس صحيفة بطريقة تعاونية فيما بينهم.

ولا يمثل التوزيع مصدرا ذا قيمة كبيرة للصحف المستقلة في أفريقيا نتيجة انخفاض عدد القراء في بعض الدول وانخفاض المستوى التحريري والإخراجي للصحف وانخفاض القدرة الشرائية لدي القراء. ولا يضمن تحسن مستوى الصحف تحول التوزيع إلى أن يكون مصدرا أساسيا من مصادر تمويل الصحف المستقلة.

---

(1) Pratt, Cornelius (1993), " Fallacies and Failures of Communication for development: A commentary on Africa South of Sahara," *Gazette* 52, 2. P.93.

(2) Lansner, Thomas,(1996) "The Press in Africa: Peril and Progress," ***Freedom Review***(March- April 1996) pp. 43-46.

أما الإعلانات فبالإضافة إلى حرمان الصحف المستقلة التي تنتقد الحكومة من الإعلانات الحكومية، فإن الشركات الخاصة- على قلتها- في القارة الأفريقية تعزف عن منح إعلانات للصحف المستقلة خشية غضب الحكومات عليها. وكلما زاد انتقاد الصحيفة المستقلة للحكومة كلما زاد عزوف هذه الشركات عن الإعلان فيها.

وتعتمد بعض الصحف المستقلة على تمويل بعض الأحزاب السياسية والمرشحين السياسيين لها خاصة في فترات الانتخابات، إلا أن هذه الصحف غالبا ما تكون قصيرة العمر وتختفي بعد انتهاء الانتخابات وتوقف التمويل الحزبي أو الشخصي لها.

كما تعتمد الصحف المستقلة في بعض البلدان الإفريقية على المساعدات الخارجية من بعض المنظمات المعنية بتشجيع التحول الديمقراطي وحرية الصحافة في العالم الثالث. وعلي سبيل المثال فقد تلقت صحيفة L'Aurore الأسبوعية المستقلة في مالي مساعدات مالية من صندوق التنمية الأوروبي.

وتندر في القارة الأفريقية استثمارات الشركات الإعلامية متعددة الجنسية في مجال الصحافة المستقلة، فعلي خلاف ما حدث في شرق ووسط أوروبا بعد سقوط الحكم الماركسي لم تتجه الشركات الغربية إلى امتلاك أو إنشاء صحف في الدول الأفريقية لأسباب عديدة من بينها انعدام الجدوى الاقتصادية لهذه الصحف ورفض الدول الإفريقية القاطع السماح بدخول الاستثمار الأجنبي في الصناعات الإعلامية.

ويرد بعض المحللين تردى الأوضاع الإقتصادية للصحف المستقلة في أفريقيا إلى الحكومات التي نجحت في محاربة هذه الصحف بطرق جديدة لا تثير ضدها المجتمع الدولي ومنظمات حماية الصحفيين. فبدلا من القمع المباشر وإغلاق الصحف وسجن الصحفيين المستقلين اتجهت الحكومات إلى وسائل أخرى للقمع تتمثل في حجب الإعلانات عنها وخلق مشكلات مالية لها وأحيانا إجبار الصحف على التوقف عن الصدور بسبب نقص الأموال[١].

---

(1) Sorokobi, Yves, (2002), ***Attacks on the Press in 2002: Overview Africa***. Available online at: http://www.cpj.org/attacks02/africa02/africa.html

الضغوط الإقتصادية والتكنولوجية والمهنية:

يمكن تقسيم الصعوبات الإقتصادية التي تواجهها الصحف المستقلة في أفريقيا إلى نوعين أساسين، هما:

- صعوبات إقتصادية وتكنولوجية ناتجة عن تدخل حكومي لحرمانها من الإعلانات الحكومية القليلة، والتضييق عليها في التوزيع ومنع شرائها للإدارات الحكومية. وتشير بعض التقارير في هذا الصدد إلى إتباع الحكومات أساليب بارعة لإجبار الصحف المستقلة على التوقف عن الصدور، على رأسها قصر الإعلانات الحكومية على الصحف الحكومية التي تتمتع بوضع احتكاري كامل في هذا المجال.
- صعوبات ناتجة من الأوضاع الإقتصادية العامة المتردية في بعض البلدان الأفريقية. وتقدم تجربة الصحافة المستقلة في سيراليون نموذج على النوع الثاني من هذه الصعوبات. فالصحف المستقلة القليلة التي ظهرت في هذه الدولة في عام ٢٠٠٢ وبعد نحو عقد من الحرب الأهلية الطاحنة التي اندلعت في ١٩٩١ وراح ضحيتها نحو ٥٠ ألف شخص، تعاني من مشكلات إنتاجية عديدة يبدو أن الحكومة التي تم انتخابها في مايو ٢٠٠٢ ليس لها دخل فيها. وتتمثل هذه الصعوبات في "عدم توافر المطابع الحديثة والاعتماد على مطابع قديمة كثيرة الأعطال وأجهزة كمبيوتر متهالكة"[(١)]

والواقع أن الصعوبات المالية التي واجهتها الصحف المستقلة الجديدة في أفريقيا كانت العامل الرئيسي في توقف عدد كبير من هذه الصحف عن الصدور ولا زالت تهدد القائمة منها حتى اليوم. فقد توقفت بعض الصحف المستقلة عن الصدور بعد صدور عدد واحد منها فقط. ويمكن تفسير هذا الأمر الذي تكرر مع أكثر من صحيفة وفي أكثر من دولة إفريقية بأن المناخ الجديد من الحرية الذي شهدته بعض الدول الأفريقية قد أغري بعض الصحفيين إلى المسارعة بإصدار صحف مستقلة عن الحكومة فور حدوث التغير السياسي في بلادهم دون التفكير في مسألة التمويل والموارد المالية اللازمة لاستمرار هذه الصحف، الأمر الذي أدي إلى الاختفاء السريع لبعض من هذه الصحف.

---

(1) Sorokobi, Yves, (2002), ***Identity Crisis***. Available online at: http://www.cpj.org/Briefings/2002/sierra_leone_aug02.html

ويميل بعض الباحثين إلى التقليل من شأن الصعوبات المالية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا كعامل من عوامل إخفاق هذه الصحافة. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن هناك نماذج ناجحة وصحف مستقلة استطاعت التغلب على العقبات الإقتصادية والاستمرار في العمل. وتشهد الصحف المستقلة في بعض الدول الأفريقية مثل ساحل العاج وبنين ازدهارا إقتصاديا شجعها على التحول من الدورية الشهرية والأسبوعية إلى الدورية اليومية. وقد استطاعت بعض الصحف المستقلة التقليل من الصعوبات المالية التي تواجهها عن طريق التعاون مع الصحف المماثلة في الدول المجاورة، وعلي سبيل المثال كانت صحيفة Haske الأسبوعية التي تصدر في النيجر تُطبع في مطابع صحيفة La Gazette du Golfe في بنين بتكلفة منخفضة.

وقد نجحت بعض الصحف أيضا في الاستفادة من المزايا التي منحتها الحكومة إياها دون أن تفقد استقلالها ودون أن تتحول إلى أدوات للحكومات. فالصحف المستقلة في بنين تستفيد بالخفض الذي قررته الحكومة لأجور البريد والهاتف والطباعة والإعفاءات الضريبية والجمركية. كما حصلت الصحف المستقلة في السنغال في عام ١٩٩٠ على إعانات مالية مباشرة بلغت ٣٣ ألف دولار لكل صحيفة لمواجهة تزايد تكلفة الطباعة[1]. ورغم اعتبار البعض هذه المساعدات وسيلة اتبعتها الحكومة لدفع الصحف المستقلة إلى معسكر الصحف الحكومية، إلا أن البعض الآخر يرى أن الصحافة المستقلة في السنغال لا زالت- رغم قبولها المساعدات الحكومية- من أقوى الصحافة المستقلة في أفريقيا جنوب الصحراء، كما أن تقديم مساعدات حكومية للصحف لا يعني بالضرورة تخليها عن استقلالها حتى أن حكومات بعض الدول الديمقراطية مثل فرنسا والسويد تمنح الصحف مثل هذه المساعدات المباشرة.

- عدم توافر الكوادر البشرية المؤهلة، إذ مثل نقص الخبرة لدي الصحفيين وربما لدي رؤساء تحرير الصحف المستقلة عائقا كبيرا أمام مصداقية الصحف المستقلة، "إذ كان الصحفيون كثيرا ما يوجه إليهم اللوم نتيجة التقارير غير الصحيحة التي ينشرونها في هذه الصحف".[2]

[1] Carver, Richard. (1991) ***Truth from Below: The Emergent Press in Africa.*** London: International Center Against Censorship. P.56.

[2] Sandbrook, Richard (1996), "Transitions Without Consolidation". Ibid. pp. 81-85.

وبصفة عامة فإن محرري الصحف المستقلة الأولي في غالبية البلدان الأفريقيـــة التي ظهرت فيها هذه الصحف كانوا قليلي الخبرة بالعمل الصحفي والعمل الإداري أو بدون خبرة سابقة في هذين المجالين على الإطلاق. وقد لاحظ أحـــد البـــاحثين[١] أن الأشخاص الذين أسند إليهم تدريب هؤلاء الصحفيون من قبل مؤسسات وهيئات دولية لم يكن لديهم التأهيل الصحفي اللازم للقيام بهذا العمل.

[1] Martin, Robert (1992), "Africana: Building Independent Mass Media in Africa," ***Journal of Modern African Studies*** 30, 2. p. 337.

خاتمة

الإجابة عن تساؤلات البحث:

١. ما العوامل التي ساهمت في ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟.

خلص الباحث إلى أن ظهور الموجة الثانية من الصحافة المستقلة في الدول الأفريقية لا يمكن إرجاعه إلى عامل أو سبب واحد، وإنما يعود إلى أكثر من عامل نوجزها فيما يلي:

- اشتراك العاملين الخارجي والداخلي مجتمعين في ظهور الصحافة المستقلة في أفريقيا. فقد كشف البحث أن تردى الأوضاع الداخلية وفشل خطط التنمية بالاضافة الى انهيار الاتحاد السوفيتي وتحول دول الكتلة الاشتراكية في شرق ووسط أوروبا إلى الديمقراطية تضافرت معا كعوامل داخلية وخارجية لتقود إلى تغيرات سياسية في بعض دول القارة الافريقية وأدت فيما أدت اليه إلى ظهور الصحف المستقلة عن الحكومات.
- الميراث التاريخي للصحافة المستقلة في بعض دول القارة، إذ تركز ظهور الصحافة المستقلة في بداية الموجة الثانية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات في الدول التي كانت قائمة بها من قبل أثناء الفترة الاستعمارية مثل بنين والكاميرون وغانا والسنغال، ومع هذا فإن الميراث التاريخي لم يكن له أي دور يذكر في ظهور الصحافة المستقلة في بعض دول أفريقيا جنوب الصحراء، علي أساس أن دولا أخرى لم يكن لها سابق تجربة في الصحافة المستقلة قد شهدت مولد وازدهار الصحافة المستقلة في الفترة نفسها.
- برامج تعليم الصحافة في بعض الدول الأفريقية وبرامج تدريب الصحفيين التي نظمتها منظمات غربية، التى يعود إليها تشجيع الأجيال الجديدة من الصحفيين الأفارقة على إصدار الصحف المستقلة أو العمل فيها.

- تأثير الصحف الأجنبية التي سمحت بعض الحكومات الأفريقية بدخولها البلاد على تطلعات الصحفيين الوطنيين وتزايد رغبتهم في إصدار صحف مستقلة عن الحكومة على النمط الغربي.
- سفر بعض الصحفيين إلى الخارج للتدريب أو العمل وعمل البعض الآخر كمراسلين للصحف الأجنبية.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة في أفريقيا يمكن أن تظهر وتستمر رغم الفترات الطويلة من القمع والحكم السلطوي، كما أنها يمكن أن تظهر وتستمر بصرف النظر عن تاريخ الدولة في التعامل مع الصحافة، يؤكد هذا أن هذه الصحف قد ظهرت في دول كانت سلطوية ودول كان يحكمها حزب واحد ودول كانت خاضعة للحكم العسكري، كما ظهرت في دول كانت مستعمرات فرنسية سابقة ودول كانت مستعمرات إنجليزية سابقة. وخلصت الدراسة أيضا إلى أنه ليس هناك شروطا مسبقة لظهور واستمرار الصحافة المستقلة عن الحكومات في أفريقيا، سوى حدوث تحول سياسي نحو الديمقراطية.

٢. ما طبيعة الدور الدولي وأبعاده في تشجيع ظهور واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

كشفت الدراسة اهتمام المجتمع الدولي بظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا في السنوات الأولي من عقد التسعينات، إذ سارعت منظمة اليونسكو إلى إعلان تشجيعها ودعمها للظاهرة من خلال إعلان وندهوك الذي صدقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة واعتبرت يوم إعلانه يوم عالميا لحرية الصحافة.

ورغم هذا الاهتمام إلا أن الدور الدولي في تشجيع الصحافة المستقلة في أفريقيا تميز بالضعف الشديد وذلك للأسباب التالية:

- أنه اقتصر على دعم محدود للصحافة المستقلة لم يتخط حاجز عقد بعض الدورات التدريبية للصحفيين وورش العمل المعنية بإدارة الصحف الصغيرة والمتوسطة، في إطار برنامج اليونسكو للصحافة المستقلة.
- لم يهتم بتفعيل غالبية بنود إعلان وندهوك خاصة ما يتعلق منها بتقديم الدعم المادي والتقني للصحف المستقلة في أفريقيا.

- لم تتابع اليونسكو تنفيذ ما دعي إليه الإعلان من إنشاء النقابات والجمعيات الصحفية في الدول الأفريقية.
- لم تضع اليونسكو الآليات اللازمة للضغط على الحكومات الأفريقية لوقف التمييز الذي تمارسه ضد الصحف المستقلة لصالح الصحف الحكومية.

وقد تراجع اهتمام اليونسكو بالصحافة المستقلة في السنوات الأخيرة مع تراجع الإهتمام العالمي بالقارة الأفريقية في مطلع الألفية الجديدة نتيجة عوامل متعددة من بينها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ واتجاه أنظار الغرب إلى مناطق أخرى من العالم أكثر سخونة.

٣. ما أبرز سمات الموجة الجديدة من الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

مع الأخذ في الاعتبار بخصوصية ظاهرة الصحافة المستقلة في كل دولة لأفريقية على حدة فإن الدراسة قد كشفت عن عدد من السمات المشتركة في ظاهرة الصحافة المستقلة وهي:

- تتسم الصحف المستقلة في غالبية دول القارة بصغر الحجم وضعف الامكانات المادية والبشرية.
- يغلب علي الصحف المستقلة في أفريقيا الدورية الأسبوعية وتمتد دورية بعضها إلى نصف شهرية وشهرية.
- تعانى الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من عدم الانتظام في الصدور.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من تواضع المستوى الفني، حيث يغلب على هذه الصحف الفقر التقني والتحريري.
- تعاني الصحف المستقلة في غالبية دول القارة من تقلب التوجهات السياسية والإيديولوجيات
- تتوجه الصحف المستقلة في غالبية دول القارة إلى النخبة المتعلمة، ولا تصل في الغالب إلى القواعد الجماهيرية.

٤. ما طبيعة وحدود دور الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

خلصت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة تُعد متغيرا مستقلا ومتغيرا تابعا في نفس الوقت في التحول الديمقراطي في دول أفريقيا، وأنها كانت سببا ونتيجة لهذا التحول علي أساس أن ظهور الصحف المستقلة عن الحكومة جاء نتيجة للمناخ السياسي الجديد الذي تشكل في إطار النضال من أجل الديمقراطية، وبعد ظهورها أصبحت هذه الصحف قوة أساسية بارزة في هذا النضال.

٥. ما الضغوط الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

كشفت الدراسة أن الصحف المستقلة في أفريقيا لا زالت تتعرض للعديد من الضغوط الحكومية القانونية وغير القانونية التي يمكن حصرها فيما يلي:

- نصوص قوانين الصحافة والنشر التي تجرم توجيه النقد للحكومة أو المسئولين السياسيين، وتضع قيودا على إصدار الصحف المستقلة دون الحصول على ترخيص مسبق من الحكومة.
- ملاحقة الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين قضائيا وتوجيه النظام القضائي غير المستقل عن الدولة إلي إصدار أحكام قاسية عليهم.
- إغلاق الصحف المستقلة لمدد متفاوتة وبأوامر إدارية بدعوى نشرها ما يشوه سمعة الدولة أو ما يسئ إلى القيادات الحاكمة.
- حرمان الصحف المستقلة من الإعلانات والإعانات الحكومية والتضييق عليها في الطباعة والتوزيع.
- الانتقادات العلنية التي يوجهها كبار المسئولين بما فيهم رؤساء الدول إلى الصحف المستقلة والصحفيين المستقلين والطعن في موضوعيتهم.

٦. ما الضغوط غير الحكومية التي تتعرض لها الصحافة المستقلة في أفريقيا؟

انتهت الدراسة إلى أن الصحافة المستقلة في أفريقيا لا تعاني من الضغوط الحكومية فقط ولكنها تتعرض لضغوط ربما أشد ليست الحكومات طرفا فيها مثل تدني المستوى التحريري والإخراجي لها نتيجة نقص الامكانات البشرية والمادية، بالإضافة عن تخلفها في مواكبة التطورات التكنولوجية في مجال الصحافة المطبوعة نتيجة

نقص الامكانات التكنولوجية. ولم تنجح البرامج التدريبية التي نظمتها منظمات دوليـــة في تقليل الفجوة في التدريب والتأهيل الصحفي نظرا لقلة هذه الدورات واعتمادها على مدربين في حاجة إلى تدريب. كما لم تنجح برامج دعم الصحافة المستقلة نتيجة ضآلة الاعتمادات المالية المخصصة لها.

خاتمة:

رغم النجاح الذي تحقق لبعض تجارب الصحافة المستقلة في أفريقيا خلال السنوات الماضية إلا أن غياب الضمانات الخاصة باستمرار هذا النوع من الصحافة يلقي بظلاله على مستقبلها في معظم أنحاء القارة، الأمر الذي يؤكد أن قيام واستمرار الصحافة المستقلة في أفريقيا عملية معقدة وليست سهلة كما قد يتصور البعض. ويمكن القول إن الصحافة المستقلة في أفريقيا تخوض نضالا شرسا من أجل الحياة ضد كل من يحاول التحكم فيها سواء بشكل علني أو سري.

كما أن بقاء هذه الصحافة مستقلة من الناحية الاقتصادية يثير شكوكا كثيرة في ظل عدم كفاية الأسواق لارتفاع نسب الأمية وتدني دخول المواطنين، وسيطرة الحكومات على أدوات الإنتاج الصحفي مثل المطابع ووسائل التوزيع وضعف بنية المواصلات، بالإضافة إلى النقص الحاد في الكوادر الصحفية والإدارية المحترفة والمدربة.

إن الصعوبات والعوائق الإقتصادية التي تواجهها الصحافة المستقلة في أفريقيا لا تقل خطورة عما يمكن أن تواجهه من صعوبات سياسية، فالظروف الإقتصادية غير المواتية يمكن أن تتساوى بالنسبة لمستقبل الصحافة المستقلة مع انعدام الديمقراطية وعدم وجود حماية قانونية لحرية الصحافة.

لقد فشل المجتمع الدولي الذي طالبه إعلان وندهوك بتقديم الدعم للصحافة المستقلة في أفريقيا في تنفيذ تعهداته، رغم تأكيد البيان على أهمية هذه الصحافة وضرورتها لنجاح أية جهود تستهدف تحقيق تقدم إقتصادي وسياسي وتحقيق الاستقرار في دول القارة. فقد ظل ظهور ونمو الصحف المستقلة مرهونا برغبة الأنظمة السياسية وتقلباتها ولم تصبح تقليدا يمكنه أن يتجاوز هذه الرغبات والتقلبات. واقتصر الدعم الدولي كما رأينا على بعض الدورات التدريبية للصحفيين وهي دورات لا تأخذ في اعتبارها خصوصية التجربة الأفريقية في الصحافة والفوارق الجوهرية بينها وبين الصحافة الغربية.

لقد أوضح البحث أن استمرار ظاهرة الصحافة المستقلة في أفريقيا يتطلب ظروفا مواتية داخلية وخارجية تدعم التحول الديمقراطي في القارة السمراء وهو التحول الذي لا يمكن للصحافة المستقلة الحياة والازدهار بدون اكتماله.



القسم الثانى

المبحث السادس

صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى(*)
إشكاليات وتساؤلات

---

* أجرت الدراسة: أ.د. عواطف عبد الرحمن – أستاذه الصحافة والإعلام بكلية الإعلام جامعة القاهرة



مقدمة:

لقد شهدت العقود الأخيرة ظهور عدة تيارات ورؤى نقدية عن دور الإعلام والاتصال فى مجتمع المعلومات إذ أصبح يشغل موقعاً مركزياً فى الاستراتيجيات والسياسات التى تستهدف إعادة بناء المجتمعات فضلاً عن أدواره الحاسمة فى تدويل أو عولمة الاقتصاد والثقافة من خلال الإسهام فى تشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمى بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضارى بين الثقافات المختلفة. ولعل اخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام فى تشكيل أنماط معينة من السلوك الإنسانى وتهميش أنماط أخرى من خلال لغة الصورة ورموزها وفى إطار هذا السياق تبرز أهمية إلقاء الضوء على الأدوار التى يقوم بها الإعلام المصرى سواء فى تشكيل الصورة الذهنية عن إفريقيا لدى الرأى العام أو تحقيق التواصل الثقافى ودعم التعاون الاجتماعى والسياسى والاقتصادى بين النظامين الإقليميين العربى والإفريقى.

وهناك حقيقة محورية كشفت عنها وأكدتها الدراسات التى أجريت عن اتجاهات الإعلام المصرى ومستوى استجابته وتفاعله مع القارة الإفريقية والتحديات التى تواجه شعوبها مضافاً إليها الخبرة المتراكمة عن المشاركة فى المؤتمرات ومتابعة الأنشطة الأكاديمية والإعلامية التى قامت بها منظمة الوحدة الإفريقية ومجلس التعليم الإعلامى الإفريقى. تشير هذه الحقيقة إلى أن اهتمام الإعلام المصرى بالقارة الأفريقية يتواكب صعوداً وهبوطاً مع اهتمام ومواقف القيادة السياسية الحاكمة إذ يتحدد موقع أفريقيا على أجندة هذه القيادة وصناع القرار التنفيذيين فى مصر فى ضوء الرؤية الاستراتيجية والتحالفات السياسية والمصالح السياسية والمصالح الاقتصادية الإقليمية والدولية – وتفصيلاً لذلك نرصد ما يلى:-

أولاً: لقد تصاعد الاهتمام الإعلامى المصرى فى حقبة الستينيات مصاحباً ومتواكباً مع المد التحررى فى كل أنحاء أفريقيا وعلاقات التضامن الواعى بين زعماء التحرر الوطنى فى هذه المرحلة والذى تجسد فيما عرف بمجموعة الدار البيضاء (عبد الناصر – نكروما – سيكوتورى – موديبوكيتا) عام ١٩٦١ وقد شهدت هذه الحقبة اهتماماً إعلامياً مكثفاً بالشئون الأفريقية تمثل فى الكتابات الصحفية التى شملت

التغطية الإخبارية والتحقيقات والأحاديث الصحفية والتعليقات وكتاب الأعمدة كما اهتمت الصحف المصرية آنذاك بتكوين كوادر متخصصة فى الشئون الأفريقية وبدأت فى تلك الفترة الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا فى بث برامجها من القاهرة. وقد لعب الإعلام المصرى دوراً تاريخياً بارزاً فى مساندة حركات التحرر الأفريقية سواء من خلال الإعلام المقروء أى الكتابة عن القضايا السياسية والثقافية الأفريقية أو البرامج الإذاعية الموجهة إلى الشعوب الإفريقية.

ثانيا: شهدت حقبة السبعينيات انحساراً تزايد حتى بلغ ذروته فى الثمانينيات والتسعينيات حتى بتنا لا نجد متخصصين إعلاميين فى الشئون الأفريقية فى معظم الصحف المصرية كما انحصر الاهتمام فى الإعلام المسموع والمرئى بالقضايا الأفريقية فى التغطية الإخبارية لإحداث القارة خصوصاً ما يتعلق بالكوارث والمجاعات ومشاكل الحدود والانقلابات العسكرية وتراجعت الكتابات الجادة والتحليلات العميقة عن قضايا التنمية وسائر القضايا الثقافية والإنسانية فى القارة الأفريقية وذلك باستثناء صحيفة الأهرام التى كان لها السبق فى حقبة الستينيات فى تخصيص قسم للشئون الأفريقية ثم استعادت اهتمامها فى التسعينيات بتعيين مراسلين دائمين لها فى جنوب أفريقيا. وللأسف أغلقت مكتبها فى العام الماضى دون أسباب معلنة.

ثالثاً: اقتصر تراث الاهتمام الإعلامى بافريقيا خلال حقبتى الثمانينات والتسعينيات على تغطية العلاقات الرسمية مثل زيارات الرؤساء والحكام الأفارقة والاتفاقيات الحكومية واجتماعات منظمة الوحدة الأفريقية وتوارت المجالات الأخرى سواء الثقافة والفن أو الإبداعات الأفريقية وقضايا البيئة وحقوق الإنسان الإفريقى عن أنظار الإعلاميين المصريين. ومما يجدر ذكره أن الأحداث الخطيرة التى شهدتها القارة خلال التسعينيات مثل انهيار الصومال ومذابح رواندا وبوروندى لم تلق العناية الإعلامية الواجبة فلم نسمع أو نقرأ عن وجود صحفيين أو إعلاميين مصريين بمواقع الأحداث التى تدخل ضمن الدائرة الإقليمية الأولى للأمن القومى المصرى.

رابعاً: يفتقد الإعلام المصرى وجود كتاب وإعلاميين مهتمين بالثقافات والحضارات الأفريقية ولذلك نادراً ما نجد أى تغطية إعلامية للأنشطة الثقافية والبيئية بالقارة رغم تنوعها وتعددها فقد جاء الاهتمام الإعلامى بالجوانب السياسية على حساب الجوانب الثقافية تماماً.

خامساً: تشير نتائج الدراسات العديدة التى أجريت عن صورة إفريقيا فى الإعلام المصرى إلى تراجع موقع القارة وقضاياها السياسية والاقتصادية على أجندة وأولويات الإعلام المصرى فقد أوضحت هذه الدراسات ضآلة حجم الاهتمام الإعلامى سواء ما يتعلق بالتغطية الإخبارية للأحداث الأفريقية أو مواد الرأى ويلاحظ بصفة عامة غلبة الطابع السلبى على المعالجات الإعلامية للقضايا والأحداث التى تقع بالقارة وغياب التحليلات الموثقة بالمعلومات. وإجمالاً يتسم الخطاب الإعلامى المصرى عن الدول الأفريقية بالآنية والظرفية والاقتصار على الأحداث السياسية المتفجرة مثل الحروب والصراعات الأهلية والمجاعات.

وتتم التغطية الإعلامية عبر وكالات الأنباء الغربية والمحطات التليفزيونية العالمية المعروفة بتحيزاتها وعدم موضوعيتها تجاة القارة الأفريقية وشعوبها.

سادساً: كما لوحظ أن بعض الكتابات الصحفية تتسم بروح التعالى وذلك بالحديث عن ريادة الإعلام والثقافة المصرية فى القارة فضلاً عن استخدام بعض النقاد الرياضيين صفات غير لائقة تنم عن الجهل وسوء التقدير وعدم الإلمام بالتاريخ الحضارى والثقافى للقارة الأفريقية مما يثير ردود أفعال عدائية وسلبية لدى الأفارقة وفى السينما والمسلسلات التليفزيونية وفى بعض الأعمال الدرامية القليلة التى اعتمدت على الخلفية الإفريقية لوحظ غلبة الجهل وسوء الفهم والاستخفاف والتركيز على الفقر والأمية لدى الشعوب الأفريقية وتجاهل التراث الثقافى والحضارى الثرى الذى تتميز به المجتمعات الأفريقية.

ولعل أخطر ما يهدد مصداقية وموضوعية الصورة التى يروجها الإعلام المصرى عن أفريقيا يكمن فى اعتماد وسائل الإعلام المصرية المقروءة والمرئية والمسموعة على وكالات الأنباء الغربية وشركات التليفزيون العالمية ويعزى ذلك إلى عدم وجود مراسلين سواء للصحف أو الفضائيات المصرية باستثناء جريدة

الأهرام التى ظلت محتفظة بمكتبها فى جنوب أفريقيا ثم قررت إغلاقه فى الفترة الأخيرة دون أسباب معلنة.

سابعاً: رغم عضوية مصر فى بعض مؤسسات العمل الإعلامى الجماعى على مستوى القارة مثل مجلس الإعلام الأفريقى وإتحاد الإذاعات الأفريقية لوحظ ضآلة المردود الثقافى والإعلامى لنشاط المكاتب الإعلامية التى تمثل الهيئة العامة للاستعلامات إذا نادراً ما كنا نجنى ثمار الجهد المفترض أن تقوم به لتصحيح صورة إفريقيا لدى المواطن المصرى من خلال تنظيم معارض إعلامية أو ندوات ثقافية مشتركة مع الأفارقة.

ومما يجدر ذكره أن الحزب الحاكم شدد فى ورقة (مصر والعالم ٢٠٠٣) على ضرورة أن تحتل أفريقيا أولوية متقدمة فى السياسة المصرية لأنها تمثل العمق الأمنى والاستراتيجى خصوصاً ما يتعلق بدول حوض النيل والقرن الإفريقى وقد تميزت هذه الورقة بدقة التشخيص والتوصيف الواعى للعلاقات المصرية الأفريقية والتحديات التى تواجه هذه العلاقات فى المجالات الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية والثقافية. ومن أبرز التحديات التى أشارت إليها الورقة شيوع العلاقات المغلوطة والمشبوهة المتبادلة على الجانبين المصرى من ناحية والإفريقى من الناحية الأخرى الأمر الذى يدعو إلى إيلاء المزيد من العناية لتصحيح هذه الصورة من خلال تزويد كل من المناهج الدراسية ووسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة بجرعات معلوماتية إضافية وشاملة عن القارة وحضاراتها ونضال شعوبها من أجل النهوض والتحرر.

وإذا كان هذا الاهتمام من جانب الحزب الحاكم قد رفع إيقاع التفاؤل لدى المهتمين بالشئون الأفريقية إلا أن الفيصل النهائى فى هذه القضية المحورية كان ولا يزال يرتهن بضرورة اقتران القول بالفعل واعنى بهذا ضرورة حشد كل الجهود على المستويين السياسى والثقافى لتحقيق التواصل بين مصر وقارتها بصورة جادة.

ولكن من المثير للدهشة أنه وفى الوقت الذى أبدت فيه القيادة السياسية للحزب الحاكم هذا الاهتمام بقضية العلاقات المصرية الأفريقية فوجئنا بأن الرئيس السابق للهيئة العامة للاستعلامات قد قرر إغلاق المكاتب الإعلامية فى كل من كينيا والسنغال وتخفيض مكتب السودان وبذلك لم يبق سوى ثلاثة مكاتب إعلامية فى أفريقيا تشمل

جنوب أفريقيا وأثيوبيا ونيجيريا علاوة على دول الشمال الإفريقى (تونس – الجزائر – المغرب) والتى تدخل ضمن الدائرة العربية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدر وزير الإعلام قراره التاريخى بإلغاء الإذاعات الموجهة إلى أفريقيا.

موقف الرأى العام:

كشفت الدراسات عن الصورة السلبية السائدة لدى الرأى العام المصرى عن أفريقيا والتى نتجت عن الظروف السيئة التى تسيطر على حياة الأفارقة وتتمثل فى عدم الاستقرار السياسى والعوز الاقتصادى والتدهور الأخلاقى والبؤس الإنسانى ويعزى ذلك إلى أن معظم قطاعات الرأى العام المصرى يستقون آراءهم وانطباعاتهم عن أفريقيا من خلال وسائل الإعلام والتى تعتمد على المصادر الغربية المعروفة بتحيزها ضد أفريقيا أما النخب المثقفة التى تتيح لها ظروفها ومواقعها الوظيفية إمكانية التعرف على الصورة الحقيقية لأفريقيا فهى أيضاً لا تهتم إلا بالإطار العام الذى يتمحور حول الأوضاع السياسية ويتجاهل الجوانب الأخرى التى لا تخلو من إيجابيات كثيرة فى الثقافة والفلسفة والفن والشعر ومنظومة القيم الاجتماعية والأدب والبحث العلمى. هنا أود أن أشير إلى أن صورة مصر والمواطن المصرى فى الإعلام الأفريقى أفضل كثيراً من صورة أفريقيا فى الإعلام المصرى وذلك استناداً إلى الدور الرائد الذى قامت به مصر فى مساندة حركات التحرر الأفريقية خلال الحقبة الناصرية فضلاً عن اهتمام العديد من الدول الأفريقية بالحضارة المصرية القديمة والإنجازات المعاصرة فى مجال العلم والثقافة المصرية ويرنو معظم الشباب الإفريقى سواء فى مناطق الانجلوفون أو الفرانكوفون إلى زيارة مصر والتعرف على منجزاتها الحضارية وشعبها المتميز والاقتراب من علمائها والتفاعل مع مفكريها ومبدعيها وتؤكد ذلك بعض الدراسات القليلة التى أجريت عن صورة مصر فى الإعلام الأفريقى والتى تناولت الإعلام الفرانكفونى فى الكاميرون والسنغال والإعلام الأفريقى الناطق بالإنجليزية فى كينيا وزيمبابوي ونيجريا وجنوب أفريقيا وناميبيا.

وفى النهاية نخلص إلى التأكيد على ضرورة إعداد استراتيجية مصرية تشمل السياسات والخطط والبرامج التنفيذية للتفاعل والتواصل مع الدول الأفريقية وأعنى بذلك الاهتمام بتعيين مراسلين للصحف والإعلام المرئى"والمسموع وتطوير أداء

المكاتب الإعلامية والثقافية ومضاعفة إعدادها بحيث يشعر الـرأى العـام المـصرى والإفريقى بمردود إيجابى للجهد الوظيفى الذى تقوم به هذه المكاتب وهنا نشير إلـى ضرورة الاهتمام بتثقيف وتأهيل الكوادر الدبلوماسية والإعلامية والثقافية العاملة فـى أفريقيا فضلاً عن أهمية تشجيع الجمعيات الأهلية التى تعمل فى مجال حقوق الإنـسان والمرأة والشباب على مد جسور التواصل إلى الجمعيات المماثلة المنتشرة فى القـارة وهنا لا يمكن إغفال الدور الذى قامت به الجمعية الأفريقية التى قامت بدور تـاريخى فذ فى مساندة استقلال معظم الدول الافريقية ولا تزال تواصل دورها التنـويرى فـى نشر الوعى بالقضايا الإفريقية.

المبحث السابع

صورة أفريقيا فى وسائل الإعلام المصرية ولدى الشباب الجامعى(*)

دراسة مسحية

* أجريت الدراسة: أ.د. ليلى حسين السيد – كلية الآداب قسم الإعلام – جامعة حلوان.



مقدمة:

تؤكد الحقائق والظروف الراهنة أهمية أفريقيا بالنسبة للعرب، حيث أن نسبة ٧٢% من مساحة الوطن العربى تقع فى القارة الأفريقية، وتوجد بها عشر دول عربية أعضاء فى جامعة الدول العربية إضافة إلى أن نصف سكان أفريقيا من المسلمين المتأثرين بالثقافة العربية، علاوة على ذلك كله فإنها تمثل قوة كبيرة عند التصويت فى المجتمع الدولى بفضل عدد دولها الكبير، كل ذلك يجعل من طبيعة الأمر التأكيد على أهمية أفريقيا فى الحاضر والمستقبل.

وتعد الصورة الذهنية أو الصورة الذاتية عن الآخر إحدى أهم القضايا التى عنيت بها الأوساط الأكاديمية فأفردت لها عشرات الدراسات التى تناولت صورة دول وشعوب معينة لدى الآخرين، بالإضافة إلى عشرات الدراسات التى بحثت فى صورة الدولة والشعوب كما تعكسها وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وراديو وتليفزيون.[١]

وقد اختلفت صورة أفريقيا لدى الباحثين والمفكرين العرب الذين يمكن تقسيمهم إلى فريقين، يرى الأول منهما أن صورة أفريقيا صورة سلبية ومشوهة وينقسم أصحاب هذا الرأى إلى قسمين أولهما يرى أن الصورة سلبية فى مجملها عبر الامتداد التاريخى للتراث العربى.[٢] وثانيهما يرى أن صورة أفريقيا سلبية فى جانب من أجزائها مثل الجانب العنصرى فى نظرة الانسان العربى إلى الأفريقى الأسود وإنها لا تخلو من نظرة العنصرية فى أغلبها. أما أصحاب الفريق الثانى فيرون أن الصورة الخاصة بكل من أفريقيا والعرب مشوهة وسلبية، حيث يرى أصحاب هذا الفريق أن صورة الإنسان الأفريقى فى الذهن العربى وصورة الإنسان العربى فى الذهن الأفريقى

---

(١) الخضر بن عبد الباقى محمد (٢٠٠٢). الصورة الذهنية لأفريقيا والأفارقة عند العرب. "دراسة مسحية لعينة من الجاليات العربية فى القاهرة". *رسالة ماجستير غير منشورة*. (جامعة الدول العربية- معهد البحوث والدراسات العربية. قسم الدراسات الإعلامية، ص ص٢-١٠.

(٢) حلمى شعراوى (١٩٩٩) صورة الأفريقى لدى المثقف العربى – محاولة تخطيطية لدراسة ثنائية قبول / استبعاد *صورة الآخر ناظراً ومنظوراً إليه*، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط١) ص٢٢٩-٢٣٩.

صورتان مشوهتان.[1] فعلى الرغم من قلة المعلومات المتوفرة عن الـدول الأفريقيـة وصغر حجمها إلا أن وسائل الإعلام الغربية ووكالات الأنباء العالمية الكبرى لا تنقل عنها إلا المظاهر السلبية والاضطرابات والكوارث، ومعظم الـصور التـى تقـدمها مشوهة ومتحيزة وغالباً ما تحمل معانى الاستعلاء والتفرقة العنصرية مما أثـر فـى الشخصية المعنوية للقارة الأفريقية وشعوبها فى أذهان الآخرين.[2] وبالطبع فإن وسائل الإعلام العربية – ومن بينها المصرية – عانت ولا تزال تعانى من سلبيات تلك الأفكار الخاطئة والشائعة عن القارة الأفريقية. ويطالب أصحاب هذا الفريق وسـائل الإعـلام العربية والأفريقية بضرورة التحرك لـشرح الارتبـاط المـصيرى بـين الطـرفين بموضوعية وإسهاب لإزالة التزييف والتشويه لدى بعضهم البعض.[3]

مشكلة البحث وأهميتها:

تعد وسائل الإعلام الجماهيرية مصادر ذات تأثير كبير فى عملية تكوين ورسـم الصورة الذهنية من خلال ما تقدمه من مواد إعلامية متنوعة. ويمـارس التليفزيـون دوراً رئيسياً فى هذه العملية يفوق وسائل الإعلام الأخرى وذلك لطبيعته وخصائـصه وقدرته على أن يصنع القرار ويضعه فى قالب خاص يسهُل فهمه، وقد أكدت نتـائج العديد من الدراسات والبحوث فى مجال علوم الاتـصال أن التليفزيـون يـستطيع أن يضيف أبعاداً أخرى على الصورة الذهنية مما قد لا يتوافر لوسائل الإعلام الأخرى.[4]

ورغم ذلك فوسائل الإعلام الجماهيرية – خاصة الصحافة والتليفزيون – تستطيع التأثير على الصورة المترسخة فى الأذهان ويمكن تحديـد تـأثير وسـائل الإعـلام الجماهيرية على طبيعة التصورات الذهنية فى العديد من الاحتمالات.

(أ) أن تبقى الصورة كما هى دون أن تتأثر بالرسالة الإعلامية.

(ب) أن يحدث تغيير أساسى للصورة بشكل جذرى.

---

(1) الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص٤٧–٤٨.

(2) Ovi, Cyril. (2000) Globalised Images of Environmental Security in Africa, ***Review of Arican Political Economy*** (Vol. 27, No. 83, March) pp. 46-54.

(3) الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص٤٨.

(4) Newhagen, John E. (1993) Effects of Compelling Negative Television News Images on Memory. ***Journal of Communication***. (Vol. 42, No. 2, Spring) p. 25.

(جـ) أن يدعم ويقوى الصورة الموجودة وذلك عندما ينتقى المستقبل ما يتفق مع ما لديه من صور ومعتقدات.

(د) أن يضيف جوانب جديدة إلى الصورة القائمة.

(هـ) أن يرسخ التأثير الصورة القائمة ويؤكد صحتها.[١]

وبناء على ذلك تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على الصورة الإعلامية التى تقدمها وسائل الإعلام المصرية (صحيفة الأهرام اليومية - النشرة الرئيسية بالقناة الأولى بالتليفزيون المصرى) عن أفريقيا غير العربية، كما تسعى أيضاً إلى التعرف على الصورة الذهنية لأفريقيا غير العربية لدى الشباب الجامعى.

وتنبع أهمية المشكلة مما يأتى:

١- تزايد الأهمية السياسية والإستراتيجية للدول الأفريقية فى الآونة الأخيرة.

٢- أن مجال دراسة الصورة الخاصة بأفريقيا غير العربية لا يزال جديداً فى مجال علوم الاتصال.

٣- لمعرفة الصورة الذهنية لأفريقيا غير العربية لدى شباب الجامعات المصرية.

٤- لمعرفة الصورة الإعلامية التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.

٥- للتعرف على حجم المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية - ونوعية هذه المعلومات - ومصادرها - وهويتها - وأهم القضايا التى تطرحها.

الإطار النظرى لموضوع البحث:

تستمد هذه الدراسة إطارها النظرى من نظرية التوقعات الإجتماعية Social Expectations، حيث تعد وسائل الاتصال الجماهيرية مصدراً مهماً للتوقعات الاجتماعية النموذجية حول التنظيم الاجتماعى لجماعات معينة فى المجتمع الحديث.

---

[١] الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص٢٧-٢٨.

وبمعنى آخر فإن مضمون وسائل الإعلام يصف المعايير والأدوار والرتب والعقوبات لكل انواع الجماعات المعروفة فى الحياة الاجتماعية المعاصرة تقريباً.[١]

هذا وهناك العديد من المصادر التى يمكن للفرد أن يكتسب منها معرفته بالتوقعات الاجتماعية والمعايير والقواعد السائدة. فالأفراد يتعلمون من أسرهم، ومن جماعات الرفاق، ومن المدارس، ومن المجتمع عموماً، إلا أنه فى المجتمع الحديث هناك مصدراً آخر يمكن للفرد أن يستقى منه مقداراً ضخماً من المعلومات حول التوقعات الإجتماعية المتوقعة من الأفراد الذين يمثلون أعضاء لأنواع متنوعة من الجماعات، ألا وهو وسائل الإعلام.[٢]

ويمكن تلخيص الفكرة الأساسية لنظرية التوقعات الإجتماعية فيما يلى:

١- إن نماذج التنظيم الإجتماعى التى تظهر على شكل: معايير، وأدوار، ورتب وعقوبات أو مكافآت تتعلق بجماعات معينة، ويتم غالباً تصويرها فى المضمون الإعلامى.

٢- قد يكون هذا التصوير الإعلامى لنماذج التنظيم الإجتماعى حقيقياً أو مشوهاً.

٣- مهما كانت علاقة هذه الصور بالحقيقة والواقع، فإن جماهير المستقبلين يستوعبون هذه التحديدات، وتصبح هذه الصور هى مجموعة التوقعات الإجتماعية التى تعلموها كنماذج للسلوك.

٤- تعتبر هذه التوقعات جزءاً مهماً من فهم الناس المسبق للسلوك المطلوب أن يتبعه المشاركون فى الجماعات التى سوف يصبحون أعضاء فيها.

٥- تعتبر هذه النماذج الإعلامية جزءاً مهماً من معلومات الجماهير عن النظام الاجتماعى السائد.[٣]

---

[١] حسن عماد مكاوى وليلى حسين السيد (٢٠٠٢). ***الاتصال ونظرياته المعاصرة*** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط٢) ص١٦٠.

[2] De Fleur, Melvin L. & Dennis, Everette E. (1996). ***Understanding Mass Communication, A Liberal Arts Perspective***. 2ed Ed., U.S.A, Boston, Houghton Miffin Company, p. 590.

[٣] حسن عماد مكاوى وليلى حسين السيد (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص١٦١.

مما سبق يتضح لنا أن هذه النظرية تشرح كيف يمكن اكتساب تلك المعرفة من المعايير والأدوار والتنظيمات الإجتماعية بواسطة التعلم العرضى من خلال التعرض للصور الإعلامية التى تتناول مظاهر الحياة الإجتماعية لتأثيرات وسائل الإعلام والتى يمكن إجمال فروضها فى النقاط التالية:

١- أن هناك أنواع متعددة من المضمون المقدم من خلال وسائل الإعلام كثيراً ما يصور الأنشطة الاجتماعية والحياة بالجماعة.

٢- تلك الصور التى تمثل الواقع تعكس على نحو دقيق أو ردئ الطبيعة الإجتماعية لأنواع متعددة من الجماعات بالمجتمع.

٣- إن الأفراد الذين يتعرضون لتلك الصور يؤمنون بصحتها فيما يتعلق بالمعايير والوظائف والتنظيمات الإجتماعية السائدة.

٤- خبرة التعرض لصور من أنواع محددة بالجماعة تكون ناتجة من التعلم العرضى لأنماط من السلوك الذى يكون متوقعاً من قبل الآخرين عندما يعملون أو ينضمون إلى مثل تلك الجماعة.

٥- وبالتالى فإن تلك التوقعات المتعلمة بخصوص السلوك الملائم تفيد الفرد كمرشد عندما يصادف مثل تلك المواقف أو يحاول فهم مثل تلك الجماعات فى الحياة الواقعية. ويجب أن نشير هنا إلى أن تلك الصور الإعلامية للحياة الاجتماعية ربما تكون خادعة أو مضللة ومتناقضة إلا أنها غالباً ما تقدم لجماهيرها معلومات حول المتطلبات الخاصة بالعديد من الجماعات المتنوعة.(١)

وتقدم نظرية التوقعات الإجتماعية تفسيراً للسلوك الإجتماعى حيث تعتمد على ما يلى:

١- تقوم وسائل الإعلام بنقل المعلومات المتعلقة بقواعد السلوك الإجتماعى التى يتذكرها عضو الجماعة.

٢- تؤثر هذه العملية بشكل واضح فى السلوك العلنى لأفراد الجماعة.

---

(1) De Fleur, Melvin L. & Dennis, Everette E. (1996). Op.cit., pp. 599-591.

وبذلك تقدم نظرية التوقعات الإجتماعية تفسيراً للمؤثرات بعيدة المدى وغير المباشرة التى يحققها التعرض لوسائل الإعلام، فهى تنظر إلى وسائل الإعلام كعامل مساعد للتعلم (غير متعمد وغير مخطط له مسبقاً). وتسعى النظرية إلى إثبات أن الأفراد يستخدمون وسائل الاتصال الجماهيرى كمصادر لتوجيه سلوكهم بما يساعدهم على التكيف مع العالم المعقد الذى يعيشون فيه، سواء حدث ذلك عن قصد أم عن غير قصد.(١)

المصطلحات المتعددة للصورة:

هناك ثلاثة أنواع من الصور تهتم بها هذه الدراسة وهى:

١- الصورة الذهنية Image

٢- الصورة الإعلامية Media portrayal

٣- الصورة النمطية Stereotype

أولاً: الصورة الذهنية:

تعنى كلمة Image فى أصل معناها Replica أى صورة منقولة طبق الأصل، إلا أنها لا تعنى مجرد محاكاة وتقليد، لكنها أجزاء متفرقة من الذاكرة ومن إعادة بناء وتفسير رموز لأشياء ومشاعر وأفكار.(٢)

ولقد تعددت التعريفات التى تناولت الصورة الذهنية، فقد تناولها "والتر ليبمان" فى كتابه الشهير الرأى العام (١٩٩٢) عندما أشار إلى أن الفرد يتعلم الرؤية بعقله عن العالم الذى لم يراه أو يلمسه أو يشمه أو يتذكره، وبالتالى فإنه تدريجياً يصنع لنفسه صورة جديرة بالثقة داخل عقله للعالم الذى لم يحتك به.(٣) وهذه الرؤية تختلف من فرد

---

(١) ملفين ل. ديفلير وساندرا بول روكيتش (١٩٩٣). ***نظريات وسائل الإعلام***، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع - ط١) ص ص٣٠٦-٣١٧.

(٢) ثريا أحمد البدوى (١٩٩٥). دور الاتصال فى تكوين الصورة الذهنية لدى الشعب المصرى عن الأوربيين - دراسة ميدانية على عينة من الشعب المصرى. ***رسالة ماجستير غير منشورة*** (كلية الإعلام - جامعة القاهرة) ص٧٣.

(3) Hamada, Basyouni I. (2000). Arab Image in the Minds of Western Image – Makers. ***Egyptian Journal of Public Opinion Research***, (Vol. 1, No. 3, July – Sep.) p. 9.

لآخر، لأن خبرة كل فرد لا تتشابه مع خبرات الآخرين، ومن ثم فإن كل فرد يشرح ويفسر خبرته فى ضوء تجاربه الماضية وخبراته التى يظل يكتسبها بامتداد حياته.[١]

ويعرف قاموس "ويبستر" Webster الصورة الذهنية بأنها: "تصور عقلى شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص أو شئ بعينه.[٢] وهى أيضاً بنية إجتماعية تنتج عن التأثير التراكمى لعمليات الاتصال الفعالة والمستمرة فى المجتمع، لذا فإنها تعد إحدى الخبرات المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد.[٣]

كما تُعرف الصورة الذهنية بأنها: "الناتج النهائى للانطباعات الذاتية التى تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام ما أو شعب معين أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة أو أى شئ آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة.[٤] كما يتم تعريفها بأنها الانطباع الذى يكونه الفرد عن الأشياء المحيطة به متأثراً بالمعلومات المختزنة عنها، وفهمه لها،وبذلك فإن الصورة الذهنية هى نتاج تفاعل عناصر المعرفة والإدراك.[٥] إلا أن الإدراك الحسى هو إدراك شئ موجود بالفعل عن طريق الحواس، بينما التصور الذهنى هو استحضار هذا الشئ نفسه إلى الذهن.[٦]

سمات وخصائص الصورة الذهنية:

تتميز الصورة الذهنية بمجموعة من السمات والخصائص يمكن إجمالها فيما يلى:

١- إنها ليست مجرد محاكاة ولكنها إطار للذاكرة وعملية بناء تصورات.

---

[١] ثريا أحمد البدوى (١٩٩٥). مرجع سابق، ص٧٤.

[٢] عبد القادر طاش (١٩٨٩). ***الصورة النمطية للإسلام والعرب فى مرآة الإعلام الغربى***. (الرياض: شركة الدائرة للإعلام المحدود – ط١) ص٢٠.

[٣] نائلة إبراهيم عمارة (٢٠٠٠). تعرض المراهقين وكبار السن للتليفزيون المصرى وعلاقته بتقدير الذات وتشكيل الصورة المتبادلة بينهما – دراسة مسحية مقارنة. ***المجلة المصرية لبحوث الرأى العام***. (كلية الإعلام - جامعة القاهرة - العدد الأول، يناير / مارس) ص١٢٠.

[٤] على عجوة (١٩٩٩). ***العلاقات العامة والصورة الذهنية*** (القاهرة: عالم الكتب) ص١٠.

[٥] محمد عبد الحميد (١٩٩٣). ***دراسة الجمهور فى بحوث الإعلام*** (القاهرة: عالم الكتب) ص١٠٢.

[٦] محمود فهمى (بدون تاريخ). ***الصوت والصورة*** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية) ص١٤٤.

٢- إنها تتسم بالوضوح والغموض، والحقيقة وعدم الحقيقة.

٣- إنها تتسم بالعمومية والخصوصية وفقاً لمدى مشاركة الآخرين فى هذه الصورة، أى أنها شئ خاص بالفرد وحده. حيث يلجأ الجمهور إلى التعميم فيما يكوّن من صور ذهنية عن الواقع الإجتماعى، ولا يركز بالضرورة على تفاصيل هذه الصور لدرجة قد يصل فيها التعميم إلى التبسيط المخل.

٤- الوعى واللاوعى، فنحن لا نستطيع إدراك كل أجزاء الصورة فى نفس الوقت وبنفس درجة الكثافة.

٥- إنها تعد مُحصلة لكل خبرات الفرد السابقة.

٦- إنها تتسم بالمرونة والتفاعل المستمر، فتتطوروتنمو وتتسع وتقبل التغير طوال الحياة.[١]

٧- إنها نتاج تفاعل عناصر المعرفة والإدراك، كما أن السياق الإجتماعى والتاريخى يؤثر فى تشكيل الصور الذهنية المختلفة.[٢]

ثانياً: الصور الإعلامية:

يشير هذا المصطلح إلى الصورة التى تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية عبر مضامينها المختلفة، والتى تُعبر عن زاوية تناول تلك الوسائل للموضوعات المتعددة والمتنوعة التى تزخر بها الحياة، وبحيث تُضفى كل وسيلة من وسائل الإعلام على تلك الصور خصائصها المميزة لها مما يجعل تلك الوسائل تؤثر تأثيراً متبايناً فى الجماهير المختلفة.

ويرى البعض أن قدرة الصورة التليفزيونية على الانطباع فى الذهن وعلى ثباتها فيه وتأثيرها المستمر على الفرد تفوق قدرة الصورة الفوتوغرافية والصورة السينمائية، حيث أن التليفزيون يضيف بعض الخصائص الاتصالية والنفسية التى تجعل منه مغرقاً أكثر فى استغلال حاستى النظر والسمع وتأثيرهما فى الذاكرة.[٣]

---

[١] ثريا أحمد البدوى (١٩٩٥). مرجع سابق، ص٧٧، ص١٥١.

[2] Kuhn, Annette. (1999). The Power of The Image in Paul Marris & Sue Thornham (eds). ***Media Studies: A Reader***, 2nd Ed. Edinburgh University Press LTD, p. 65.

[٣] جان جبران كرم (١٩٨٨). ***التليفزيون والأطفال*** (لبنان: دار الجيل) ص ص٩-١٠.

ثالثاً: الصور النمطية:

ترجع أهمية مصطلح الصورة النمطية Stereotype إلى أنه يمثل جزءاً كبيراً من حديثنا اليومى.[١] ويعود استخدام هذا المصطلح إلى "ليبمان" وذلك عندما قال: أن العالم ملئ بالتنوع والتناقضات.. ولذا فإنه يكون من المناسب أن نبنى العالم علـــى أســـاس نموذج أبسط قبل أن نتعامل معه، وبالتالى فإنه يكون من الأفضل أن نـــنمط الأفـــراد والجماعات بطريقة فيها حكم أولى، وإذا كانت هذه الأحكام الأولية والصور النمطيـــة مريحة نسبياً إلا أنها بالتأكيد ينقصها الدقة. ومن ثم فهى تعميمات غير علمية ولا يمكن الاعتماد عليها فى حكمنا على الأفراد أو الجماعات.[٢]

لذا فقد وصف "ليبمان" الصورة النمطية بأنها: صور ذهنية مُنظمة Organization Images، وانطباعات مُبسطة راسخة Fixed Simplified Impressions، وبأنها صـــور بارزة يتم اختيارها وتقريرهـــا عمومـــاً Saliont Features Chosen to Stand for the Whole.[٣] وعل الرغم من أن الصور النمطية ليست دائماً محايدة Neutral، إلا أنهـــا تصور حتمّى إلى حد أن تصوير الفرد أو الجماعة أو الشعب يبدو وكأنه حقيقاً.[٤] كما أن الصور النمطية غالباً ما تكون مُحملّة ومثقلة بالمشاعر التى تكون مصاحبة لها.[٥]

فالصورة النمطية هى ظاهرة عالمية Universal Phenomenon حيث أننـــا منـــذ طفولتنا ونحن لدينا أفكار عما يبدو عليه الأفراد فى أجزاء أخرى من العـــالم، بـــل أن هناك اعتقاداً بأن الصور الذهنية Images والصور النمطية Sterotypes تمنح الأمـــان للأفراد[٦] وإن كانت الصور الذهنية أعم وأشمل من الصور النمطية والتى تعد مرحلة لاحقة من مراحل تكوّن الصور الذهنية لـــدى الإنـــسان عـــن الأشـــخاص والأقـــوام والأشياء.[٧]

---

[1] Jones, Marsha. & Jones, Emma. (1999). ***Mass Media***. 1st ed., London: MacMillan Press LTD, p. 105.

[٢] عزيز حنا داود، وتحسين على حسين (بدون تاريخ). ***علم تغيير الاتجاهات النفسية الاجتماعيـــة***. (القـــاهرة: مكتبة الانجلو المصرية) ص ص١٥-١٦.

[3] Hamada, Basyouni I. (2000), Op.cit., p. 11.

[4] Hamada, Basyouni I. (2000), Op.cit., p. 105.

[5] Dyer, Richard. (1999) The Role of Stereotypes in Paul Marris & Sue Thornham (eds.) ***Media Studies: A Reader***, 2nd ed, Edimburgh University Press LTD., p. 245.

[6] Hamada, Basyouni I. (2000), Op.cit., pp. 10-11.

[٧] شعبان أبو اليزيد شمس (١٩٩٤). الصورة الذهنية لمصر فى المجلات العربية – دراسة تحليلية. ***مجلة كلية اللغة العربية*** (القاهرة: جامعة الأزهر) ص٣٦٨.

مما سبق يتضح لنا أن الصور الذهنية خاصة بالجمهور (الأفراد) والصور الإعلامية خاصة بوسائل الإعلام، فى الوقت الذى تبقى فيه الصور النمطية توصيفاً لكليهما معاً.[١]

الدراسات السابقة:

لاحظت الباحثة أن هناك العديد من الدراسات والبحوث الإعلامية التى اهتمت بموضوع الصورة والتى خصصت لها العديد من الدراسات والمؤتمرات العلمية. لذا فقد اقتصرت الباحثة على عرض بعض الدراسات ذات الصلة الوثيقة بموضوع بحثها حيث لا يتسع المجال لعرض نماذج لجميع الدراسات السابقة.

١- دراسة Milfred, (١٩٨٢) بعنوان "آراء الأمريكان من السود والبيض تجاه جنوب أفريقيا"[٢]:

وقد طبقت الدراسة على عينة من الأمريكيين السود والبيض والذين ينتسبون لأصول أفريقية، لأخذ آرائهم حول قضية جنوب أفريقيا، والسياسة العنصرية قبل الإستقلال، ولمعرفة آرائهم حول السياسة الأمريكية تجاه نفس القضية. وقد طبقت بالولايات المتحدة، وأشارت أهم نتائجها إلى أن نسبة ٥١% من أفراد العينة ترى أن أفريقيا قارة التفرقة العنصرية ضد السود، بينما يرى ٣٩% أنها قارة المجاعة والفقر. كما أشارت النتائج إلى أن ٣٥% من العينة يرون أن الذين يعيشون فى أفريقيا أشبه بالحيوانات فى حين ترى نسبة قليلة ٩% أن أفريقيا قارة حافلة بالإمكانيات والموارد الطبيعية.

٢- دراسة عواطف عبد الرحمن (١٩٨٣) بعنوان "أفريقيا والرأى العام العربى - دراسة تحليلية لاتجاهات الصحف العربية نحو أفريقيا"[٣]:

وتهدف الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الرأى العام العربى تجاه القضايا الأفريقية من خلال تحليل مضمون مجموعة من الصحف والجرائد فى البلاد العربية، وقد تضمنت عينة الدراسة صحيفتا الأهرام والأخبار من مصر، وصحف الوطن

---

[١] الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص١٥.

[2] Fierce, Milfred C. (1982). "Black and White American Opinions Towards South Africa", *The Journal of Modern African Studies*. (Vol. 20, No. 4, Dec.) p. 669.

[٣] عواطف عبد الرحمن (١٩٨٣). *أفريقيا والرأى العام العربى - دراسة تحليلية لاتجاهات الصحف العربية نحو أفريقيا* (بيروت: معهد الإنماء العربى) ص ص١٧٨-١٩٢.

والسياسة والقبس من الكويت، وجريدتا طريق الثورة وطريق الشعب من العراق. وقد ركزت الدراسة على تتبع مدى اهتمام تلك الصحف والجرائد بقضايا أفريقية معاصرة مثل الكونغو وانجولا وإريتريا، وقضايا النظم العنصرية فى جنوب أفريقيا، والعلاقات العربية الأفريقية. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن بعض الصحف العربية تطرح رؤى متناقضة مع مواقف حكوماتها عن القضايا الأفريقية مثل الصحف العراقية وبعض الصحف المصرية. كما أشارت النتائج إلى أن معظم الصحف العربية لا تطرح رؤية موحدة إزاء قضايا النضال الأفريقية فهناك صحف متعاطفة ومؤيدة فى حين تخالف هذا صحف أخرى وتنحو وجهة النظر الغربية. وأخيراً أشارت أهم النتائج إلى أن بعض الصحف العربية انحازت إلى وجهة نظر غربية فى تحديد موقفها من قضايا النضال الأفريقى وقضية التعاون العربى الأفريقى مثل الصحف الكويتية (السياسة / القبس) وصحيفة الأخبار المصرية.

٣- دراسة راجية قنديل (١٩٩٠) بعنوان "أحداث العالم الثالث فى التغطية - الإسلامية الدولية"[١]:

وقد استهدفت الدراسة تحليل مضمون مجلة "تايم" الأمريكية الدولية للتعرف على حجم التغطية الإعلامية لأحداث العالم الثالث، ومعرفة عناصرها وملامحها وتحديد إتجاهها، وقد أهتمت الدراسة فى تحليلها على مضمون التغطية الإعلامية للأحداث التى وقعت فى دول العالم الثالث خلال الأشهر الثلاثة الأولى من عام ١٩٩٠ فى كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا. وقد أشارت أهم النتائج إلى أنه سيطر على مضمون التغطية الإعلامية اتجاه سلبى حيث تتناول معظم أحداث التغطية أخبار الحوادث والجرائم والاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار وإبراز المظاهر السلبية كالعنف والفساد والرشوة. كما أشارت النتائج إلى قلة الحيز الذى شغلته دول العالم الثالث فى التغطية الإعلامية، وما يتسم به مضمونها من إنخفاض فى المستوى، وما يبرزه من العجز والتخلف والفشل، وأخيراً أشارت أهم النتائج إلى غياب دول كثيرة ومناطق كاملة من العالم الثالث عن التغطية الإعلامية وندرة ظهور بعضها الآخر.

[١] راجية أحمد قنديل (١٩٩٠). أحداث العالم الثالث فى التغطية الإعلامية الدولية. ***مجلة بحوث الاتصال*** (كلية الإعلام - جامعة القاهرة - العدد الرابع ص ص٦-٣١.

٤- دراسة Festus Eribo, (١٩٩٣) بعنوان "التغطيـــة الـــصحفية لأخبـــار أفريقيـــا الصحراء فى بعض الصحف السوفيتية خلال الفترة من ١٩٧٩-١٩٨٧"[١]:

وقد استهدفت الدراسة تحليل مضمون أربعة صـــحف ســـوفيتية هـــى Pravda, Izvestia Trud, Selskaya Zhizn لمعرفة أهم الموضوعات والقـضايا التـــى حظيـــت بإهتمام تلك الصحف، واتجاهاتها عن الدول الأفريقية جنوب الصحراء. وقد أشـــارت أهم النتائج إلى أن ٧٣% من مجموع تغطيات الصحف الأربع كان للـــدول الأفريقيـــة المنحازة للإتحاد السوفيتى مقابل ٢٧% للدول غير المنحازة. كما أشارت أهم النتـــائج إلى أن الأخبار السياسية احتلت المقام الأول فى التغطية الإخبارية للصحف الأربـــع، يليها أخبار الأزمات والاضطرابات والقلاقل، ثم أخبار التنمية، فالأخبار الثقافية.

٥- دراسة أشرف عبد المغيث (١٩٩٣) بعنوان "دور الإعلام فى تكـــوين الـــصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصرى"[٢]:

وقد استهدفت الدراسة التعرف على انطباعات الشباب المصرى عن دول العـــالم الثالث، ومدى تأثرها بما تقدمه وسائل الإعلام، واعتمدت الدراسة على تحليل مضمون عينة من نشرات الأخبار بالتليفزيون المصرى من خلال الأسبوع الصناعى لـــدورتين إذاعيتين، بالإضافة إلى دراسة ميدانية لعينة عشوائية طبقية مـــن كافـــة المـــستويات الإجتماعية لعدد ٤٠٠ مفردة من الشباب المصرى. وقد أشارت أهم النتـــائج إلـــى أن صورة العالم الثالث قد اتسمت لدى أفراد العينة بصفات التخلف، والفقـــر، والتـــدهور الاقتصادى، والضعف والمجاعة، والجفاف. كما أشارت النتائج إلى وجود اختلاف بين دول العالم الثالث فى التوصيف والسمات لدى عينة الدراسة، فالمجموعة العربية تتسم بصفات التفكك السياسى، والغنى، والثروة البترولية، فى حين اتسمت صورة أفريقيـــا بالمجاعة، والجفاف، والفقر، والتفرقة العنصرية، أما المجموعة الآسيوية فقد اتـــسمت بالتنمية والتقدم وأخيراً أمريكا الجنوبية والتى اتسمت بالتقدم فى كرة القدم ثم التنميـــة. وأخيراً أشارت النتائج إلى ارتباط السمات الإيجابية فى نـــشرات أخبـــار التليفزيـــون

[1] Eribo, Festus. (1993). "Coverage of Africa South of the Sahara by Pravda, Izvestia, Turd, and Selskaya Zhizn, 1979-1987: A Content Analysis". ***Journalism Quarterly***. (Vol. 70, No. 1, Spring) p. 51.

[٢] أشرف عبد المغيث (١٩٩٣) دور الإعلام فى تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المـــصرى - دراسة تحليلية ميدانية. ***رسالة ماجستير غير منشورة*** (كلية الإعلام - جامعة القاهرة) ص ص٢٠٠-٢٢٠.

المصرى بالمجموعة العربية فى حين توزعت السمات السلبية على بقية المجموعات الثلاث الأفريقية والآسيوية وأمريكا الجنوبية.

٦- دراسة Keithn Kenney, (١٩٩٤) بعنوان "صورة أفريقيا فى المجلات الإخبارية"[1]:

وقد استهدفت الدراسة التعرف على صورة أفريقيا فى المجلات الإخبارية الأمريكية وذلك من خلال تحليل مضمون عينة من المعلومات والبيانات الواردة فى مجلتين أمريكيتين هما "The News Week" ومجلة "Emerge" خلال الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٣، باعتبار أن مجلة The News Week الأسبوعية تمثل الوسيلة الإعلامية للأمريكيين البيض بينما يسيطر على المجلة الثانية Emerge مجموعة من السود. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن مجلة The News Week قد ركزت على العنف، والانقلابات، والمجاعات فى أفريقيا بينما اهتمت مجلة Emerge بالصورة الايجابية لأفريقيا. كما أشارت النتائج إلى أن مجلة Emerge قد ركزت اهتمامها على القضايا الأفريقية بشكل عام، بينما ركزت The News Week اهتمامها الأكبر على قضية الصومال وجنوب أفريقيا.

٧- دراسة Sigelman & Tuch, (١٩٩٧) بعنوان "الصورة النمطية للسود فى أذهان البيض كما يتخيلها السود"[2]:

وقد اعتمدت هذه الدراسة على نتائج الدراسة المسحية الرئيسية العامة والتى أجريت فى الولايات المتحدة عام ١٩٩٠ لمعرفة الاتجاهات العرقية والصورة النمطية فى مدركات البيض كما يتخيلها الأمريكيين السود والذين ينحدرون من أصول أفريقية. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن الإتجاه العام لتخيلات الأمريكيين من أصول أفريقية عن الصورة النمطية التى يحملها البيض عنهم يغلب عليها بصفة عامة الطابع السلبى، حيث يرى ثلاثة أرباع أفراد العينة من الأمريكيين السود أن البيض يرونهم أقل التزاماً بالأخلاق والقيم والمبادئ، وأنهم أكثر الناس تعاطياً للمواد الكحولية والمخدرات، وأنهم

---

(1) (Kenney, Keithn. (1994). "The Image of Africa in News Magazines: is there a black per-speetives?" *Gazatte* (Vol. 5) p. 85.

(2) Sigelman, Lee & Tuch, Steven A. (1997). "Meta Stereotypes Black's Perceptions of White Stereotypes of Blacks" *Public Opinion Quarterly* (Vol. 61, No. 1 – Spring).

كسالى ولا يرغبون فى العمل، وترى نسبة ٨٢% أن البيض يرونهم أكثر ارتكاباً للجرائم، وأنهم أقل ذكاء من البيض.

٨- دراسة Peter Rigby, (١٩٩٧) بعنوان "صورة الأفارقة العنصرية (العرقية) ونهاية الانثروبولوجيا"(١):

وقد تناولت هذه الدراسة مجموعة من الكتابات الغربية لمفكرين أمريكيين من البيض خاصة بالأفارقة وقضاياهم. وقد هاجم الباحث فى الجزء الأول منها المفكرين الأمريكيين الذين اعتادوا فى كتاباتهم على تصوير الأفارقة فى صور أقل من الأوربيين ومحاولاتهم تبرير ذلك بتفسيرات بيولوجية. وقد أشارت أهم نتائجها إلى أن الأيدولوجية الرأسمالية قامت فى الأصل على التفرقة العرقية وتنطلق من النظريات الانثروبولوجية والتى تعتقد بوجود مركبات نقص فى تكوين الإنسان الأفريقى. كما أشارت النتائج إلى أن الحوارات والنقاشات الدائرة حول مرض الإيدز وربطه بالقارة الأفريقية تُعد مؤشراً سيئاً لنوايا الأمريكيين البيض تجاه القارة الأفريقية وسكانها لأنها تكرس سياسة التفرقة العنصرية.

٩- دراسة محمد عاشور (١٩٩٩) بعنوان "أفريقيا فى المنظومة التاريخية المصرية: دراسة فى دور التعليم فى تشكيل الصورة الذهنية للقارة لدى الطلاب"(٢):

وقد استهدفت الدراسة التعرف على حقيقة وضع القارة الأفريقية فى المنظومة التعليمية المصرية من خلال مكوناتها الثلاثة وهى المقرر الدراسى، والمعلم، والطالب. وقد طبقت على عينة من الطلاب المصريين فى مراحل تعليمية مختلفة، بالإضافة إلى عينة من الطلاب الأفارقة غير المصريين وقد استخدمت الدراسة منهج المسح الشامل لمضمون مقررات اللغة العربية والفلسفة والتاريخ والمنطق والجغرافيا. وقد أشارت

---

(1) Rigby, Petter. (1997). "African Images: Racism and the end of Anthropolgy" ***Africa*** (Vol. 67, No. 4) p. 667.

(٢) محمد عاشور (١٩٩٩). أفريقيا فى المنظومة التاريخية المصرية – دراسة فى دور التعليم فى تشكيل الصورة الذهنية لدى الطلاب" ***ندوة أفريقيا فى المقررات الدراسية المصرية*** (معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ١٥-١٦ مايو) ص ص١٥٦-١٧٣.

أهم النتائج إلى أن منظومة التعليم المصرية ترسخ حقيقة الإسهام الحضارى المصرى بشكل أكبر من بقية دول القارة. كما أشارت النتائج إلى أنه فيما يتعلق بالصورة الذهنية للقارة الأفريقية لدى الطلاب فقد أشار ٨٤% منهم أنها سلبية وبمواصفات مثل الضعف، والتخلف، والجفاف، كما اتسمت الصورة بالسلبية أيضاً فى أذهان الطلاب الأفارقة غير المصريين وبمواصفات الفقر، والجفاف، والمجاعة، والحروب. كما جاءت الصورة سلبية لدى عينة الدراسة من المدرسين المصريين وبمواصفات الفقر، والمجاعات، والحروب، والصراعات، والتفرقة العنصرية.

١٠- دراسة Wadim Scureiner, (٢٠٠٠) بعنوان "صورة الدول الأفريقية فى وسائل إعلام جنوب أفريقيا ووسائل الإعلام الدولية"[١]:

وقد اعتمدت الدراسة على المقارنة بين التغطية الإعلامية لصحف جنوب أفريقيا عن دول القارة الأفريقية، والتغطية الإعلامية لبعض الدول الأوربية مثل بريطانيا والمانيا، وقد استغرقت فترة التحليل تسعة أشهر من يناير حتى سبتمبر ٢٠٠٠. وقد أشارت أهم النتائج إلى أنه على مستوى العالم جاءت الولايات المتحدة فى مقدمة الدول التى استحوذت على التغطية الإخبارية للصحف، تليها دولة زيمبابوى ثم بريطانيا. أما على مستوى القارة الأفريقية فقد جاءت زيمبابوى فى مقدمة الدول الأفريقية ثم نيجيريا وموزمبيق. كما أشارت النتائج إلى أن أخبار الجرائم والحوادث والكوارث والحروب الأهلية والجرائم السياسية جاءت فى مقدمة الموضوعات والقضايا فى التغطية الإعلامية فى حين قلت أو ندرت الأخبار الإيجابية وأخبار التنمية.

١١- دراسة إبراهيم نصر الدين (٢٠٠٠) بعنوان "التعاون العربى الأفريقى - المدركات - السلوك - الامكانيات"[٢]:

واستهدفت الدراسة تحليل وتقييم الوضع الراهن للتعاون العربى الأفريقى بالتركيز على المدركات العربية عن أفريقيا، ودور تلك المدركات فى الممارسات

---

(1) Scureiner, Wadim N. (2000). The Image of African Countries in South African and Selected International Meda. ***A Presented Paper to 12th African Council for Communication Education in Cairo – Egypt***. 15-20, Oct.

(٢) إبراهيم أحمد نصر الدين (٢٠٠٠) التعاون العربى الأفريقى - المدركات - السلوك - الامكانيات. ***مجلة آفاق أفريقية*** (القاهرة: الهيئة العامة للإستعلامات - الجزء الأول - العدد الثانى) ص ص٢٩-٣٥.

السلوكية فى الواقع العملى بمختلف أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى محاولة لتقديم تفسيرات علمية ومنطقية عن أسباب فتور العلاقات العربية الأفريقية، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفى التحليلى، وأشارت أهم النتائج إلى أن صورة العربى لدى الأفريقى صورة سلبية. فالعربى تاجر رقيق، وجشع، ولديه نزعات توسعية فى أفريقيا. كما أشارت النتائج إلى أن صورة الأفريقى لدى العربى سلبية أيضاً وتنطوى على نظرة استعلائية. كذلك أكدت النتائج أن هذه الصورة السلبية من كل طرف عربى / أفريقى تجاه الآخر لا تزال راسخة فى الذهن العربى والأفريقى حتى وقتنا هذا على الرغم من وجود بعض القضايا المشتركة. وأخيراً أشارت أهم النتائج إلى أن تلك الصور السلبية لدى الطرفين قد انعكست بشكل كبير على الممارسات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

١٢- دراسة نشوى الشلقانى (٢٠٠٠) بعنوان "دور قناة النيل الدولية فى تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدى الأجانب المقيمين"[١]:

وقد استهدفت الدراسة التعرف على الدور الذى تقوم به قناة النيل الدولية فى تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدى الأجانب المقيمين على أرض مصر. وقد اعتمدت الدراسة على عينة مكونة من ٢٠٣ مفردة شملت الجنسيات الأفريقية والآسيوية والأوربية والأمريكية المقيمة فى مصر، بالإضافة إلى تحليل مضمون عينة من البرامج المقدمة عن مصر فى قناة النيل الدولية. وقد أشارت أهم النتائج إلى أن ملامح الصورة الذهنية الخاصة بمصر لدى أفراد العينة قد جمعت بين الجوانب الإيجابية والسلبية، فقد أشار ٢٦% أن لديهم صورة إيجابية عن مصر مقابل ٢٠,٧% لديهم صورة سلبية عنها. كذلك أشارت النتائج إلى وجود علاقة ارتباط إيجابى بين مدة الإقامة بمصر، والجنسية، وإجادة اللغة العربية من ناحية وطبيعة الصورة من ناحية أخرى، كما توجد علاقة ارتباط إيجابى أيضاً بين التعرض لقناة النيل الدولية وإيجابيات الصورة الذهنية لمصر والمصريين.

---

[١] نشوى الشلقانى (٢٠٠٠). دور قناة النيل الدولية فى تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدى الأجانب المقيمين - دراسة مسحية. *رسالة دكتوراه غير منشورة* (كلية الإعلام جامعة القاهرة) ص ص٢٣٧-٢٤٥.

١٣- دراسة الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢) بعنوان "الصورة الذهنية لأفريقيا والآفارقة عند العرب"[١]:

وتهدف الدراسة إلى التعرف على التصورات الذهنية التى يكونها العرب عن أفريقيا وشعوبها وقضاياها فى جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والعلمية، وقد طبقت الدراسة على عينة قوامها ٣٠٠ مفرد من الجاليات العربية المقيمة فى القاهرة، وأشارت أهم النتائج إلى ضآلة معلومات المبحوثين عن أفريقيا بصفة عامة، كما أشارت إلى تصدر وسائل الاتصال الجماهيرية للمكانة الأولى من حيث الاعتماد فى الحصول على معلومات عن أفريقيا يليها الاتصال الشخصى. وقد جاءت قضايا الحروب والأزمات على رأس قائمة القضايا التى تعرضها وسائل الإعلام عن أفريقيا يليها أزمة الغذاء ثم التصحر والجفاف. وأخيراً أشارت النتائج إلى أن ٤٢% من المبحوثين يرون أن اتجاهات المعلومات المتوفرة من خلال وسائل الإعلام عن أفريقيا سلبية مقابل ٢٥% تراها إيجابية، وأن ٥٣% ترى أن صورة الدول الأفريقية فى واقعها الحالى سلبية مقابل ١٩% تراها إيجابية.

ويتضح لنا من خلال مراجعة الدراسات السابقة ما يلى:

١- إن معظم الدراسات السابقة قد ركزت على تحليل مضمون وسائل الإعلام المقروءة (صحف ومجلات وكتب) للتعرف على صورة أفريقيا والإنسان الافريقى، ولم تهتم بالإعلام المرئى أو المسموع.

٢- إن معظم الدراسات السابقة قد اهتمت بالتعرف على آراء الجمهور غير العربى (أجانب) تجاه أفريقيا والإنسان الأفريقى باستثناء دراسة واحدة.

٣- ومن هنا تحاول هذه الدراسة الجمع بين تحليل مضمون بعض وسائل الإعلام (المقروءة والمرئية) ودراسة صورة أفريقيا لدى الجمهور المصرى معاً، للتعرف على حجم المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية إلى جانب طبيعة الصورة التى يرسمها الشباب الجامعى عن أفريقيا.

---

[١] الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). "الصورة الذهنية لأفريقيا والأفارقة عند العرب - دراسة مسحية لعينة من الجاليات العربية فى القاهرة. *رسالة ماجستير غير منشورة* (جامعة الدول العربية - معهد البحوث والدراسات العربية) ص ص١٦١-١٦٦.

تساؤلات البحث وفروضه:

تم تقسيم تساؤلات البحث إلى قسمين تناول القسم الأول منهما تساؤلاً واحداً حول تحليل مضمون جريدة الأهرام والتليفزيون المصرى، أما القسم الثانى فتم تقسيمه إلى خمسة أجزاء تناول الجزء الأول منه والخاص بإهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن إفريقيا سؤالان، ثم الجزء الثانى والخاص بقياس المعلومات العامة للمبحوث عن أفريقيا ثلاثة أسئلة، ثم الجزء الثالث والخاص بمصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا ثلاثة أسئلة، ثم الجزء الرابع والخاص بأبعاد الصورة الذهنية لأفريقيا ثلاثة أسئلة وأخيراً الجزء الخامس والخاص باتجاهات المبحوث نحو أفريقيا ثلاثة أسئلة أيضاً وقد جاءت التساؤلات على النحو التالى:

أولاً: تساؤلات خاصة بتحليل المحتوى:

- ما حجم أخبار أفريقيا غير العربية فى التليفزيون المصرى وجريدة الأهرام؟ وما نوعية هذه الأخبار؟ وما هى الدول التى تناولتها؟

ثانياً: تساؤلات خاصة بالمبحوثين:

التساؤل الأول:

- ما مدى اهتمام المبحوث بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية؟ وما أسباب عدم الاهتمام؟

التساؤل الثانى: ما حجم المعلومات العامة للمبحوث عن أفريقيا

١/٢ كم عدد دول القارة الأفريقية بصفة عامة؟ وما هى أكبر دولة من حيث عدد السكان؟ وأين يقع مقر الإتحاد الأفريقى لكرة القدم؟

٢/٢ أذكر أسماء خمس دول أفريقية غير عربية؟ وخمس عواصم أفريقية غير عربية؟

٣/٢ أذكر أسماء ثلاث لغات أفريقية؟ وثلاثة أبطال رياضيين؟ واسم أديب أفريقى غير عربى؟

التساؤل الثالث: ما مصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا؟

١/٣ ما مصادر معلومات المبحوث؟

٢/٣ هل سبق للمبحوث التعامل مع الأفارقة بشكل مباشر؟ وهل سبق له زيارة دولة أفريقية غير عربية؟

٣/٣ ما مدى اهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية؟ وما مدى كفاية المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية؟

التساؤل الرابع: ما أبعاد الصورة الذهنية لأفريقيا؟

١/٤ ما نوعية المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظر المبحوث؟ وما أكثر الموضوعات والقضايا التى تعرضها تلك الوسائل؟

٢/٤ ما طبيعة الصورة الخاصة بأفريقيا غير العربية لدى المبحوث من كافة الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والرياضية والنظرة المستقبلية؟ وما هى صورة الرجل والمرأة الأفريقية لدى المبحوث؟

٣/٤ ما طبيعة الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا من وجهة نظر المبحوث؟

التساؤل الخامس: ما اتجاهات المبحوث نحو أفريقيا؟

١/٥ ما مدى قبول المبحوث توصيف مصر بإنتمائها لدول القارة الأفريقية؟

٢/٥ ما مدى تقبل المبحوث العمل فى إحدى الدول الأفريقية غير العربية؟ وما مدى تقبله لزيارة احدى دول أفريقيا غير العربية.

٣/٥ ما تقييم المبحوث للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات؟ وتقييمه لها على مستوى الأفراد؟

فروض البحث:

١- توجد علاقة ارتباط بين نوع المبحوث (ذكر / أنثى) ونوع الجامعة (حكومية / خاصة) وبين كل من:

- الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية.
- هوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.
- نوعية المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- الاعتزاز بإنتماء مصر لدول القارة الأفريقية.
- تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات.
- تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد.

٢- توجد فروق دالة احصائياً بين كل من نوع المبحوث ونوع الجامعة وبين مستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.

٣- توجد فروق دالة احصائياً بين نوع التعليم (نظرى / عملى) ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا.

٤- يوجد تأثير دال احصائياً بين درجة اهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية وحجم معلوماتهم عنها.

تعريف المفاهيم:

الصورة الذهنية: ويقصد بها فى هذه الدراسة الانطباعات الذاتية التى يرسمها الجمهور عن أفراد أو جماعات أو نظام أو مؤسسة أو شعب أو أى شئ آخر.

الصورة الإعلامية: ويقصد بها هنا الصورة التى تبثها وسائل الإعلام عبر مضامينها المختلفة.

الصورة النمطية: وهى توصيفاً لكل من الصورة الذهنية والصورة الإعلامية.

أفريقيا: يقصد بها فى هذه الدراسة الدول الأفريقية غير العربية.

وسائل الإعلام المصرية: وتقتصر فى هذه الدراسة على الصحف والتليفزيون المصرى، وقد اعتمدت الباحثة على جريدة الأهرام اليومية، والقناة الأولى بالتليفزيون المصرى.

الشباب الجامعى: ويقصد به الشباب من الذكور والإناث المقيدين فى إحدى الجامعات المصرية ومن كافة التخصصات العلمية والنظرية.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على استخدام منهج المسح لعينة من طلاب الجامعات المصرية وهى جامعة حلوان، وجامعة عين شمس، وأكاديمية أخبار اليوم، وجامعة السادس من أكتوبر. وتم إستخدام منهج المسح بشقيه الوصفى Descriptive Survey للإجابة على تساؤلات البحث، والتحليلى Analytical Survey لإختبار الفروض.

وفى إطار منهج المسح تم استخدام أسلوب تحليل المحتوى لنشرة الأخبار الرئيسية بالقناة الأولى بالتليفزيون المصرى، وجريدة الأهرام اليومية.

مجتمع البحث:

يشمل مجتمع البحث طلاب الجامعات المصرية من تخصصات مختلفة ومن مستويات دراسية متعددة من الذكور والإناث وذلك خلال العام الجامعى ٢٠٠٣/٢٠٠٢.

كما يشتمل مجتمع البحث أيضاً على تحليل مضمون نشرة الأخبار الرئيسية (التاسعة مساءاً) بالقناة الأولى بالتليفزيون المصرى وجريدة الأهرام اليومية.

عينة البحث:

تتكون عينة الدراسة من ٣٠٠ مبحوثاً من الطلاب المقيدين بأربع جامعات مصرية خلال العام الجامعى ٢٠٠٣/٢٠٠٢ وذلك بواقع ١٥٠ مبحوثاً من الجامعات المصرية الحكومية وهما جامعة حلوان وجامعة عين شمس (٧٥ مبحوثاً لكل منهما) بإعتبارهما تمثلان الجامعات الحكومية، و١٥٠ مبحوثاً من الجامعات الخاصة وهما جامعة السادس من أكتوبر وأكاديمية أخبار اليوم (٧٥ مبحوثاً لكل منهما) باعتبارهما

تمثلان الجامعات الخاصة فى مصر. وتم استخدام أسلوب العينة المتاحة Available Sample فى إطار نوع العينات غير الاحتمالية Nonprobability Samples.

كما تضمنت عينة البحث أيضاً تحليل مضمون نشرة الأخبار الرئيسية بالقناة الأولى بالتليفزيون المصرى (التاسعة مساءاً) وتحليل مضمون جريدة الأهرام اليومية (الصفحة الأولى – صفحتا أخبار عالمية – صفحات الرياضة) وذلك خلال الفترة من ١–٣٠ يناير ٢٠٠٣.

أسلوب جمع البيانات:

فى إطار منهج المسح تم تصميم إستمارة استقصاء Questionnaire تتضمن متغيرات الدراسة القابلة للقياس وتتكون من ستة أجزاء. تضمن الجزء الأول منها سؤالان عن مدى الاهتمام بالحرص على الحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية، وأسباب عدم الاهتمام. ويهتم الجزء الثانى بقياس المعلومات العامة للمبحوث وتضمن ثمانية أسئلة مفتوحة (عدد دول القارة الأفريقية – أكبر دولة أفريقية من حيث التعداد السكانى – أين يقع مقر الاتحاد الأفريقى لكرة القدم – اسم أدريب أفريقى غير عربى – أسماء خمس دول أفريقية غير عربية – أسماء خمس عواصم أفريقية غير عربية – أسماء ثلاث لغات أفريقية – أسماء ثلاثة أبطال رياضيين من أفريقيا غير العربية). ويهتم الجزء الثالث بمصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا وتضمن ستة أسئلة (مصادر معلومات المبحوث عن أفريقيا غير العربية – هوية تلك المصادر – مدى تقبل المبحوث التعامل مع الأفارقة بشكل مباشر – هل سبق له زيارة دولة أفريقية غير عربية – مدى اهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية – مدى كفاية هذه المعلومات). أما الجزء الرابع فقد ركز على أبعاد الصورة الخاصة بأفريقيا غير العربية لدى المبحوثين وتضمن أربعة أسئلة (نوعية المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية – أكثر القضايا التى تعرضها – طبيعة صورة أفريقيا غير العربية من كافة الجوانب السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية والمستقبلية – مدى ايجابية أو سلبية الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية). بينما اهتم الجزء الخامس بإتجاهات المبحوثين نحو أفريقيا وتضمن خمسة أسئلة (مدى قبول المبحوث توصيف

مصر بانتمائها لدول القارة الأفريقية – تقبل المبحوث العمل فى إحدى دول أفريقيا غير العربية – تقبله لزيارة إحدى دولها – تقييمه للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات ومستوى الأفراد). وأخيراً الجزء السادس والخاص بالبيانات الشخصية للمبحوث. وتشمل النوع، والعمر، ونوع الجامعة (حكومية / خاصة) ونوع الدراسة (نظرية / عملية).

كذلك تم تصميم استمارة تحليل مضمون لجريدة الأهرام والنشرة الرئيسية بالقناة الأولى بالتليفزيون تضمنت زمن الخبر أو مساحته، نوع الخبر، الدولة الأفريقية التى يتعرض لها – ونوع القضية التى يتناولها.

قياس الثبات والصدق:

لقياس صدق الاستمارتين تم استخدام أسلوب الصدق الظاهرى Face Validity من خلال عرض بيانات الاستمارتين على مجموعة من المحكمين(*) والذين أشاروا إلى بعض التعديلات التى ادخلتها الباحثة على نموذج الاستمارتين.

ولقياس ثبات البيانات استخدمت الباحثة أسلوب إعادة الاختبار T.Retest على عينة عشوائية من ثلاثين مفردة تمثل ١٠% من إجمالى حجم العينة الأصلية، وقد بلغت قيمة معامل الثبات ٩١% وهى قيمة عالية تشير إلى دقة المقياس وثباته.

أسلوب تحليل البيانات:

بعد مراجعة بيانات جمع الاستمارات يدوياً تم ترميز البيانات وإدخالها إلى الحاسب الإلكترونى، وتم استخدام برنامج SPSS لمعالجة البيانات إحصائياً لاستخراج التكرارات والنسب المئوية ومعامل ارتباط بيرسون لقياس معاملات الارتباط الجزئى فيما يتعلق بفروض الدراسة. والانحراف المعيارى، وقيمة ت، والمتوسطات الحسابية وتحليل التباين ANOVA أحادى الاتجاه.

(*) تم عرض الاستمارتين على السادة المحكمين التالية أسماؤهم:

١- أ.د. منى سعيد الحديدى عميد الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام والأستاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة

٢- أ.د. ماجى الحلوانى الأستاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة

٣- أ.د. حسن عمادة مكاوى وكيل الأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام والأستاذ بكلية الإعلام – جامعة القاهرة

نتائج الدراسة

جدول رقم (١)

توصيف عينة المبحوثين

النـــــــوع						نــوع التعلــيـــم						نــوع الجـــــامعـــة					
ذكور		إناث		الإجمالى	النسبة	نظرى		عملى		الإجمالى	النسبة	حكومية		خاصة		الإجمالى	النسبة
ك	%	ك	%			ك	%	ك	%			ك	%	ك	%		
١٢٤	٤١,٣	١٧٦	٥٨,٧	٣٠٠	١٠٠	٢٣٨	٧٩,٣	٦٢	٢٠,٧	٣٠٠	١٠٠	١٥٠	٥٠	١٥٠	٥٠	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (٢)

معدلات أخبار أفريقيا غير العربية فى جريدة الأهرام ونشرة الأخبار الرئيسية بالقناة الأولى بالتليفزيون المصرى

معدلات الأخبار / مواد التحليل	أخبار أفريقيا غير العربية	اجمالى الأخبار الكلية	النسبة المئوية	الزمن أو المساحة لأخبار أفريقيا	الزمن أو المساحة الكلية	النسبة المئوية
جريدة الأهرام	٣٦	١٦٦٨	٢,٢	٧٥٠ سم عمود	٥٧٦٠٠سم	١,٣
التليفزيون المصرى	١٠	٥٣٣	١,٩	٣٠ث ٥ق	عمود ١١٥٨ق	٠,٥

جدول رقم (٣)

مدى اهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية / مدى الاهتمام	ك	%
لا أهتم مطلقاً	١٦٣	٥٤,٣
أهتم إلى حد ما	١٣٠	٤٣,٤
أهتم جداً	٧	٢,٣
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (٤)

أسباب عدم الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية(*)

التكرارات والنسبة المئوية / أسباب عدم الاهتمام	ك	%
عدم وجود اهتمام إعلامى بالقارة الأفريقية	٨٩	٢٩,٧
مصادر المعلومات عن أفريقيا غير متاحة بالقدر الكافى	٧٠	٢٣,٣
عدم وجود دور فاعل لأفريقيا على الصعيد الدولى	٦٠	٢٠
اهتمامى الأكبرر يتركز على الأوضاع الداخلية لمصر	٣٦	١٢
ليس لدى رغبة فى الحصول على معلومات عن القارة الأفريقية	٣٤	١١,٣
ليس لدى وقت	١٤	٤,٧

جدول رقم (٥)

قياس بعض المعلومات العامة للمبحوثين عن أفريقيا

التكرارات والنسبة المئوية / الأسئلة	اجابة صحيحة كاملة	%	أربع اجابات صحيحة	%	ثلاث إجابات صحيحة	%	اجابتان صحيحتان	%	اجابة واحدة صحيحة	%	اجابة خاطئة	%
• كم عدد دول القارة الافريقية.	٤٠	١٣,٣	-	-	-	-	-	-	-	-	٢٦٠	٨٦,٧
• ما أكبر دولة أفريقية من حيث عدد السكان	٥٨	١٩,٣	-	-	-	-	-	-	-	-	٢٤٢	٨٠,٧
• أين يقع مقر الاتحاد الافريقى لكرة القدم	١١٢	٢٧,٣	-	-	-	-	-	-	-	-	١٨٨	٦٢,٧
• اذكر اسم أديب أفريقى غير عربى	٣	١	-	-	-	-	-	-	-	-	٢٩٧	٩٩
• اذكر اسماء خمس دول أفريقية غير عربية.	١٦٢	٥٤	٢٨	٩,٣	١٩	٦,٣	١٨	٦	٥	١,٧	٦٨	٢٢,٧
• اذكر عواصم خمس دول أفريقية غير عربية.	٢٠	٦,٧	٦	٢	١٣	٤,٣	٣١	١٠,٣	٣٥	١١,٧	١٩٥	٦٥
• اذكر أسماء ثلاث لغات أفريقية غير عربية	٠	٠	-	-	-	-	١	٠,٣	١٨	٦	٢٨١	٩٣,٧
• اذكر أسماء ثلاثة أبطال رياضيين من أفريقيا غير العربية	٥٣	١٧,٧	-	-	-	-	٣٨	١٢,٧	٢٩	٩,٧	١٨٠	٦٠

(*) ملحوظة: أجاب عن هذا السؤال ١٦٣ مبحوثاً فقط، والمبحوث له حرية اختيار أكثر من إجابة.

جدول رقم (٦)

مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية / مصادر المعلومات	ك	%
التليفزيون	٢٢١	٧٣,٧
الجرائد	١٦١	٥٣,٧
الانترنت	٨٧	٢٩
المجلات	٧١	٢٣ز٧
الكتب	٦٠	٢٠
مصادر الاتصال الشخصى	٥٥	١٨,٣
الراديو	٤٤	١٤,٧
السينما	٣٦	١٢
الموسوعات	٢١	٧
المعارض	١٦	٥,٣
الفيديو	١٥	٥
منشورات السفارات	١١	٣,٧

- ملحوظة: المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (٧)

هوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية / هوية المصادر	ك	%
مصادر مصرية	٢٢٠	٧٣,٣
مصادر عربية	٥٠	١٦,٧
مصادر غربية	٢٥	٨,٣
مصادر أفريقية	٥	١,٧
الاجمالى	**٣٠٠**	**١٠٠**

جدول رقم (٨)

زيارة المبحوثين لدول أفريقية غير عربية وتعاملهم مع الآفارقة

التكرارات والنسبة المئوية / الإجابات	زيارة دولة أفريقية غير عربية		التعامل مع الأفارقة	
	ك	%	ك	%
نعم	٣	١	٥٩	١٩,٧
لا	٢٩٧	٩٩	٢٤١	٨٠,٣
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (٩)

مدى إهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية / مدى الاهتمام	ك	%
تهتم إلى حد ما	١٨٥	٦١,٧
لا تهتم مطلقا	١١٠	٣٦,٦
تهتم دائماً	٥	١,٧
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (١٠)

مدى كفاية المعلومات المتاحة عن أفريقيا فى وسائل الإعلام المصرية

التكرارات والنسبة المئوية / مدى كفاية المعلومات	ك	%
غير كافية	٢٤٠	٨٠
كافية إلى حد ما	٥٣	١٧,٧
كافية تماماً	٧	٢,٣
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (١١)

نوعية المعلومات التى تتيحها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

نوعية المعلومات / التكرارات والنسبة المئوية	ك	%
معلومات رياضية	٢٠٠	٦٦,٧
معلومات سياسية	١٥٧	٥٢,٣
معلومات صحية	١١٩	٣٩,٧
معلومات بيئية	١٠٦	٥٣,٣
معلومات عسكرية	٧٠	٢٣,٣
معلومات اجتماعية	٢٩	٩,٧
معلومات ثقافية	١٢	٤
معلومات اقتصادية	–	–

- المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (١٢)

الموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

المعلومات التى تعرضها وسائل الإعلام / التكرارات والنسبة المئوية	ك	%
الفقر وأزمة الغذاء	٢٢٢	٧٤
البطولات الرياضية	١٥٩	٥٣
الحروب والصراعات العسكرية	١٥٨	٥٢,٧
الأوبئة والايدز	١١٩	٣٩,٧
الكوارث الطبيعية	١١٤	٣٨
الانقلابات العسكرية	١٠٦	٣٥,٣
الجفاف والتصحر	٩٠	٣٠
المشكلات الحدودية	٨١	٢٧
العنف والإرهاب	٦٥	٢١,٧
الطرائف والغرائب	٦٣	٢١
الصراعات القبائلية	٥٦	١٨,٧
قضايا اللاجئين	٥٠	١٦,٧
حقوق الإنسان	٤٠	١٣,٣
الثروات الطبيعية	٣٣	١١
النمو الاقتصادى	١٧	٥,٧
قضايا المديونية	١٣	٤,٣
التعددية السياسية والديمقراطية	١١	٣,٧
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠

- المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (١٣)

الموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

التكرارات والنسبة المئوية / صورة أفريقيا لدى المبحوثين	ك	%
الناحية السياسية:		
الدول الأفريقية مفككة وضعيفة دولياً	٢٤٠	٨٠
سياسات الدول الأفريقية متخبطة	٢٠١	٦٧
تتسم الدول الأفريقية بالديكتاتورية وحكم الفرد	١٠٦	٣٥,٣
تتسم الدول الأفريقية بالديمقراطية والتعددية السياسية	٢٠	٦,٧
الدول الأفريقية تمثل قوة سياسية صاعدة	١٠	٣,٣
سياسات الدول الأفريقية مستقرة	٥	١,٧
الناحية الأمنية:		
يسود الدول الأفريقية الاضطرابات والقلاقل	٢٣٣	٧٧,٧
معظم الدول الأفريقية موطن للجرائم والعصابات	١٢٩	٤٣
معظم الدول الأفريقية آمنة للعيش بها	٢٨	٩,٣
يسود الدول الأفريقية الأمن والاستقرار	٧	٢,٣
الناحية الاقتصادية:		
معظم أفراد الدول الأفريقية فقراء	٢٣١	٧٧
معظم الدول الأفريقية غارقة فى الديون	١٩١	٦٣,٧
معظم الدول الأفريقية متقدمة اقتصاديا	٢٠	٦,٧
معظم أفراد الدول الأفريقية أغنياء	١٢	٤
الناحية الاجتماعية:		
تتسم الدول الأفريقية بالترابط الأسرى	٩١	٣٠,٣
تتسم الدول الأفريقية بالتفكك الأسرى	٥٨	١٩,٣
الناحية الدينية:		
معظم الدول الأفريقية غير متدينة	٨٢	٢٧,٣
معظم الدول الأفريقية متدينة	٦٦	٢٢
من الناحية الرياضية:		
معظم الدول الأفريقية متفوقة رياضياً	١٦٢	٥٤
معظم الدول الأفريقية تتمتع بمستوى ضئيل رياضياً	٥٩	١٩,٧

تابع الجدول رقم (١٣)

الموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا

التكرارات والنسبة المئوية / صورة أفريقيا لدى المبحوثين	ك	%
النظرة المستقبلية للقارة الأفريقية:		
مستقبل الدول الأفريقية غير محدد المعالم	١٥١	٥٠,٣
مستقبل الدول الأفريقية غامض ومظلم	١٢٥	٤١,٧
مستقبل الدول الأفريقية باهر ومشرق	١٧	٥,٧
صورة المرأة الأفريقية:		
المرأة الأفريقية جاهلة ومتخلفة	١١٦	٣٨,٧
المرأة الأفريقية تابعة وخاضعة	١١٤	٣٨
المرأة الأفريقية لا تشارك فى الحياة العملية	٩٨	٣٢,٧
المرأة الأفريقية لها دور فعال فى المجتمع	٥٨	١٩,٣
المرأة الأفريقية متعلمة ومتحضرة	٤٧	١٥,٧
المرأة الأفريقية مستقلة بذاتها	٣٩	١٣
صورة الرجل الأفريقى:		
الرجل الأفريقى همجى وعصبى المزاج	١٢٦	٤٢
الرجل الأفريقى يتحمل المسئولية	١١٦	٣٨,٧
الرجل الأفريقى قليل الذكاء وعنيد	١٠١	٣٣,٧
الرجل الأفريقى جاهل ومتخلف وبدائى	١٠٠	٣٣,٣
الرجل الأفريقى كسول وروتينى	٨١	٢٧
الرجل الأفريقى متعلم ومتحضر	٥٣	١٧,٧
الرجل الأفريقى مبدع ونشيط	٥٠	١٦,٧
الرجل الأفريقى يعتمد على الآخرين	٤٩	١٦,٣
الرجل الأفريقى ذكى ومتفهم	٤٤	١٤,٧
الرجل الأفريقى هادى ومنظم	٣١	١٠,٣

- المبحوث يختار أكثر من إجابة.

جدول رقم (١٤)

الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام عن إفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية / الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام	ك	%
لا استطيع تحديد الصورة	٢٤٢	٨٠,٧
صورة موضوعية ومطابقة للواقع	٣٧	١٢,٣
صورة متحيزة ومشوهة للواقع	٢١	٧
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (١٥)

مدى اعتزاز المبحوثين بانتمائهم للقارة الأفريقية ومدى رغبتهم فى الزيارة أو العمل فى إحدى دول أفريقيا غير العربية

التكرارات والنسبة المئوية / رغبات المبحوثين	الاعتزاز بالانتماء لدول أفريقيا		الرغبة فى زيارة دولة أفريقية		الرغبة فى العمل فى دولة أفريقية	
	ك	%	ك	%	ك	%
نعم	١٢٩	٤٣	٢٠٤	٦٨	٣٢	١٠,٧
لا	١٧١	٥٧	٩٦	٣٢	٢٦٨	٨٩,٣
الاجمالى	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (١٦)

تقييم المبحوثين للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات والأفراد

تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات	ك	%	تقييم العلاقات العربية على مستوى الأفراد	ك	%
لا استطيع التحديد	١٩٥	٦٥	علاقات ضعيفة	٢٢٥	٧٥
علاقات متخلفة ومضطربة	٧٧	٢٥,٧	علاقات جيدة	٧٠	٢٣,٣
علاقات متطورة ومستقرة	٢٨	٩,٣	علاقات ممتازة	٥	١,٧
الإجمالى	٣٠٠	١٠٠	الإجمالى	٣٠٠	١٠٠

جدول رقم (١٧)

العلاقة بين نوع المبحوث ودرجة الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا

درجة الاهتمام / النوع	اهتم جداً		إلى حد ما		لا أهتم مطلقاً		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٦	٤,٨	٥٦	٤٥,٢	٦٢	٥٠	١٢٤	٤١,٣
إناث	١	٠,٦	٧٤	٤٢	١٠١	٥٧,٤	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالى	٧	٢,٣	١٣٠	٤٣,٣	١٦٣	٥٤,٤	٣٠٠	١٠٠

كا٢ = ٦,٥٧٩   التوافق = ٠,١٤٦   المعنوية = ٠,٠٣

جدول رقم (١٨)

العلاقة بين نوع المبحوث وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا

الهوية / النوع	مصرية		عربية		افريقية		غربية		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٨٩	٧١,٨	١٩	١٥,٣	٤	٣,٢	١٢	٩,٧	١٢٤	٤١,٣
إناث	١٣١	٧٤,٤	٣١	١٧,٦	١	٠,٦	١٣	٧,٤	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالى	٢٢٠	٧٣,٣	٥٠	١٦,٧	٥	١,٧	٢٥	٨,٣	٣٠٠	١٠٠

كا٢ = ٣,٨٤٠   التوافق = ٠,١١٢   المعنوية = ٠,٢٧

جدول رقم (١٩)

العلاقة بين نوع المبحوث وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا

النوع / نوعية المعلومات	ذكور		إنـــاث		الإجمالى	النسبة	كا٢	معامل التوافق	مستوى المعنوية
	ك	%	ك	%					
سياسية	٧٠	٥٦,٥	٨٧	٤٩,٤	١٥٧	٥٢,٣	١,٤٣٧	٠,٠٦٩	٠,٢٣
عسكرية	٤٦	٣٧,١	٢٤	١٣,٦	٧١	٢٣,٣	٢٢,٣٨٢	٠,٢٦٣	٠,٠٠٠
رياضية	٩٦	٧٧,٤	١٠٤	٥٩,١	٢٠٠	٦٦,٧	١٠,٩٩٧	٠,١٨٨	٠,٥٥١
ثقافية	٢	١,٦	١٠	٥,٧	١٢	٤	٣,١٣٦	٠,١٠٢	٠,٠٠٧
اجتماعية	٨	٦,٥	٢١	١١,٩	٢٩	٩,٧	٢,٥٠٢	٠,٠٩١	٠,١١٤
بيئية	٤٤	٣٥,٥	٦٢	٣٥,٢	١٠٦	٣٥,٣	٠,٠٠٢	٠,٠٠٣	٠,٩٦
صحية	٣٩	٣١,٥	٨٠	٤٥,٥	١١٩	٣٩,٧	٥,٩٦٠	٠,١٤٠	٠,٠٠١
اقتصادية	–	–	–	–	–	–	–	–	–

جدول رقم (٢٠)

العلاقة بين نوع المبحوث والصورة التى تعكسها وسائل الإعلام عن أفريقيا

الصورة / نوع المبحوث	موضوعية ومطابقة للواقع		متحيزة ومشوهة		لا أستطيع التحديد		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٢٢	١٧,٧	٧	٥,٦	٩٥	٧٦,٦	١٢٤	٤١,٣
إناث	١٥	٨,٥	١٤	٨	١٤٧	٨٣,٥	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالى	٣٧	١٢,٣	٢١	٧	٢٤٢	٨٠,٧	٣٠٠	١٠٠

كا^{2} = ٥,٩٩٨ معامل التوافق = ٠,١٤٠ مستوى المعنوية = ٠,٠٠٥

جدول رقم (٢١)

العلاقة بين نوع المبحوث واعتزازه بالانتماء للقارة الأفريقية

الصورة / نوع المبحوث	نعـم		لا		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%		
ذكور	٦٧	٥٤	٥٧	٤٦	١٢٤	٤١,٣
إناث	٦٢	٣٥,٢	١١٤	٦٤,٨	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالى	١٢٩	٤٣	١٧١	٥٧	٣٠٠	١٠٠

كا^{2} = ١٠,٤٩٦ معامل التوافق = ٠,١٨٤ مستوى المعنوية = ٠,٠٠١

جدول رقم (٢٢)

العلاقة بين نوع المبحوث وتوصيف العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات

العلاقات / نوع المبحوث	متطورة		متخلفة		لا أستطيع التحديد		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	١٨	١٤,٥	٤٠	٣٢,٣	٦٦	٥٣,٢	١٢٤	٤١,٣
إناث	١٠	٥,٧	٣٧	٢١	١٢٩	٧٣,٣	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالى	٢٨	٩,٣	٧٧	٢٥,٧	١٩٥	٦٦	٣٠٠	١٠٠

كا^{2} = ١٤,١٦٩ معامل التوافق = ٠,٢١٢ مستوى المعنوية = ٠,٠٠١

جدول رقم (٢٣)

العلاقة بين نوع المبحوث وتوصيف العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد

العلاقات / نوع المبحوث	ممتازة		جيدة		ضعيفة		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
ذكور	٢	١,٦	٣٠	٢٤,٢	٩٢	٧٤,٢	١٢٤	٤١,٣
إناث	٣	١,٧	٤٠	٢٢,٧	١٣٣	٧٥,٦	١٧٦	٥٨,٧
الإجمالى	٥	١,٧	٧٠	٢٣,٣	٢٢٥	٧٥	٣٠٠	١٠٠

كا٢ = ٠,٠٩٨   معامل التوافق = ٠,١٧   مستوى المعنوية = ٠,٩٥٦

جدول رقم (٢٤)

العلاقة بين نوع الجامعة والإهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا

درجة الاهتمام / نوع الجامعة	اهتم جداً		إلى حد ما		لا أهتم		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	٣	٢	٥٥	٣٦,٧	٩٢	٦١,٣	١٥٠	٥٠
خاصة	٤	٢,٧	٧٥	٥٠	٧١	٤٧,٣	١٥٠	٥٠
الإجمالى	٧	٢,٣	١٣٠	٤٣,٣	١٦٣	٥٤,٣	٣٠٠	١٠٠

كا٢ = ٥,٩٢٥   معامل التوافق = ٠,١٣٩   مستوى المعنوية = ٠,٠٠٥

جدول رقم (٢٥)

العلاقة بين نوع الجامعة وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا

الهوية / نوع الجامعة	مصرية		عربية		افريقية		غربية		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	١١٨	٧٨,٧	١٥	١٠	٣	٢	١٤	٩,٣	١٥٠	٥٠
خاصة	١٠٢	٦٨	٣٥	٢٣,٣	٢	١,٣	١١	٧,٣	١٥٠	٥٠
الإجمالى	٢٢٠	٧٣,٣	٥٠	١٦,٧	٥	١,٧	٢٥	٨,٣	٣٠٠	١٠٠

كا٢ = ٩,٧٢٤   معامل التوافق = ٠,١٧٧   مستوى المعنوية = ٠,٠٢

جدول رقم (٢٦)

العلاقة بين نوع الجامعة ونوعية المعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام المصرية

نوع الجامعة / نوع المعلومات	حكومية		خاصة		الإجمالى	النسبة	كا²	معامل التوافق	مستوى المعنوية
	ك	%	ك	%					
سياسية	٧٧	٥١,٣	٨٠	٥٣,٣	١٥٧	٥٢,٣	٠,١٢٠	٠,٠٠٢	٠,٧٢٩
عسكرية	٢٦	١٧,٣	٤٤	٢٩,٣	٧٠	٢٣,٣	٦,٠٣٧	٠,١٤٠	٠,٠١٤
رياضية	٨٩	٥٩,٣	١١١	٧٤	٢٠٠	٦٦,٧	٧,٢٦٠	٠,١٥٤	٠,٠٠٧
ثقافية	٩	٠,٦	٣	٠,٢	١٢	٠,٤	٣,١٢٥	٠,١٠٢	٠,٠٧
اجتماعية	١٢	٨	١٧	١١,٣	٢٩	٩,٧	٠,٩٥٤	٠,٠٥٦	٠,٣٢٩
بيئية	٥٢	٣٤,٧	٥٤	٣٦	١٠٦	٣٥,٣	٠,٠٥٨	٠,٠١٤	٠,٨٠
صحية	٦٧	٤٤,٧	٥٢	٣٤,٧	١١٩	٣٩,٧	٣,١٣٤	٠,١٠٢	٠,٠٧
اقتصادية	–	–	–	–	–	–	–	–	–

جدول رقم (٢٧)

العلاقة بين نوع الجامعة والصورة التى تعكسها وسائل الإعلام عن أفريقيا

الصورة / نوع الجامعة	موضوعية ومطابقة للواقع		متحيزة ومشوهة		لا استطيع التحديد		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	١٦	١٠,٧	١١	٧,٣	١٢٣	٨٢	١٥٠	٥٠
خاصة	٢١	١٤	١٠	٦,٧	١١٩	٧٩,٣	١٥٠	٥٠
الإجمالى	٣٧	١٢,٣	٢١	٧	٢٤٢	٨٠٧	٣٠٠	١٠٠

كا² = ٠,٧٨٩   معامل التوافق = ٠,٠٥١   مستوى المعنوية = ٠,٦٧٤

جدول رقم (٢٨)

العلاقة بين نوع الجامعة واعتزاز المبحوث بانتمائه للقارة الأفريقية

الاعتزاز / نوع الجامعة	نعـم		لا		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%		
حكومية	٦٣	٤٢	٨٧	٥٨	١٥٠	٥٠
خاصة	٦٦	٤٤	٨٤	٥٦	١٥٠	٥٠
الإجمالى	١٢٩	٤٣	١٧١	٥٧	٣٠٠	١٠٠

كا² = ٠,١٢٢   معامل التوافق = ٠,٠٢٠   مستوى المعنوية = ٠,٧٢٦

جدول رقم (٢٩)

العلاقة بين نوع الجامعة والعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات

العلاقات / نوع الجامعة	متطورة		متخلفة		لا استطيع التحديد		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	١٦	١٠,٧	٣٠	٢٠	١٠٤	٦٩,٣	١٥٠	٥٠
خاصة	١٢	٨	٤٧	٣١,٣	٩١	٦٠,٧	١٥٠	٥٠
الإجمالى	٢٨	٩,٣	٧٧	٢٥,٧	١٩٥	٦٥	٣٠٠	١٠٠

كا^2 = ٥,١٩١ معامل التوافق = ٠,١٣٠ مستوى المعنوية = ٠,٠٧

جدول رقم (٣٠)

العلاقة بين نوع الجامعة والعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد

العلاقات / نوع الجامعة	متطورة		متخلفة		لا استطيع التحديد		الإجمالى	النسبة
	ك	%	ك	%	ك	%		
حكومية	٣	٢	٣٠	٢٠	١١٧	٧٨	١٥٠	٥٠
خاصة	٢	١,٣	٤٠	٢٦,٧	١٠٨	٧٢	١٥٠	٥٠
الإجمالى	٥	١,٧	٧٠	٢٣,٣	٢٢٥	٧٥	٣٠٠	١٠٠

كا^2 = ١,٩٨٩ معامل التوافق = ٠,٠٨١ مستوى المعنوية = ٠,٣٧

جدول رقم (٣١)

الفروق بين نوع المبحوث ومستوى معلوماته عن أفريقيا

مستوى المعلومات / نوع المبحوث	العدد	المتوسط*	الانحراف المعيارى	قيمة ت	مستوى المعنوية
ذكور	١٢٤	٧,٨٧	٥,٢٤	٦,٦٥٥	٠,٠٠٠
إناث	١٧٦	٤,٥٥	٣,١٨		
الاجمالى	٣٠٠				

* ملحوظة: تم حساب درجة المعلومات العامة للمبحوثين من ٢٠ درجة من إجمالى عدد ثمانية أسئلة.

جدول رقم (٣٢)

الفروق بين نوع الجامعة ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا

مستوى المعلومات / نوع الجامعة	العدد	المتوسط من ٢٠ درجة	الانحراف المعيارى	قيمة ت	مستوى المعنوية
حكومية	١٥٠	٥,٤٤	٤,٤٠	-١,٨٢	-٠,٠٧
خاصة	١٥٠	٦,٤	٤,٦٥		
الاجمالى	٣٠٠				

جدول رقم (٣٣)

الفروق بين نوع التعليم (نظرى / علمى) ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا

مستوى المعلومات / نوع التعليم	العدد	المتوسط من ٢٠ درجة	الانحراف المعيارى	قيمة ت	مستوى المعنوية
نظرى	٢٣٨	٦,٥١	٤,٣٢	٤,٥٦	٠,٠٠٠
عملى	٦٢	٣,٦٤	٤,٧١		
الاجمالى	٣٠٠				

جدول رقم (٣٤)

تأثير درجة اهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا وحجم معلوماتهم

مستوى المعلومات / درجة الاهتمام	العدد	المتوسط من ٢٠ درجة	الانحراف المعيارى	مستوى المعنوية
اهتم جداً	٧	١٣,٢٨	٢,٤٩	٠,٠٠٠
إلى حد ما	١٣٠	٧,٤٣	٤,٤٩	
لا أهتم مطلقاً	١٦٣	٤,٤	٣,٩٢	
الاجمالى	٣٠٠	٥,٩٢	٤,٥٥	

مناقشة النتائج

الإجابة على تساؤلات الدراسة:

يتضح لنا من الجدول رقم (١) والخاص بتوصيف عينة الدراسة أن نسبة الإناث فى العينة قد بلغت ٥٨,٧% مقابل ٤١,٣% للذكور، وفيما يتعلق بنوع التعليم فقد بلغت نسبة طلاب وطالبات الكليات النظرية ٧٩,٣% مقابل ٢٠,٧% لطلاب الكليات العملية، أما بالنسبة لنوع الجامعة فقد قسمتها الباحثة إلى نصفين متساويين ما بين الجامعات الحكومية والخاصة بنسبة ٥٠% لكل منهما. وأما بالنسبة لعمر المبحوث فقد بلغ المتوسط الحسابى له ١٩ سنة و٣ شهور.

أولاً: التساؤلات الخاصة بتحليل المحتوى:

١- ما حجم أخبار افريقيا غير العربية فى جريدة الأهرام اليومية والقناة الأولى بالتليفزيون المصرى؟ وما نوعية هذه الأخبار؟ وما هى الدول التى تناولتها؟

تشير بيانات الجدول رقم (٢) إلى أن نسبة المساحة المخصصة لأخبار أفريقيا غير العربية قد بلغت ١,٣% فى جريدة الأهرام اليومية مقابل ٠,٥% فقط للمساحة الزمنية لنشرة أخبار التاسعة بالقناة الأولى بالتليفزيون المصرى، فى حين بلغت النسبة العددية لأخبار أفريقيا فى جريدة الأهرام ٢,٢% مقابل ١,٩% للتليفزيون. ويتضح لنا من خلال هذه النتائج تفوق جريدة الأهرام على التليفزيون المصرى فى تقديم أخبار عن أفريقيا غير العربية وإن كان ذلك بفروق ليست كبيرة، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة شاهيناز طلعت ومنى الحديدى (١٩٨٧)[١]. وفيما يتعلق بنوعية تلك الأخبار والموضوعات فقد جاءت الأخبار والموضوعات السياسية فى مقدمة أخبار وموضوعات جريدة الأهرام (١٦ خبر وموضوع) بنسبة ٤٤,٥%، يليها العسكرية (١٢ خبر) بنسبة ٣٣,٣%، ثم الرياضية (٧) بنسبة ١٩,٤%، ثم الأمنية (١) بنسبة ٢,٨%، أما بالنسبة للتليفزيون فقد جاءت الأخبار والموضوعات السياسية فى المقدمة أيضاً (٥ أخبار) بنسبة ٥٠%، يليها الإقتصادية (٢) بنسبة ٢٠%، فالعسكرية

---

[١] الخضر بن عبر الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص٧٥-٧٦.

(٢) بنسبة ٢٠%، فالرياضية (١) بنسبة ١٠%. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتائج دراسة كل من شاهيناز طلعت ومنى الحديدى (١٩٨٧)[١] ودراسة Festus Eribo (١٩٩٣)[٢] من حيث تصدر الأخبار السياسية الخاصة بأفريقيا لوسائل الإعلام المختلفة.

وفيما يتعلق بالدول التى تناولتها هذه الأخبار والموضوعات جاءت كوت ديفوار فى مقدمة أخبار كل من جريدة الأهرام والتليفزيون بنسبة ٣٣,٣%، ٤٠% على التوالى، ثم احتلت أثيوبيا المكانة الثانية بالنسبة لجريدة الأهرام بنسبة ٢٢,٢%، ثم نيجيريا ١٦,٧%، ثم جنوب أفريقيا ١٣,٩% ثم كل من السنغال وساحل العاج ٥,٦%، ثم الاتحاد الأفريقى لكرة القدم ٢,٨%. أما بالنسبة للتليفزيون فقد احتلت جنوب أفريقيا المكانة الثانية بنسبة ٣٠%، ثم نيجيريا ٢٠%، ثم الاتحاد الأفريقى لكرة القدم ١٠%، وتختلف هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة Wadim Scureiner (٢٠٠٠)[٣].

يتضح لنا من النتائج السابقة قلة الأخبار والموضوعات التى تقدمها وسائل الإعلام المصرية عن دول أفريقيا غير العربية الأمر الذى انعكس على صورة القارة الأفريقية بصفة عامة والإنسان الأفريقى بصفة خاصة لدى الشباب الجامعى كما سيتضح لنا من النتائج التحليلية القادمة، مما يتطلب من القائمين بالاتصال فى وسائل الإعلام المختلفة ضرورة الإهتمام بإعطاء القارة الأفريقية المزيد من الرعاية والحرص على تقديم أخبارها وقضاياها بما يتناسب مع أهميتها وكثرة عدد دولها وأهميتها الخاصة لمصر.

ثانياً: التساؤلات الخاصة بالمبحوثين:

التساؤل الأول: مدى الإهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا؟ وأسباب عدم الإهتمام؟

تشير بيانات الجدول رقم (٣) إلى أن نسبة ٥٤,٣% من شباب الجامعات المصرية لا يهتمون بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية مقابل ٢,٣% فقط يهتمون بالحصول على معلومات عنها بصورة جادة. وربما يعود ذلك من وجهة

[١] الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص٧٥-٧٦.

[2] Eribo, Festus. (1993). Op.cit., p. 5.
[3] Scureiner, Wadim. (2000).

نظر الباحثة إلى قلة المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية حيث تشير النظريات الحديثة لعلوم الاتصال إلى أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقدم جميع المعلومات والقضايا والأخبار التى تقع فى العالم، والتالى يختار القائمون على هذه الوسائل بعض الأخبار والموضوعات يتم التركيز عليها والإهتمام بها، هـذه الموضوعات تثير إهتمامات الأفراد تدريجياً وتجعلهم يفكرون فيها وبالتالى تمثل هـذه الموضوعات أهمية كبيرة لدى الجماهير أكثر من الموضوعات التى لا تهتم بها وسائل الإعلام وبالتالى يقل إهتمام الجمهور ومعرفته بها.[١]

وتشير بيانات الجدول رقم (٤) إلى أن أهم أسباب عدم اهتمام الشباب الجـامعى بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية هو عدم وجود إهتمام إعلامى بالقارة الأفريقية بنسبة ٢٩,٧%، يليها أن مصادر المعلومات المتاحة أمام الشباب عن أفريقيا غير متاحة بالقدر الكافى بنسبة ٢٣,٣%، ولعل هذان السببان يساعدانا علـى تفـسير النتيجة السابقة، ثم يأتى بعد ذلك احساس الشباب بعدم وجود دور فاعل لأفريقيا غيـر العربية على الصعيد الدولى ٢٠%، الأمر الذى يتطلب من القـائمين علـى وسـائل الإعلام المصرية والعربية ضرورة إعادة النظر فى حجم المعلومات التى توفرها هذه الوسائل عن أفريقيا غير العربية.

التساؤل الثانى: قياس المعلومات العامة للمبحوثين عن أفريقيا:

وقد تضمن هذا التساؤل ثمانية أسئلة فرعية. وتشير بيانات الجدول رقم (٥) إلى أن المبحوثين الذين استطاعوا الإجابة الصحيحة عن السؤال الأول والخاص بعدد دول القارة الأفريقية قد بلغ ١٣,٣% فقط مقابل ٨٦,٧% إجابات خاطئـة. وفيمـا يتعلـق بالسؤال الثانى عن أكبر دولة أفريقية من حيث التعـداد الـسكانى كانـت الإجابـات الصحيحة ١٩,٣% فقط مقابل ٨٠,٧% إجابات خاطئة. وحول مقر الاتحاد الإفريقـى لكرة القدم أجاب ٣٧,٣% من الشباب الجامعى إجابات صحيحة مقابل ٦٢,٧% إجابات خاطئة، وفيما يتعلق بالسؤال الرابع والخاص بذكر أسم أديب أفريقى غير عربى لـم يتمكن سوى ١% فقط من الإجابة الصحيحة مقابل ٩٩% إجابات خاطئة. أما الـسؤال الخامس والخاص بذكر أسماء خمس دول أفريقية أجابت نسبة ٥٤% إجابات صحيحة

[١] حسن عماد مكاوى وليلى حسين السيد (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص٢٨٨.

مقابل ٢٢,٧% إجابات خاطئة والنسبة المتبقية أجابت ما بين أربع إجابات صحيحة وثلاثة، واثنتين، وواحدة. وفيما يتعلق بذكر أسماء عواصم خمس دول أفريقية انخفضت نسبة الاجابات الصحيحة إلى ٦,٧% مقابل ٦٥% اجابات خاطئة، وحينما طلب من الشباب ذكر أسماء ثلاث لغات أفريقية لم يتمكن أى مبحوث من الإجابة الصحيحة. وأخيراً عندما طلب منهم ذكر أسماء ثلاثة أبطال رياضيين توصل ١٧,٧% منهم إلى الإجابة الصحيحة مقابل ٦٠% إجابات خاطئة.

ويتضح لنا مما سبق ضعف المعلومات العامة للشباب الجامعى عن أفريقيا غير العربية بصورة كبيرة حيث لاحظت الباحثة أن الكثيرين منهم على سبيل المثال لا يعرفون الفرق بين دول قارة آسيا وقارة أفريقيا فكانوا يذكرون العديد من الدول الآسيوية على أنها دول أفريقية مثل باكستان والصين واليابان، وتتفق هذه النتيجة والخاصة بضعف معلومات الشباب عن أفريقيا مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢)[1] وتُرجع الباحثة هذه النتيجة من وجهة نظرها إلى سببين أساسيين وهما قلة إهتمام الشباب بالقراءة بصفة عامة وضعف المعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا بصفة خاصة.

التساؤل الثالث: مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا:

وتضمن هذا التساؤل ستة أسئلة فرعية جاءت إجاباتها على النحو التالى: تشير بيانات الجدول رقم (٦) والخاص بمصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا أن التليفزيون يعتبر المصدر الرئيسى للشباب الجامعى فى الحصول على المعلومات بنسبة ٧٣,٣%، يليه الجرائد بنسبة ٥٣,٧%، ثم الإنترنت ٢٩%، فى حين جاءت كل من المنشورات التى تصدرها السفارات والفيديو فى مؤخرة المصادر التى يعتمد عليها الشباب فى الحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات السابقة مثل دراسة Carolyn Johnson (١٩٨٥)[2]، ودراسة

[1] الخضر بن عبر الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص١٠٧-١٠٨.

[2] Johnson, Carolyn & Gross, Lynne. (1985). Mass Media by women in decision making Positions. ***Journalism Quarterly***, Vol. 62, No. 4, pp. 850-854.

Hugh وزملائه (١٩٨٦)[١]، ودراسة Oscar Gandy وزملائه (١٩٨٧)[٢]، ودراسة McDonald, D. (١٩٩٣)[٣]، ودراسة حسن عماد مكاوى (١٩٩١)[٤]، ودراسة شاهيناز بسيونى (١٩٩٣)[٥]، ودراسة خالد صلاح الدين (١٩٩٧)[٦]، ودراسة ليلى حسين (٢٠٠١)[٧].

وفيما يتعلق بهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية تشير نتائج الجدول رقم (٧) إلى أن نسبة ٧٣,٣% من الشباب الجامعى يعتمدون على مصادر مصرية فى الحصول على معلوماتهم، تليها المصادر العربية ثم الغربية وأخيراً المصادر الأفريقية.

وحول مدى قبول المبحوثين التعامل مع الأفارقة تشير بيانات الجدول رقم (٨) إلى أن ١٩,٧% من الشباب يقبلون التعامل مع الأفارقة بشكل مباشر مقابل ٨٠,٣% يرفضون ذلك وفيما إذا كان المبحوث قد سبق له زيارة إحدى دول أفريقيا غير العربية، أشارت نسبة ١% فقط أنها توافرت لها فرصة الزيارة مقابل ٩٩% لم تتوافر لهم هذه الفرصة. وربما تعود هذه النتائج إلى قلة معلومات الشباب عن دول أفريقيا غير العربية، وعدم معرفتهم تفاصيل حياة شعوب الدول الأفريقية.

وفيما يتعلق بمدى إهتمام وسائل الإعلام المصرية بتقديم معلومات عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظر المبحوثين، تشير بيانات الجدول رقم (٩) إلى أن ٦١,٧%

---

(1) Hugh, M. Culbertson, G. & Stemp III, H. (1986). How Media use and Reliance Affect Knowledge Level. ***Communication Research***, Vol. 13, No. 4, pp. 579-602.

(2) Gandy, Oscar. & Matabane, Paula W. & Omachonue, John. (1987) Media Use, Reliance and Active Participation: Exploring Student Awareness of South African Conflict, ***Communication Research***. Vol. 14, No. 6, Dec. pp. 644-663.

(3) McDonald, D. (1993). Investing Assumptions of Media Dependency Research. ***Communication Research***, Vol. 10, No. 4, pp. 509-525.

(٤) حسن عماد مكاوى (١٩٩١). علاقة طلاب الجامعة فى سلطنة عمان بوسائل الاتصال الجماهيرى، دراسة مسحية مقارنة. ***مجلة بحوث الاتصال***، العدد الخامس، يوليو ص ص١٢٤-١٤٤.

(٥) شاهيناز بسيونى (١٩٩٣). العلاقة بين التعرض لوسائل الاتصال وطبيعة الاتجاه نحو مشكلة الإرهاب: دراسة إحصائية عاملية، ***بحوث الاتصال***، العدد العاشر - ديسمبر، ص٥٣.

(٦) خالد صلاح الدين (١٩٩٧). دور التليفزيون والصحافة فى توجيه وترتيب اهتمامات الجمهور نحو القضايا العامة فى مصر: دراسة تحليلية - ميدانية، ***رسالة ماجستير غير منشورة*** - كلية الإعلام - جامعة القاهرة.

(٧) ليلى حسين السيد (٢٠٠١). اعتماد المرأة المصرية على وسائل الإعلام فى تلبية احتياجاتها. ***مجلة البحوث والدراسات العربية*** (معهد البحوث والدراسات العربية - العدد ٢٦، ديسمبر) ص ص٢٦٧-٣٢٥.

من الشباب الجامعى يرون أن وسائل الإعلام المصرية تهتم إلى حد ما بتقديم معلومات وأخبار عن أفريقيا مقابل ٣٦,٦% يرون أنها لا تهتم مطلقاً. وأخيراً فيما يتعلق بمدى كفاية المعلومات المتاحة عن أفريقيا فى وسائل الإعلام المصرية من وجهة نظر المبحوثين تشير بيانات الجدول رقم (١٠) إلى أن نسبة ٨٠% من الشباب ترى أن المعلومات غير كافية مطلقاً، مقابل ٢,٣% ترى أنها كافية تماماً. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتيجة دراسة الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢)[1].

التساؤل الرابع: أبعاد الصورة الذهنية لأفريقيا:

وقد تضمن هذا التساؤل خمسة أسئلة فرعية جاءت إجاباتها على النحو التالى: فيما يتعلق بنوعية المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا من وجهة نظر المبحوث، تشير بيانات الجدول رقم (١١) إلى أن ٦٦,٧% منهم أشاروا إلى أن المعلومات الرياضية هى أكثر أنواع المعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام عن أفريقيا، يليها المعلومات السياسية ٥٢,٣%، فى حين لم يذكر أى مبحوث المعلومات الإقتصادية كإحدى نوعيات المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية وهو أمر ملفت للنظر حيث يعتقد الشباب أن وسائل الإعلام المصرية تهتم فقط بتقديم الأخبار الرياضية فى حين لا يهتمون بالمعلومات الإقتصادية على الرغم من أن الدول الأفريقية تمر الآن بمرحلة النمو الاقتصادى للعديد من دولها.

وفيما يتعلق بأكثر الموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا من وجهة نظر الشباب الجامعى تشير بيانات الجدول رقم (١٢) إلى أن أزمة الفقر والغذاء جاءت فى مقدمة الموضوعات التى تقدمها وسائل الإعلام عن أفريقيا بنسبة ٧٤%، تليها البطولات الرياضية ٥٣%، ثم الحروب والصراعات العسكرية ٥٢,٧%، فى حين أشارت النتائج إلى أن قضايا المديونية، والتعددية السياسية جاءتا فى مؤخرة الموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام من وجهة نظر الشباب الجامعى. وتتفق هذه النتيجة والخاصة بتصدر أزمة الفقر والغذاء للموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام مع العديد من نتائج الدراسات السابقة مثل دراسة Milfred

[1] الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص١١٣.

(١٩٨٢)[١]، ودراسة أشرف عبد المغيث (١٩٩٣)[٢]، ودراسة محمد عاشور (١٩٩٩)[٣]، ودراسة عبد العزيز شاهين (١٩٩٩)[٤].

وفيما يتعلق بطبيعة الصورة التى يكونها الشباب الجامعى عن أفريقيا غير العربية من كافة الجوانب تشير بيانات الجدول رقم (١٣) إلى أنه فيما يتعلق بالصورة من **الناحية السياسية** ترى نسبة ٨٠% من الشباب أن الدول الأفريقية مفككة وضعيفة دولياً، وترى نسبة ٦٧% إن سياسات الدول الأفريقية متخبطة وذلك مقابل ١,٧% يرون أن سياسات الدول الأفريقية مستقرة. وفيما يتعلق بالصورة التى يكونها الشباب من **الناحية الأمنية** ترى نسبة ٧٧,٧% إن الدول الأفريقية يسودها الإضطرابات والقلاقل، وإنها موطن للعصابات والجرائم بنسبة ٤٣% مقابل ٢,٣% فقط يرون أن الدول الأفريقية يسودها الأمن والإستقرار. وفيما يتعلق بطبيعة الصورة من **الناحية الاقتصادية** ترى نسبة ٧٧% من الشباب الجامعى إن معظم أفراد الدول الأفريقية فقراء، وترى نسبة ٦٣,٧% إن معظم الدول الأفريقية غارقة فى الديون مقابل ٤% فقط يرون أن معظم أفراد الدول الأفريقية أغنياء. أما من **الناحية الإجتماعية** فترى نسبة ٣٠,٣% إن الدول الأفريقية تتسم بالترابط الأسرى مقابل ١٩,٣% يرون أنها تتسم بالتفكك الأسرى. وفيما يتعلق بطبيعة الصورة التى يكونها الشباب الجامعى عن أفريقيا غير العربية من **الناحية الدينية** يرى نسبة ٢٧,٣% من المبحوثين إن معظم الدول الأفريقية غير متدينة مقابل ٢٢% ترى إنها دول متدينة. أما من **الناحية الرياضية** فترى نسبة ٥٤% إن معظم الدول الأفريقية متفوقة رياضياً مقابل نسبة ١٩,٧% ترى إن الدول الأفريقية تتمتع بمستوى ضئيل رياضياً. وفيما يتعلق **بالنظرة المستقبلية** التى يكونها الشباب الجامعى عن أفريقيا غير العربية ترى نسبة ٥٠,٣% إن الصورة المستقبلية للدول الأفريقية غير محددة المعالم، وترى نسبة ٤١,٧% إن

---

[1] Fierce, Milfred. (1982). Op.cit., p. 669.

[٢] أشرف عبد المغيث (١٩٩٣). مرجع سابق. ص ص٢٠٠-٢٢٠.

[٣] محمد عاشور (١٩٩٩). مرجع سابق. ص ص١٥٦-١٧٣.

[٤] عبد العزيز شاهين (١٩٩٩). صورة الإنسان الأفريقى فى المقررات الدراسية المصرية - رؤية أنثروبولوجية. *ندوة أفريقيا فى المقررات الدراسية* (معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة - ١٥-١٦ مايو) ص ص٣٥-٤٣.

مستقبل الدول الأفريقية غامض ومظلم مقابل نسبة ٥,٧% فقط ترى إن مستقبلها باهر ومشرق. وفيما يتعلق بالصور التى يكونها الشباب الجامعى عن **المرأة الأفريقية** ترى نسبة ٣٨,٧% إن المرأة الأفريقية جاهلة ومتخلفة، ونسبة ٣٨% ترى إنها تابعة وخاضعة، بينما ترى نسبة ٣٢,٧% إنها لا تشارك فى الحياة العملية، وأما بالنسبة **لصورة الرجل الأفريقى** فترى نسبة ٤٢% إن الرجل الأفريقى رجلاً همجياً وعصبى المزاج، وترى نسبة ٣٣,٧% أنه قليل الذكاء وعنيد وجاهل ومتخلف وبدائى.

ومن خلال استعراض البيانات الواردة فى الجدول رقم (١٣) يتضح لنا أن الصورة التى يكونها الشباب الجامعى عن أفريقيا غير العربية من جميع النواحى هى صورة قاتمة ومتحيزة ومشوهة ويعود ذلك للأسباب التى ذكرتها الباحثة من قبل. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات السابقة مثل دراسة Milfred (١٩٨٢)[١]، ودراسة أشرف عبد المغيث (١٩٩٣)[٢]، ودراسة Eribo, Festus (١٩٩٣)[٣]، ودراسة Sigleman & Tuch (١٩٩٧)[٤]، ودراسة محمد عاشور (١٩٩٩)[٥]، ودراسة إبراهيم نصر الدين (٢٠٠٠)[٦]، ودراسة الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢)[٧].

وأخيراً فيما يتعلق بطبيعة الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظر المبحوثين تشير بيانات الجدول رقم (١٤) إلى أن نسبة ٨٠,٧% من الشباب الجامعى لا تستطيع تحديد معالم هذه الصورة مقابل نسبة ١٢,٣% ترى إنها صورة موضوعية ومطابقة للواقع، ونسبة ٧% يرون إنها صورة متحيزة ومشوهة للواقع. وربما ترجع عدم قدرة الشباب على تحديد طبيعة الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام إلى ضعف المعلومات التى تقدمها هذه الوسائل وعدم معرفتهم الدقيقة بحقيقة القارة الأفريقية وتفاصيلها وثرواتها وأهميتها الاستراتيجية.

---

(1) Fierce, Milfred. (1982). Op.cit., p. 51.

(٢) أشرف عبد المغيث (١٩٩٣). مرجع سابق. ص ص٢٠٠-٢٢٠.

(3) Eribo, Festus. (1993). Op.cit., p. 51.

(4) Sigelman, & Tuch, (1997) Op.cit., p. 67.

(٥) محمد عاشور (١٩٩٩). مرجع سابق. ص ص١٥٦-١٧٣.

(٦) إبراهيم أحمد نصر الدين (٢٠٠٠). مرجع سابق. ص ص٢٩-٣٥.

(٧) الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص١٢٢-١٢٨.

التساؤل الخامس: اتجاهات المبحوثين نحو أفريقيا:

وقد تضمن هذا التساؤل خمسة أسئلة فرعية. ففيما يتعلق بالسؤال الخاص بمدى قبول المبحوثين توصيف مصر بإنتماءها لدول القارة الأفريقية تشير بيانات الجدول رقم (١٥) إلى أن نسبة ٥٧% من الشباب الجامعى لا يقبلون ذلك مقابل ٤٣% يعتزون بإنتماء مصر للقارة الأفريقية. وفيما يتعلق برغبتهم فى زيارة إحدى الدول الأفريقية فتشير بيانات نفس الجدول إلى أن ٦٨% من الشباب لديهم الرغبة فى زيارة دول القارة الأفريقية مقابل ٣٢% يرفضون ذلك، وفيما يتعلق بمدى قبول المبحوث العمل فى إحدى دول أفريقيا غير العربية تشير بيانات الجدول رقم (١٥) إلى أن ٨٩,٣% يرفضون العمل فى أفريقيا مقابل ١٠,٧% فقط يقبلون ذلك. وترجع الباحثة هذه النتائج إلى قلة وضعف معلومات الشباب عن دول أفريقيا غير العربية الأمر الذى يجعلهم غير ملمين بها وبثرواتها وإمكانياتها الكبيرة، مما يُلقى بجزء كبير من المسئولية على وسائل الإعلام بضرورة إزالة هذا الغموض وتوضيح الصورة الحقيقية لأفريقيا. وحول مدى تقييم المبحوث للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات تشير بيانات الجدول رقم (١٦) إلى أن ٦٥% منهم لا يستطيعون تحديد طبيعة هذه العلاقات، فى حين أشار٢٥,٧% إلى أنها علاقات متخلفة ومضطربة. وأما عن تقييم الشباب الجامعى لنفس العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد فتشير بيانات نفس الجداول إلى أن ٧٥% من الشباب يرون إنها علاقات ضعيفة مقابل ١,٧% يرون إنها علاقات ممتازة وقوية. وتتفق هذه النتائج إلى حد ما مع ما توصلت إليه نتائج دراستى إبراهيم نصر الدين (٢٠٠٠)[١]، ودراسة الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢)[٢].

اختبار فروض الدراسة:

الفرض الأول: توجد علاقة ارتباط بين نوع المبحوث (ذكر / أنثى) ونوع الجامعة (حكومية / خاصة) وبين كل من:

- الاهتمام بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية.
- هوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية.

[١] إبراهيم أحمد نصر الدين (٢٠٠٠). مرجع سابق. ص ص٢٩-٣٥.

[٢] الخضر بن عبد الباقى (٢٠٠٢). مرجع سابق، ص ص١٣٦-١٣٧.

- نوعية المعلومات التى توفرها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.
- الإعتزاز بإنتماء مصر لدول القارة الأفريقية.
- تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات.
- تقييم العلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد.

تشير بيانات الجدول رقم (١٧) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث ودرجة إهتمامه بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^{٢} ٦,٥٧٩ ومعامل التوافق ٠,١٤٦ عند مستوى معنوية ٠,٠٣.

كذلك تبين من بيانات الجدول رقم (١٨) عدم وجود علاقة بين نوع المبحوث وهوية مصادر معلوماته عن أفريقيا غير العربية.

وتشير بيانات الجدول رقم (١٩) والخاص بالعلاقة بين نوع المبحوث ونوعية الموضوعات التى تقدمها وسائل الإعلام عن أفريقيا من وجهة نظر المبحوث إلى وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الذكور فيما يتعلق بنوعية المعلومات العسكرية عن أفريقيا حيث بلغت قيمة معامل التوافق ٠,٢٦٣ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠، فى حين تبين وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الإناث فيما يتعلق بكل من المعلومات الثقافية حيث بلغت قيمة معامل التوافق ٠,١٠٢ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٧، والمعلومات الصحية حيث بلغت قيمة معامل التوافق ٠,١٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠١.

وتشير بيانات الجدول رقم (٢٠) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث والصورة التى تعكسها وسائل الإعلام عن أفريقيا غير العربية من وجهة نظره وذلك لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^{٢} ٥,٩٩٨ ومعامل التوافق ٠,١٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٥.

وتشير بيانات الجدول رقم (٢١) إلى وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث ومدى إعتزازه بإنتماء مصر لدول القارة الأفريقية وذلك لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا^{٢} ١٠,٤٩٦ ومعامل التوافق ٠,١٨٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠١.

وتشير بيانات الجدول رقم (٢٢) إلى وجود علاقة بين نوع المبحوث وتوصيفه للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات لصالح الذكور حيث بلغت قيمة كا٢ ١٤,١٩٦ ومعامل التوافق ٠,٢١٢ عند مستوى معنوية ٠,٠٠١ فى حين يشير جدول رقم (٢٣) إلى عدم وجود علاقة دالة إحصائياً بين نوع المبحوث وتوصيفه للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الأفراد.

وحول العلاقة بين نوع الجامعة (حكومية / خاصة) ومدى إهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا تبين من الجدول رقم (٢٤) وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الجامعات الخاصة أكثر من الجامعات الحكومية حيث بلغت قيمة كا٢ ٥,٩٢٥ ومعامل التوافق ٠,١٣٩ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٥.

كذلك تبين من الجدول رقم (٢٥) والخاص بالعلاقة بين نوع الجامعة وهوية مصادر معلومات المبحوثين عن أفريقيا إلى وجود علاقة دالة إحصائياً لصالح الجامعات الحكومية حيث يستخدم طلاب الجامعات الحكومية مصادر المعلومات المصرية والأفريقية والغربية أكثر من طلاب الجامعات الخاصة حيث بلغت قيمة كا٢ ٩,٧٢٤ ومعامل التوافق ٠,١٧٧ عند مستوى معنوية ٠,٠٢.

وتبين من الجدول رقم (٢٦) وجود علاقة بين طلاب الجامعات الخاصة والإهتمام بالمعلومات الرياضية عن أفريقيا غير العربية بالمقارنة مع طلاب الجامعات الحكومية حيث بلغ معامل التوافق ٠,١٥٤ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٧ فى حين لا توجد علاقة دالة إحصائياً بين نوع الجامعة وكافة نوعيات المعلومات التى تقدمها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا غير العربية.

كذلك أشارت النتائج إلى عدم وجود علاقة بين نوع الجامعة وبين كل من الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام المصرية عن أفريقيا، واعتزاز المبحوث بإنتماء مصر لدول القارة الأفريقية، وتوصيف المبحوث للعلاقات العربية الأفريقية على مستوى الحكومات، وعلى مستوى الأفراد كما تبين من الجداول أرقام (٢٧)، (٢٨)، (٢٩)، (٣٠).

الفرض الثانى: توجد فروق دالة إحصائياً بين كل من نوع المبحوث ونوع الجامعة وبين مستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية:

وتشير بيانات الجدول رقم (٣١) إلى قبول الجزء الأول من الفرض الثانى حيث توجد فروق دالة إحصائياً بين نوع المبحوث ومستوى معلوماته عن أفريقيا لصالح الذكور حيث بلغ متوسط درجات المبحوثين الذكور ٧,٨٧ درجة مقابل ٤,٥٥ درجة للإناث وبلغت قيمة ت ٦,٦٥٥ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠ فى حين يشير الجدول رقم (٣٢) إلى عدم قبول الجزء الثانى من نفس الفرض فيما يتعلق بوجود فروق دالة إحصائياً بين نوع الجامعة ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقا غير العربية.

الفرض الثالث: توجد فروق دالة إحصائياً بين نوع التعليم (نظرى / عملى) ومستوى معلومات المبحوثين عن أفريقيا غير العربية:

تشير بيانات الجدول رقم (٣٣) إلى قبول الفرض الثالث حيث توجد فروق دالة إحصائياً بين نوع التعليم لصالح ذوى التخصصات النظرية حيث بلغ متوسط درجات معلوماتهم عن أفريقيا ٦,٥١ درجة مقابل ٣,٦٤ درجة لذوى التخصصات العملية، وبلغت قيمة ت ٤,٥٦ عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠.

الفرض الرابع: يوجد تأثير دال إحصائياً بين درجة إهتمام المبحوثين بالحصول على معلومات عن أفريقيا غير العربية وحجم معلوماتهم عنها:

تشير بيانات الجدول رقم (٣٤) إلى قبول الفرض الرابع حيث يوجد تأثير دال إحصائياً بُين درجة إهتمام المبحوث بالحصول على معلومات عن أفريقيا وحجم معلوماته عنها حيث بلغ متوسط درجات المبحوثين المهتمين بشدة الحصول على معلومات عن أفريقيا ١٣,٢٨ درجة مقابل ٧,٤٣ درجة للمهتمين إلى حد ما، و٤,٤ درجة للمبحوثين غير المهتمين بالحصول على معلومات عن أفريقيا وذلك عند مستوى معنوية ٠,٠٠٠.